شـادي أحمد

كالتشيو

رواية

كالتشيو

الكتاب : كالتشيو

المؤلف : شادي أحمد

تصميم الغلاف : مي يسري

تدقيق لغوي : محسن عباس

حنان الشافعي

رقم الإيداع : 2014/16537

الترقيم الدولي : 978-977-6436-78-7

الطبعة الأولى : 2015



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

كالتشيو

رواية لـ

شادي أحمد



أهداء

الي أبي وامي

والي صديقتي وحبيبتي وزوجتي رانيا

والي صديقي انس بنداري

والي لحظة ضعف تتسلل دائما الي نفس الأنسان

شكرا

عندما يبدأ القتل.. ابحث دائمًا في دفاترك القديمة

الفصل الأول

(1)

إنها الرطوبة المرتبطة دائمًا بهذه السراديب، أكرهها، ولا أحب التواجد فيها أكثر من اللازم، تبًا لتلك الاجتماعات التي نضطر لها! ما بها غرفنا ومجالسنا الوثيرة يا ابن المفدي..؟ هل ما زلتم تعشقون حياة السراديب الأولى؟ ألم تغيركم السلطة كل هذه السنوات؟ حريرك الجميل على جسدك لا يليق - يا حاكم قتودية - بالسراديب.

- اصمت يا ابن منذر، الوضع لا يحتمل هرجك الدائم ونحن في موقع جد، وليس فينا من هرج ولا ضحك، فلتمر هذه الأيام على خير.. كي لا نموت جميعًا وتنقضي سيرنا كقتلة، وما نحن بقتلة، بل هم الفاسدون.

- هل أنت خائف يا ابن المفدي؟! أم أن الوهن وصل إلى قلبك؟ ورغد العيش أنساك القتال والنوم في الصحارى، وصهيل الجياد، والدماء المسالة..؟

- يا ابن منذر! في ذلك الوقت كنا نعلم مع من نقاتل، لا نقاتل وجهة أسراب الحمام الزاجل، ورسائله غير معلومة المصدر.

- لِمَ شاركت طالما أنك لا تثق في حمائمك يا ابن المفدي؟

- لأنهم يستحقون كل ذلك، الفساد الذي يحيط بهم، وعشقهم الدائم للسلطة، ومخالفتهم لكل ما للقيم، وحرمة السلطة، ورقاب ودماء العبيد، ألا يستحق كل ذلك القتل والخلاص؟ ولكنني لا أخفيك سرًا إنني أخاف في بعض الأحيان أن تسقط إحدى الحمامات في يد الحراس، أو أحد الصيادين، فينكشف أمرنا ونذهب لما وراء الشمس

- لا تقلق! أسماؤنا لا تذكر، والكلام غير واضح ولن يفهمه إلا من يصل له.

- اصمت قليلًا! إنني أسمع خطوات أرجل قادمة من بعيد.

- لا أسمع شيئا.. علها قطرات من المياه تتساقط بانتظام فتصدر تلك الأصوات!

- لا! هناك شخص قادم، لعلّه نصر بن العباس ينبئنا بموت الظافر.

- لعله هو.

قدم من بعيد شخص يلهث، لا تتبين ملامحه من شدة العتمة، يستند كل فترة على أحد الحوائط خوف السقوط من شدة التعب، يسمع لهاثه وثقل خطواته بشكل واضح، ولكنه لا يصل. السراديب متاهة كبيرة لا يعلمها ويحل شفراتها إلا من تربى في ربوعها، مليئة هي بالرطوبة والحشرات والفئران، كل الطرق فيها تؤدي للموت لو لم تكن

من طالبيها وعالمي خارطتها، لهاثه يقترب فيبعد صوت الصدى وتزداد حدة الخطوات على الأرض المبتلة.

نظر ابن منذر بعينين تربّتا في السراديب، ولها قدرة على الرؤية في الظلام، فرأى خيالات تقترب، استل السيف وصرخ:

- من هناك؟ انطق باسمك وكنيتك، فلم ينطق أحد، صوت ارتطام قوي بالأرض أنهى اللهاث والخطوات الثقيلة. أعاد ابن المنذر السيف إلى مكانه، ونكز ابن المفدي وانطلقا إلى طريح الأرض على مهل وحذر.. مرت دقائق قليلة وضع فيها ابن المفدي بعض الماء على وجه الرجل، وجاءوا بقنديل صغير وأشعلوه ليتأملوا وجه الرجل.. ونطق ابن المفدي:

- إنه أحد رجال ابن نصر.. لم يأتِ ابن نصر بنفسه، هل قتل أم كشفت المكيدة..؟ آهٍ لو كشفت المكيدة لهلكنا جميعًا..

- اصمت.. انتظريا ابن المفدي.. بدأ الرجل في الإفاقة.

- ماء.. أريد ماءً.. ماء.

- اشرب يا رجل، وتمهل، ولكن أسرع في قول أخبارك.

- لقد مات الظافر. ويخبركم ابن عباس أن تعودوا أدراجكم إلى القصر دون أي جلبة. يخبركم أن الطير لن يأتي لفترة. وأن السراديب ستغلق للصلاة. والخراف الوديعة قامت بالمهمة على أكمل وجه.

- لِمَ أرسلك ولم يأتِ هو؟! قالها ابن المنذر وهو يتأمل وجه الرجل جيدًا.

- لأنه لا يريد أن يلفت الأنظار لغياب الجميع.

- وكيف نصدق أنك لست واشيًا أو خائنًا لقائدك؟

- ذلك الوشم سيدي ألا تعلمه؟ وكشف عن كتفه الأيسر.

- تلك الحمامة الوديعة، ما أشبهها بالصقر الجائع!

(2)

كانت الساعة تقترب من الحادية عشر مساءً عندما خرج نادر من القرية الذكية في مدينة السادس من أكتوبر، متجهًا إلى مكانه الدائم في ليالي مشابهة.. بار كالتشيوا في المهندسين، ذلك البار ذو الديكورات الخشبية القادرة على إعطائك شعور رائع بالدفء في الليالي شديدة البرودة كتلك الليلة، الطريق معتم تمامًا إلا من أضواء السيارات القادمة من الجهة المقابلة، ولا صوت يعلو فوق صوت فيروز الخارج من سماعات "بايونير" نقية.. هل صوت فيروز أصلًا يتأثر بنوع السماعات؟؟!! هي رائعة في كل حال.

هكذا كان يفكر نادر الشوربجي ذو الثماني وعشرين ربيعًا خريج الجامعة الأمريكية.. متوسط الطول، جميل الملامح، له لحية خفيفة وغمازة في الخدين وصاحب بنية قوية تتناسب مع ذهابه اليومي لصالة الـGYM ، يعمل نادر في البورصة منذ تخرجه منذ 6 سنوات، يعتبر من أفضل المضاربين في البورصة، وكون سمعة كبيرة في وقت قصير نسبيًا مقارنة بباقي المضاربين، حتى أنه لم يتأثر بشكل كبير بما مرت به البلاد من ثورة، هو حذر، ويعلم جيدًا كيف يصيب الهدف دون أن يسبب صخب أو يثير جلبة حوله.. وكان لتاريخ أسرته في عالم المال والأعمال تأثير جيد عليه.

وصل نادر إلى المهندسين حيث يقبع بار كالتشيو في أحد الشوارع القريبة من حي السفارات المليء بالأشجار التي تلمس فروعها الأرض، وجذورها ضاربة في عمق قلب الأرض، أشجار مخيفة في الليل ورائعة في النهار، وتضفي نسيما عليلا أغلب الأوقات.

ترجل من سيارته، كان عم سيد سايس المنطقة -والرئيس الفعلي لمنطقة حي السفارات- بوجهه العجوز الذي تحكي ملامحه الكثير يضحك كعادته، أو كما يريد أن يراه الناس، أناس يأتون كل يوم للسهر لا يريدون ذلك الوجه العابس أن يعكنن عليهم حياتهم، الليلة التي تخرجهم من عناء العمل اليومي في ملايين الجنيهات، هم يصنعون المال في الصباح.. ويرقصون ليلًا على أنغام المال القابع في جيوبهم، نظر له نادر وضحك وقال له ببشاشة:

- إزيك يا راجل يا عجوز؟ مش هتدخل تقضي السهرة معانا ولا سنك كبر على المارتيني والبلاك ليبول يا عم سيد؟ ضحك عم سيد وقال:

- يا باشا أنت تكبر وأنا لأ عدم اللا مؤاخذة، أنا كنت برضع من والدتي "أي دي" أصلًا، أمال أنا إيه اللي جبني هنا؟ ما اللي يجاور السعيد يسعد؟ وأدينا بنلقط رزقنا الصبح وبالليل بننسى الوجع بالمارتيني ..عمرك شفت بواب بيشرب مارتيني يا نادر باشا؟

- يا عم سيد متقولش على نفسك بواب ولا سايس، أنت الكبير في المنطقة دي بس بتتواضع.. تحب أدخل أطلع ليك البار كله يقولك إنك البوص؟

- يا باشا هما دلوقتي لو جبتلهم حماده ابني هيقولوا عليه البوص، بس الصبح هما اللي فوق، ولا إيه؟

تأمل نادر قليلًا وكأنه تذكر شيئًا ما، عمّ الصمت قليلا إلا من صوت صفارة سيارته وهو يغلقها، ثم أردف قائلًا:

- اركنهالي في مكان حلو يا عم سيد ربنا يخليك. ودخل إلى البار القابع تحت الأرض عبر درجاته المنحدرة إلى الأسفل، وكأنه يهبط من السماء.

(3)

عندما تدخل إلى كالتشيوا.. ذو الباب الخشبي المعشق ببعض الحديد المشغول.. تواجهك لافتة مكتوبة بالإيطالية تدعوك للدخول، ولكن انتظر الوضع ليس بهذه السهولة، اضغط على ذلك الزر إلى يسارك لتفتح نافذة صغيرة. ينظر لك عماد من خلفها سائلًا إياك:

- اؤمرني! وما أن يستدل عليك.. حتى يفتح لك الجحيم الجميل، جنة كالتشيوا الأرضية. الجنس البشري البيور في أحسن حالاته. عماد ذو البنية القوية ليس "بودي جارد" بالشكل المتعارف عليه، هو فقط صاحب البيت، يفتح لمن يسمح لهم بالدخول. والمسموح لهم بالدخول أناس سيماهم على وجوههم.. عماد يعرفهم جيدًا، يفتح لهم مرحبًا منذ عشر سنوات، منذ افتتاح كالتشيوا، يعرف أنسابهم، وعائلاتهم، وما الذي يتحكمون به من رأس مال في هذه الدولة التي يعيش فيها الأغنياء أعلى الكوبري، متنقلين بين المهندسين والزمالك إلى التجمع دون أن ينصهروا في سخونة رمسيس والعتبة، دون التحلل اليومي في زحام المدينة العجوز الصاخبة.

عندما تدخل من الباب يجاورك عماد على كرسي مرتفع عن الأرض، بابتسامته وجملة "إزيك يا باشا". على يمينك إلى الأمام قليلًا البار بالأكواب المرصوصة أعلى طاولته، وأشرف خلف البار يعزف سيمفونيته اليومية بالكوكتيلات التي تعود عليها رواد المكان،

الديكورات خشبية تعطيك نوع ما من الدفئ، والأضواء تتخلل ثريات تتدلى من سقف كنوع من الأصالة والتميز، طاولاته دائرية تتراص حولها كراسي، وهناك ساحة للرقص على يدك اليمنى، وهناك طاولات تلاصق الحائط على كل نواحي البار، في الزاوية هناك.. تقبع إحداها.. ويلتف حولها أصدقاء نادر: سلمى الدريني بشعرها الأسود المنسدل على كتفيها، وجسدها النحيف -إلا من مفاتن واضحة- تجلس إلى الجانب الخارجي من الطاولة. محمد العشماوي منحشرًا بكرشه العظيم في الطاولة المقابلة لهم، تليه شاهيناز مدكور، الحسناء ذات الشعر الأحمر والعينين الواسعتين كأعين البقر ذوي "اللينسز" الرمادي، كثير ما يشبهها الناس بهيفاء وهبي، ولكن نادر دائمًا ما يقول لها:"عليا الحرام أنتِ أجمل منها، سيبك أنتِ"

تقدم إليهم نادر بخطوات ثابتة وابتسامة ترحيب للجميع، بعض من السلامات السريعة ألقاها هنا وهناك، وبعض الأسئلة عن العمل والبورصة من بعض المضاربين للخبير كمنحة مجانية، كانت أسئلتهم تدور حول أحسن سهم للغد؟ أخبار السوق؟ توقعاته بانتكاس السوق أو ازدهاره؟ إجابات نادر دائمًا ودودة، دون جمل صريحة..

"آه طبعًا, خير, متخافش, خلي قلبك جامد"

هذا ما يصلهم من نادر.. حتى يصل إلى طاولة الرفقة..

- نادر الشوربجي ابن الناس الكويسين، واحشني يا واد جدًا وكأني مشفتكش من امبارح، يخربيتك بتوحشني أكثر من مراتي.

تأمله نادر حتى انتهى من كلامه بينما كان يضع نادر ولاعته وكيس التبغ وورق البفرة على الطاولة، ثم قال له ضاحكًا:

- وأنت واحشني أكثر يا تخين، وبعدين أنت في مراتك؟ لسه عند أهلها كالعادة؟ عارف أنت حكاية نادر ابن الناس الكويسين دي؟ بحب أسمعها منك لحد انهارده لأنك مصمم تثبت للجميع إنك مش ابن ناس كويسين. ألاصابت العشماوي صدمة بسيطة لم يذبها إلا ضحكاتهم جميعًا وقول نادر:

- ازيكوا يابنات؟ أنتم كلكم جايين فرداني ولا إيه؟ فين خطيبك يا شاهيناز؟ ما تلميه من ديسكو صحرا شوية، البنات هناك اشتكوا.. ولا إيه؟؟

- نادر أنا كلمته ميت مرة، هو دماغه كده، بيحب يقضيها وبيرجع تاني، فكك منه حسام مبيتغيرش، وأنا مش في دماغي، فخليه براحته، هتلاقيه بيتصل بعد شوية يقولي وحشاني يا بيبي... أنت عامل إيه؟؟ كلمتلك الصبح، شيرين على فكرة زعلانة منك.

كان نادر في تلك الأثناء مشغول البال، كأنه يتذكر شيء ما من يومه الطويل، وكم من الأشياء تدور في هذه الرأس التي تحوي فيها الملايين

كل صباح، لتخرج للجميع الفتات وتخرج له المزيد من الملايين. توقف عن التفكير، ونادى النادل ليأتي له بالمارتيني صودا خوخ، ذلك المشروب الذي لا يشربه إلا هو، والذي يرى الجميع أنه سيء للغاية، ولكنه يحبه، لأنه لا يحب تلك الأياء التقليدية. ثم عاد مرة أخرى للكلام موجهًا حديثه إلى شاهيناز:

- شيرين مين يا بنتي؟؟

-شيرييين خطيبتك يا عم نادر! نسيتها ولا إيه؟ يخربيتكوا بتنسونا أكتر ما بتدخلوا الحمام!!

- دخول الحمام ضروري يا شاهيناز، إنما أنتم هامش يعني. ثم ضحك ونظر إلى سلمى وقال:

- اللي ساكت زعلان ليه؟؟؟ أم الموبايلات! سيبي الموبايل يا بنتي وركزي معانا.

- نادر أنت عارف إني بخلص شغل.. وبعدين خليك مع شاهيناز اتسلى معاها شوية عقبال ما أخلص، مش طالبة استظراف عليا.

-مالك يا بنتي في إيه؟ وبعدين صحيح، أنا عايز أدخل شريك معاكِ في شغلك برأس المال، أنتِ كسيبة وأنا يهمني أعمل بيزنس، فكري فيها كده.. وأي مبلغ هكون معاكِ معنديش مشكلة.

- هفكر!

في تلك الأثناء فتح باب كالتشيوا ودخل ذلك المستفز أدهم الأنصاري، بتلك الجلبة التي يقوم بها كل يوم، يدخل وكأنه يقتحم حلبة مصارعة، ينادي هنا وهناك.. ويبدأ في جذب الانتباه والضحك والقهقهة، وإرسال السلامات العابرة، وتقبيل نساء البار دون أن يترك واحدة، وكأنه طقس يومي يتقرب به للآلهه، وأي آلهة تلك التي تحرضه على تقبيل النساء.

نطقت شاهيناز في تلك الأثناء:

- صاحبك داخل علينا يا شوربجي، جهز نفسك.

نظر له نادر وسبقه في الحديث:

- إيه يا أنصاري؟ مش هتبطل بقا الزحمة اللي بتعملها لما بتيجي؟ وبعدين قولتلك ميت مره كالتشيوا مش سكتك روح "صحارا" "تمارا" "باميلا" زحمة وفيها حريم كثير، وبوس كثير خرج طقتك هناك يا أنصاري أحسن، يعني اسمعها مني.. هنا دماغ غير دماغك.

- شوربجي أحسن بورصجي في مصر بيقولي أروح فين ومرحش فين؟ أنت عارف إني ممكن أشتري كالتشيوا ومدخلكش فيه أصلًا؟

- آه بس شاهيناز هتدخلني. قالها متحديًا وساخرًا من أدهم.

شاهيناز مدكور الأنصاري. أخت أدهم مدكور الأنصاري. والدهما صاحب أكبر شركات تجارة حرة واستيراد وتصدير في مصر والشرق الأوسط. شاهيناز البنت الكبرى والمسيطرة على أغلب الثروة. وأدهم الأخ الأصغر الفاشل نسبيًا في سوق المال والأعمال.على عكس أخته.

تدخلت شاهيناز موجهةً كلامها لأدهم:

- اهدى بقى واقعد، مش كل يوم هنبدأ في القصة دي! بجد مبقاش ليها طعم، ملكش دعوة بنادر.. اقعد.

- نادر أنت لسه بتنصب على الناس في البروصة صحيح، وتكسب على قفاهم فلوس قد كده؟

ضحك نادر ضحكة خبيثة، ونظر إلى شاهيناز متجاهلًا كلام أدهم:

- قولتيلي بقا عملتي ايه مع شيرين؟؟

في تلك الأثناء رحل أدهم إلى طاولة في الجهة الأخرى، مقاربة للشباك الذي لا يظهر من الشارع شيء إلا بلاط المدخل، ينفث دخان سجائره.

مر الوقت سريعًا، شرب الجميع وتبادلوا الأحاديث، ولكن لم يخرج نادر في ذلك اليوم سعيدًا بل خرج ببال مشغول.. يحدث نفسه:

- هعمل إيه مع شيرين دي؟؟

(4)

في إحدى عمارات الزمالك تقبع شقة شيرين العمري، تلك الفلسطينية المصرية التي أسرت قلب نادر، وجعلته يفقد اتزانه، رقيقة بوجه تتألم ملامحه من فرط رقتها، ينسدل شعرها على كتفيها، حريري مسترسل، لها عينان عسليتان متوسطتا الاتساع، وجسد دقيق القسمات، وعقل أشبه بقادة المافيا الإيطالية.

دائمًا ما يقال حاذر الفتاة الجميلة الذكية، فقد ملكت الدنيا تلك المرأة، شيرين العمري.. رغم سنواتها الثلاثون.. ولكنها تدير العمل مع والدها المصري الجنسية الفلسطيني الأصل، والدها تشارك مع الدولة في أكبر مشاريع لها في فلسطين، ومشاريع أخرى في إسرائيل نفسها، دائمًا يقول أن الأرض أرضنا، لم لا نعمرها كلها؟ حتى إن استعدناها تكن قابلة للعيش فيها, يدعي أنه صاحب قضية، ولكنه في الحقيقة صاحب ثروة.

تجلس شيرين على سريرها تستمع إلى نجاة الصغيرة، وتتابع على هاتفها بعض الأخبار، وترتب بعض المواعيد الضرورية ليوم غد.. تأخذها في بعض الأوقات خيالاتها للتفكير في نادر، وهل ما حدث بينهم يستدعي كل هذا الكم من غضبها؟ أم أنها "كبرت الأمور"؟

هي لا تدري حقًا. ولكنه وجَّه لها ولعائلتها اتهامًا خطيرًا بالفساد، وأنهم يقتاتون على أموال بها الكثير من الدم، أوليس هؤلاء أهلكم وعشيرتكم؟ لماذا تتاجرون بهم وبأرزاقهم ومنازلهم؟

نادر لم يكن أبدًا ذلك الشخص الواعظ، ولكنه لا ينحاز أبدًا عن مبادئه. لا يبرحها. ولا يتحمل متجاوزيها. ومنها عمل عائلة شيرين مع السلطات الإسرائيلية في صفقات بناء مشبوهة.

شيرين لا ترى أي عيب في الموضوع! إنه "بيزنس. ولا رحمة في البيزنس. ولا مشاعر"، في آخر مرة هددها نادر بإنهاء علاقتهم إن أكملت في هذا الاتجاه. وهي قالت له بشكل صارم:

- هذا عمل أهلي. وأنا منهم، وإن لم تقبلهم لا تقبلني. وتركته في دي كازينو 96 المطل على النيل. تركته وهو في حالة عصبية لم يكن ليصل لها قبل هذه المرة. كانت شيرين متأكده أنه يواجه أمر ما في العمل، فنادر هادئ في أغلب الأوقات.. ولكن كان هناك شيء ما في ذلك اليوم بالتأكيد. ولكنها لم تكن لتسمح له بأن يهنيها ويهين أهلها مهما حدث.

في ذلك الوقت المتأخر رن جرس الهاتف، خرجت شيرين من تفيكرها ونظرت إلى شاشة الهاتف، كانت كلمة حبيبي تنطق من فرط اشتياقها.. هي امرأة قوية. ولكن من قال أنها لا تشتاق؟ هي وعدت شاهيناز أن تستمع له وترد على اتصالاته.. ولكنها.. لماذا كل تلك الحيرة؟ لن يضرها الاستماع لدفاعه.

- ألو شيرين. أزيك وحشتيني، كل ده مبترديش على التليفون؟ لازم واسطة يعني عشان تردي؟ اعتذار أنا مش هعتذر. وأنتِ عارفة كده كويس، كلام عن إني غلطان مغلطتش في ولا حرف. بس عشان نخلص من الموضوع ده أنا معنديش مشكلة مع كل البيزنس بتاعكم. براحتكم.

- متصل بيا ثلاثة الفجر تقولي البيزنس بتاعكم مليش فيه؟ باي يا شوربجي.

- استني بس عايز أقولك حاجة كمان، وحشتيني. وياريت تبطلي العرق الحامي بتاع الفلسطينيين اللي فيكي ده. وعايز أشوفك بكرة في "أون ذا ران" مصر إسكندرية اللي قبل القرية، مفيش أعذار. بكرة نشرب قهوتنا هناك.

- أنت مجنون. والله مجنون.

- آه بيكي.. يلا باي. نامي علطول. بحبك.

الفصل الثاني

(1)

كان الوقت متأخرًا في ذلك اليوم. وصل نادر إلى منزله ذو الساحة الواسعة والأشجار الكثيفة؛ القابع في أحد أحياء الزمالك العريقة. ذلك المنزل ذو النوافذ الكبيرة والنقوشات الهندسية الرائعة، وعبق التاريخ الساكن في شقوق المنزل جراء الزمن.. كأنه شيخ عجوز واهن حكيم، لم يرد أهل نادر الاستغناء عن منزل ورثوه أبًا عن جد، ولو في مقابل برج عملاق خالي من الإحساس. فقط كتلة خرسانية كبيرة تدر عليهم أموال كثيرة. عائلة العُمري لا تحتاج المال.. حالتهم على أحسن مما يرام.

عندما وصل نادر إلى سلالم منزلهم.. سمع نباح كلبه دون أن يجري عليه كعادته كل يوم. تعجب نادرا وشرع في البحث عنه. توجه إلى الباحة الخلفية التي يأتي منها صوت "صخر"، فوجده بجسده الممتلئ، وعضلاته القوية، وأنيابه اللامعة، ووجهه الغير ظاهر في الظلام إلا من انعكاس أشعة الضوء القادمة من إحدى شرفات منزل نادر.

نظر له نادر بشفقه وقال:

- يا عجوزا رابطينك؟ كبرت ومبقتش عارف تدافع عن نفسك؟ شكلك إيه قدام كلاب المنطقة دلوقتي؟ ولا قدام كلبة طنط أصالة صاحبة ماما؟ خلاص احنا لازم نبدلك ونجيب بدالك كلب ابن حلال لسه بصحته.

اقترب منه يفك أسره.. في هذه الأثناء لاحظ وجود ظرف بالقرب من "صخر". نظر إليه وشرد قليلً..ا ثم ما لبث أن عاد على نباح صخر. نظر له نادر مستفهمًا وكأنه يخاطب في صخر البشري القابع بداخله:

- مين جاب ده هنا؟؟ طب مدخلوش جوه ليه؟؟ وبعدين أنت أصلًا ازاي تتربط كده؟ هو أنت خلاص أي حد يربطك؟ شكلي معرفتش أربي.

وشرع ها هنا في الضحك بهستيريا.. دون توقف فك أسر صديقه القديم، عاد أدراجه مستمتعًا برائحة الريحان في الباحة الخلفية، وصوت النافورة الصغيرة وخرير المياه المتساقط من أعلاها وكأنها شلال.. يتذكر دائمًا قول والدته أن هذه النافورة بلجيكية الصنع، أهداها المهندس المصمم لمنزل جده عندما كان يهم بالرحيل تاركًا مصر بعد أن قامت ثورة 23 يوليو. تقريبًا لم يحب العالم تلك الثورة. وخاصة الأجانب الذين استوطنوا مصر في ذلك الوقت.

خرج نادر من تلك الهوة التاريخية على صوت رنة هاتفه الجوال، أخرجه من جيب البنطال ونظر فيه قليلًا "حبيبتي" ابتسم ابتسامة ناعمة ثم فكر قليلًا وقال:

"لأ استني بقا شوية أطلع آخد دوش وأروق كده وأكلمك". انتهت رنة الموبايل مع انتهاء الفكرة في رأس نادر.. صعد درجات منزلهم الرخامية رائعة اللون - القديمة بما يكفي لتكون مكسورة في بعض الأماكن على الأطراف، كسر بعوامل الزمن والأيام، وصل إلى باب البيت الخشبي

العملاق، رن الجرس وأخرج المفتاح وووضعه في الباب -تيك تاك- ودفعه دفعة بسيطة ليجد والدته خلف الباب واقفةً بجسدها الممشوق -رغم الزمن- وشعرها الأرستقراطي، ترتدي تنورة قصيرة تحت الركبة وكنزتها الخضراء كلون الحشائش، امرأة باقية من ذلك العهد الجميل، فيها نعومة الربيع وصلادة الأيام، وتاريخ عاشته هي في كنف عائلة أرستقراطية أبًا عن جد، نظرت له وقالت:

- نادر! مش هتبطل عوايدك دي؟ أفتكر كبرت على الحركات دي يا نادر، وبعدين كل يوم سهر وشرب ورجوع وش الصبح.. أنت كبرت أنا عارفة. وعارفة كمان إنك لو في بلاد بره كنت ممكن متبقاش عايش معانا في نفس البيت. وعارفة إن في ناس في سنك متجوزين وعندهم عيال. عارفة كل كلامك وحافظاه، بس ده بيت عائلة. وأنت عارف النظام، أختك أصغر منك.. آه مش بكتير.. ولكن أصغر. مش حابة إنها تشوفك دائمًا ماشي على نظام مختلف، لو سمحت، سكت قليلًا وهو ينظر لها بكل وقار.. ثم شرع في الضحك دون توقف.. ثم ما لبث أن هدأ قليلًا ونظر لها بجدية وصرامة وابتسامة ظاهرة على شفتيه، وقال:

- ماما مين ربط صخر؟ أنا مش قولت مائة مرة محدش يربط صخر؟ ولا الكلام مبيتسمعش؟ أنا عارف إنك هتقوليلي عمل دوشة وطنط شفيكار كانت عندنا، وهيا بتخاف من الكلاب، وأنتِ قولتي تربطيه وبعدين نسيتوه مربوط. ماما صخر مش بس كلب وأنتِ عارفة كويس.

ياريت محدش يربطه تاني. صخر لو كان في بلاد بره كان اتعامل أحسن من كده، وبعدين ده ألماني يا ماما ألماني. وانطلق يضحك مرة أخرى.

نظرت له والدته وملأتها أسئلة كثيرة..

- بس صخر محدش ربطه! واسمها طنط شويكار يا محترم.. وبعدين نادر إيه الدم اللي على إيدك ده؟ وإيه الظرف ده كمان؟

نظر نادر إلى يديه..

-ظرف.. دم.. فين الدم ده؟ متاخديش في بالك.. ماما أنا تعبان، تصبحي على خير.. بكرة سهم أوراسكم في الواطي وسهم المصرية للأسمنت في العالي، عشان صحابك ميخسروش فلوسهم كلها.

- نادر.. نادر.. كانت تنادي عليه والدته دون جدوى، غادرها إلى السلم الذي يتوسط المنزل متجهًا إلى أعلى.. وهو يردد في سره:"ظرف.. دم.. ظرف.. دم.. ظرف.. دم".

(2)

ممر طويل ممتد يحوي الكثير من الأنتيكات التي تعود لعصور متلاحقة، بعضها كان هدية، والبعضه الآخر لا تعرف عنه إلا أنه غالي الثمن. عندما تصل إلى الدور الثاني عبر السلم تجد على يمينك ثلاث غرف، وعلى يسارك ثلاث غرف أخرى. تواجهك صورة كبيرة لشخص ما يمتطي فرس ويرفع سيفه عاليًا، توجد تحته طاولة عليها مزهرية سوداء بأطراف ذهبية مطبوع عليها، لو اقتربت قليلًا ستجد أنها نفس الصورة المعلقة على الحائط. لو اتجهت يمينًا ستجد الغرفة الأولى إلى اليمين هي غرفة سارة أخت نادر.. الوحيدة الباقية في المنزل. ولو اتجهت إلى الأمام قليلًا لوجدت غرفت نادر على يدك اليسرى.. تقابلك قبل غرفة نادر غرفة مغلقة لم تفتح منذ مدة طويلة, لا يتذكر نادر أنها فتحت طوال حياته.. ولو مرة. دائمًا ما تقول والدته أنها غرفة ملئية بالكراكيب. ولم يهتم نادر أبدًا بمعرفة ما فيها لسبب غير معلوم. الأضواء صفراء تخرج من "أباليك" في الحوائط، تضيء ورق الحائط الذي عثت عليه عوامل الزمن ولكنه ما زال محتفظًا بنقشاته البارزة، لو تتحسستها بيديك ستعرف أنها وردات وحمائم وديعة، ولكن لو اقتربت قليلًا منها ستشعر أنها كالصقور.. لها نفس الأجنحة. انحنِ قليلًا ناحية اليسار.. افتح باب الغرفة الواسعة زر الإضائة إلى اليسار.. بجواره دورة المياه.عندما تدخل.. لو أوقدت النور ستجد أن الإضاءة بيضاء ناصعة، قام بتغييرها نادر على خلاف البيت كله، هو لا يحب

الأضواء الصفراء لأنها كئيبة، والدته تحبها لأنها تعطي المنزل شكل أجمل.. هو لا يكترث بالجمال فقط الراحة تهمه.

دخل نادر غرفته، خلع عنه ملابسه وألقاها على السرير المواجه للمدخل، دلف إلى دورة المياه.. فتح صنبور المياه الساخنة.. فهي القادرة على إزالة كل هذا الإرهاق عنه إلى مواسير الصرف الصحي.. بدأ في وضع الشامبو والصابون برائحة جوز الهند، هو يحب جوز الهند جدًا. نظر إلى نفسه في مرآة الحمام المواجه للبانيو.. وجد عينين زائغتين متعبتين تطالعانه. ضحك لمنظره.. ولاحظ لون أحمر تحت عينيه.. فتذكر. استغرب قليلًا وتوقف وكأنه تذكر شيء ما.. إنه الدم على يديه.. ما قصة تلك الدماء؟ من أين أتت؟ هو لا يتذكر، عله جرح ما من أحد الأسلاك في الباحة الخلفية.. قال لهم مرارًا أن يتخلصوا من تلك الأسلاك.. ولكن لا فائدة.. بيت غريب. انتهى من حمامه الليلي وجفف نفسه جيدًا بأحد المناشف، ثم نظر إلى نفسه وغسل أسنانه وتأكد من أنها نظيفة. اقترب قليلًا من المرآة يطالع اللاشيء في وجهه. ابتسم. واتجه إلى الخارج. نظر إلى سريره وقال:

- كده يا نادر ترمي لبسك على السرير؟ أنت مبتحبش النظام ليه يانادر؟ وضحك متصورًا والدته تقول هذا الكلام. رفع ملابسه ليجد ذلك الظرف وعليه بقع الدماء. حدث نفسه بصوت عالٍ:

- إيه اللي جاب الظرف ده هنا؟ أنا مسبتوش تحت ليه؟!! أنا مش هشرب تاني بالشكل ده! ولازم أكلم شيرين قبل ما أنام. رن الهاتف في أذن نادر بعد أن طلب رقم شيرين.. رن كثيرًا دون جدوى.

- هل نامت؟ سأجرب مرة أخرى. في هذه المرة خرج صوتها رقيقًا عذبًا

- ألو يا نادر باشا، خدامتك شيرين العمري خدمة 24 ساعة لحضرتك وبس. ثم صمتت ونطق هو..

-أصل أنتِ مش واخدة بالك.. انهارده كان يوم طويل، شركة خام الغربية فجأة قررت تصفي. ده قلب السوق. لو ملحقناش نفسنا كنت هتجبيلي عيش وحلاوه في السجن يا baby ، يرضيك تجبيلي عيش وحلاوة؟ مهنش عليكِ.

- وأنت عمرك تدخل السجن يا حبيبي؟ على شيرين برضه؟ ده تلاقيك أنت اللي أقنعتهم يصفوا الشركة أصلًا. بلاش عليا الحركات دي يا نادر أنا مش عميلة عندك.

- حبيبتي والله. خلاص بقا.. وبعدين ما أنت ناسياني طول النهار، يا دوبك لسه مكلماني من ساعة. حصل خير.

- آه صحيح فكرتني. أنا كنت مكلماك أقولك إني مسافرة بكرة.

- مسافرة فين؟؟

- فلسطين.

- شيرين قصدك إسرائيل.. يا حبيبتي.

- أنت اللي قولت إسرائيل. وضحكت، ثم سكتت للحظات وقالت:

- نادر فكك بقا، الموضوع ده اتكلمنا فيه ألف مرة قبل كده. أنا عمري ما كلمتك عن شغلك وظروفه. وده شغلي وليه ظروف. والبيزنس بتاع عائلتي.

- شيرين أنتم كأنكم بتطردوا أهلكم من بيوتهم، أنتم بتهجروا الناس من بيوتهم عشان تبنوا بدالها بيوت للإسرائيليين، أنتِ مجنونة يا بنتي.. دول أهلكم وناسكم، هو أنا اللي هقولك أنتِ فلسطينية..؟ يا حبيبتي.. وأبوكي هبله بالفلوس ميدكيش مبرر أنتِ كمان، وأنتِ عارفة إن اللي بتعملوه غلط.

- نادر لو احنا معملناش البيزنس ده ألف غيرنا هيعملوه.. ألف إيه؟ لأ مليون هيعملوه. نادر بلاش كل شوية نتكلم في الموضوع ده. أنت أكتر واحد عارف السوق مفهوش الكلام ده. الشغل شغل. ده أنت بتاع بورصة وبيزنس وعارف.

- شيرين ده قتل. أنتم بتساعدوا فيه.

- يعني احنا قتلة قصدك كده؟

- ليها شكل تاني بالنسبة ليكي..؟

- نادر باي.

- شيرين.. شيرين.

كانت شيرين في تلك اللحظات قد أغلقت الخط في وجه نادر، حاول مرة أخرى الاتصال بها. ولكنه فشل في ذلك.

كانت هذه المكالمة قبل أسبوعين.

(3)

من النافذة الكبيرة المواجهة لسرير نادر انسابت تلك الأشعة الخافتة متجهةً إلى وجه نادر، وكأنها تعرف طريقها اليومي منذ سنوات، تلك الأشعة الهاربة من شجرة التوت الكبيرة في باحة المنزل الخلفية.. كاشفةً حالة الغرفة المزرية. تتبعثر الأوراق يسارًا ويمينًا. وملابسه في كل مكان على الأرض، وعلى الكرسي الأسود القابع في زاوية الغرفة، تعلقت قمصانه وحلاته على شماعات مثبتة على الحائط بقطعة خشبية. غرفة نادر وكأنها شقة شاب عازب. لا يدخلها أحد ليرتبها إلا كل حين. وهو لا يسمح أن يدخل غرفته أحد في الأساس. فهو لا يحب الترتيب إلى حد كبير، يشعر أن النظام يؤثر على إبداعه في عمله. بجوار سرير نادر يقف الكوميدنو الأبيض.. أعلاه أباجورة كلاسكية يرقد أسفلها بعض الكتب، هناك على الجانب الآخر مكتب فوقه ساعته، ومحفظته، وكيس التبغ الخاص به، وبعض ورق البفرة، فهو لا يفضل تلك السجائر جاهزة الصنع. هو لا يحب كل ما هو تقليدي. بجوارها بعض الأوراق يبيت أسفلها ظرف أصفر، مختوم بختم أحمر بطريقة قديمة لم تعد مستخدمة في عصرنا الحالي.. فوق ذلك الختم حمامة مفرودة الجناح.. ألا تذكره تلك الحمامة بشيء ما؟

في تلك الأثناء تقاتل عينا نادر الساهرتين والمتأثرتين بكمية كحول كبيرة من الليلة السابقة. في معركة كل صباح.. عيناه ضد الاستيقاظ في هذا الوقت المبكر. فالساعة تشير إلى السادسة والنصف. لم ينم نادر من

ليلته السابقة سوى ثلاث ساعات.. يتقلب يسارًا ويمينًا محاولًا أن يغلب تلك الأشعة. ولكنه يفشل. فالأشعة تنتشر أكثر وأكثر حتى أصبحت الغرفة في السابعة تحت حكمها. وأصبح الاستيقاظ أمرًا حتميًا.. وفجأة يسمع نادر صوت رنين هاتفه. ينظر حوله إلى مصدر الصوت فلا يجد هاتفه إلى جانبه. يتقلب يمينًا ويسارًا وينهض من السرير وهو يردد بداخله:

- مين اللي هيتصل بيا في الوقت ده؟ أكيد حد من العملاء قليلي الذوق. ثم يركز قليلًا في مصدر الصوت فيجده آتٍ من أسفل السرير.. فيكلم نادر نفسه:

- إيه اللي نزل التليفون تحت السرير؟ شكلي تقلت امبارح في الشرب. ثم يمسك الموبيل ليجد أن لا رقم! فقط كلمة رقم خاص!! فيضغط على زر الرد. ليستمع إلى شخص يقول له:

- ألو! نادر الشوربجي؟؟

-أيوه يا فندم مين معايا؟ وحضرتك مش شايف إن الوقت بدري قوي على تليفونات الشغل.

- ومين قالك إني عايزك في شغل؟ وبعدين أنت من الطبيعي شخص بيحترم مواعيده، أنت راجل بتاع بيزنس. ولا إيه؟

صمت نادر قليلًا وكأنه يتذكر شيء ما.. ثم أردف قائلًا.

-معاد بيني وبينك..؟ متذكرش إن في بيني وبينك مواعيد يا أستاذ!!
وطالما الموضوع لا يتعلق بالشغل يبقا أكيد ممكن يتأجل لوقت آخر!!

- لأ في معاد بينا. وأرسلت ليك المعاد من أسبوعين مع صخر.

في هذه الأثناء كان عقل نادر في حالة شلل مؤقت لأنه لا يفهم ما يقوله ذلك المتصل في هذا الوقت المبكر من النهار.. ثم ما لبث أن هرع إلى كومات الأوراق يبحث عن شيء ما في كل تلك الفوضى الضاربة في أركان الغرفة.. وهو يكمل مكالمته مع المتصل الصباحي المريب.

- ممكن توضح لأني مش فاهمك؟؟

- من أسبوعين مستلمتش مني ظرف موضوع جنب كلبك صخر في الباحة الخلفية لمنزلكم؟

فجأة توقف نادر وكأنه فزع من ذلك الأسلوب.. وقال:

- وأنت بقا بتراقبني يعني؟؟

- لا براقبك ولا حاجة.. ولكن في بيننا معاد وأنا مبحبش حد ميحترمش معاده معايا.

كان نادر قد قلب في كل الأوراق دون جدوى، وقف للحظات في وسط غرفته متأملًا. توجه فجأة إلى مكتبه يقلب في أوراقه حتى وجد ضالته، ذلك الظرف الأصفر.. فتحه بتعجل ووجد بداخله عدة صور لوالده

وورقة مكتوب فيها:"منتظرك في تمام الساعة التاسعة يوم الثلاثاء بعد أسبوعين.. في "ديكونتي،" تأمل جيدًا صور والدك المرفقه بالرسالة ولا تتأخر على موعدك، فأنا لا أحب عدم احترام المواعيد"، تذكر نادر أن "ديكونتي" مطعم قديم راقي في وسط البلد. في تلك الأثناء كسر هذا الحبل من الأفكار صوت من الهاتف.

-نادر.. نادر.

- نعم يا أستاذ..؟ أنا معرفش اسمك لحد دلوقتي على فكرة وممكن أقفل الخط لأن طريقتك مش عاجباني.

-نادر أنا مبضيعش وقتي في الكلام معاك، ومجيك للمعاد شيء غير متروك ليك.. كان لازم تلتزم بمعادك.. بلاش تخليني أوصلك بطريقة أنت متحبهاش.

- أنت بتهددني؟ وأنا مبتهددش. واعتبر إن المكالمة انتهت ما بيلنا أنا هقفل الخط.

-يبقا أنت اللي اخترت إني أتعامل معاك بطريقة متحبهاش.. استناني قريب. هشوفك. مع إني كنت أحب إن لقائنا الأول يكون بطريقة تتناسب مع علاقتنا القوية ببعض.. وأحسن ليك لو حابب تحمي كل اللي حواليك من موت أكيد إنك تحترم كلامي بعد كده.

- علاقتنا القوية؟ باي.

(4)

تجلس على مكتبها في أحد الأبراج العملاقة المطلة على النيل.. مكتب عملاق. الحوائط مكسوّة بالخشب معلقة عليها لوحات كبيرة. يوجد أسفل كل لوحة "كونسول "خشبي مليء بالنقوش.. توضع عليه مزهرية بها بعض الورود. يوجد يمين الغرفة بجوار الباب كرسيين وأريكة ذات كسوة جلدية سوداء. يتوسطهما طاولة قصيرة الأرجل مرتب عليها بعض الصحف والمجلات العالمية والمحلية. في الطرف الأخر إلى المنتصف قليلًا مكتب كبير خلفه واجهة زجاجية تطل على النيل.. المكتب مليء بالأوراق ولكنْ بشكل منظم. وحاسوب إلى يسار المكتب وتليفون وطابعة وفاكس، تتوسط ذلك الزحام "شاهيناز الأنصاري" تتأمل مجموعة من الأوراق الموضوعة أمامها بتركيز شديد ترتدي حلتها كاملة قميص أبيض عليه جاكيت مخمل أزرق وبنطلون رصاصي اللون، إيطالي الصنع، تجمع شعرها للخلف على هيئة ذيل حصان، مما يبرز روعة ووجها ذو النمش الخفيف تحت عينيها، والشفاه الممتلئة، والأعين الواسعة. تلك الفاتنة المسيطرة على ثروة والدها.

تقف شاهيناز لفرد جسدها الذي تنهكه الجلسات الطويلة إلى المكتب.. تقف لتأمل القاهرة والنيل من ذلك العلو الشاهق نسبيًا.. الذي يوفر لها رؤية أوسع للقاهرة.. تخاطب نفسها ببعض الأفكار التي تدور في داخلها كلما تأملت ذلك المنظر:

- لأمتى هتتحملنا البلد دي بكل بلاوينا وقرفنا ومشاكلنا؟ محدش فينا بيحترمها من أكبر واحد لأصغر واحد.. كلنا عايزين نخطف ونجري، سواق التاكسي اللي بيزود كل يوم العداد.. ورجال الأعمال اللي زي حالتنا اللي بنحاول نخطف ونجري برضه.. الفكرة إن كل واحد في البلد فاكر إن التاني هو اللي غلطان وبيرمي عليه إنه يتصلح.. والمحصلة إنها هتخرب فوق روسنا كلنا. هيا مستحملانا بقرفنا وعفننا بالعافية.. وطول ما إحنا كده خربنا أكيد.. بس هنعمل إيه برضه؟ كل واحد فينا وكأن مرسوم دوره بالظبط. أنا لو خرجت من السلسلة هييجي ألف غيري. ولو خرج غيري هييجي مليون. إحنا عندنا حب فطري للفساد.. يبقى ليه أخرج وأسيب الحياة ده كلها لغيري؟ عشان أبقا مواطنة درجة ثانية بتسرق بس بطريقة مختلفة؟ بتهمل شغلها، وبتاخد راتب على كلامها مع صاحبتها عن الطبيخ والبت اللي عايزة تتجوز؟ أبويا لولا إنه فهم ده بدري كنت هبقا مرمية في أي شركة بحسب حسابات وباخد ألف جنية بالكثير.. المشكلة إن الناس دايمًا في بلدنا فاكرين إن الناس اللي فوق كانوا طول عمرهم فوق.. غلابة.. ده ارتقاء بشري، والحياة بتلف، بكرة ابن صاحب كشك الورد اللي هناك ده ممكن يبقا بدالي أو بدل ولادي ويبقا ولادي في الشارع.. عادي.. الحقيقة مبتزعلش، كلنا كلاب وبننهش في جسد الوطن بس كل واحد وقوته ومقدرته على الأكل بشراهة".

أثناء ذلك رن جرس الهاتف.. فزعت شاهيناز وقطع حبل أفكارها، تنبهت لذلك الصوت واتجهت إلى الهاتف.. كانت المتصلة شيرين، لم تجب شاهيناز الهاتف لبرهة.. كانت في حالت وجوم وكأنها تتذكر شيئًا ما.. ثم ردت على شيرين قبل أن ينتهي الجرس.

- ألو يا حببتي صباح الخير.

- صباح النور يا شوشو..

- شكلك مبسوطة وفرحتك محدش قدها انهارده.. نادر كلمك؟

-آه وزي ما تقولي صالحني، وأنا عملت نفسي اتصالحت لأنه كان واحشني.

- نادر طيب. هو ساعات بيبقا مجنون وسايكو، بس أطيب قلب ممكن تقابليه بس أنت عارفاه من زمان. وفاة والده وهو صغير سايبة فيه ساعات عدائية بتظهر بالذات لما بيشرب، وفي آخر فترة بعد الثورة والسوق الملخبط والبورصة، ده بيخليه ساعات يشرب كتير.. مع إني قولت ليه يسيب البورصة ميت مره ويجي نفتح بيزنس مع بعض، بس هو مبيحبش يرتبط بشغل وبيزنس كبير.. خايب سايب فلوس أبوه في البنك ومبيحركهاش وكأنه حالف عليها.

- شوفي يا شوشو بقا، أنا سيبت رجالة مصر كلهم وحبيت المجنون ده.
مش عارفة ليه بنتهبب ونحب؟ ما احنا كويسين كده.. ومعانا كل حاجة

ضحكت شاهيناز مع آخر كلمة لشيرين حتى كادت تقع على الأرض، ثم قالت:

- شيرين أنت متأكدة إن عندك كل حاجة يا baby؟ على شاهيناز برضه؟ أكملت كل من شاهيناز وشيرين تلك المحادثة في أمور عامة وبعض أحاديث العمل. ثم أغلقتا على وعد أن يتقابلا هذا الأسبوع في "كالتشيوا" أو"صحارا" لتقضية بعض الوقت، لأنهما لم يتقابلا منذ سفر شيرين إلى فلسطين في مهمة عمل عاجلة.

(5)

في طريقها إلى العمل في أحد عمائر شارع طلعت حرب، تلك المنطقة المكتظة بالبشر، حيث لا مكان لركن دراجة.. وليس سيارة فارهة كالتي تركبها شيرين.. تقبع شركة والدها للاستثمارالعقاري والتجارة العامة، كان قد ورثها عن والده الذي هاجر من فلسطين إلى مصر سنة 1945، كانت هذه الشركة صرحًا يدرّ عشرات المليارات عبر مكتب شبه متهالك يصلح للتخفي من الضرائب. لم يحب والد شيرين أن ينتقل لأحد الأبراج الفارهة خوفًا من الأقاويل.

تذكرت شيرين ذلك أثناء مرورها في شوارع وسط البلد .. المرة الأولى للقائهم القصير العميق في نفس الوقت. في تلك المرة ومع أول كلمات له ترك في نفسها أثر كبير، شخصية تغريك بالتقرب إليها، هو رجل بقلب طفل، حنون إلى أبعد الحدود ويحب أن يعامل كطفل، وما أجلهم هؤلاء الرجال المحبين لشعور الأمومة مع من تحبهم، رجل ناجح في أول خطوات حياته، مستقبله باهر، ابن عائلة مرموقة، رغم ظروفهم الغريبة.. منذ وفاة والده تحاشوا الجميع، وتركوا حياة الصخب، وباعوا كل شركاتهم ووضعوا الأموال في البنوك، كأن ما أصابهم لم يصب غيرهم. الجميع كان يرجح أن وفاة والد نادر لم تكن طبيعية، ولكن الطب الشرعي ضحد تلك الفكرة من أساسها، وأكد أن الوفاة طبيعية. تتوقف شيرين عن التفكير لتتأمل كيف أنها تتذكر كل تلك التفاصيل عن تلك الحادثة؟! آه، إنه والدها. كان يتكلم كثيرًا ويأتي بكل

الجرائد التي تكتب عن تلك الحادثة التي قلبت مصر في ذلك الوقت، كنا في أواخر الثمانينات. لم يتردد نادر أن يأخذ رقمها من صديقتهم المشتركة شاهيناز، رغم أن شيرين تكبره بخمس سنوات. ولكنه لم يكن بالنسبة لها أصغر سنًا، بل رجل مكتمل النضج، رجل يعرف كيف يتعامل مع المرأة جيدًا. ولكنه ذلك العيب الفظيع.. توقفت للمرة الثانية عن التفكير بعد أن كادت ترتطم بأحد السيارات. ولكنها عادت مرة أخرى وأكملت أفكارها.. نادر عندما يشرب دائمًا ما يتحول لشخص آخر. رجل مختلف عما عهدته. يتكلم بلسان الحق. وأننا سنهلك. وأننا جميعًا فاجرون. يجب أن نعاقب.. لا دينيًا.. ولكنه يتحدث من وجهة نظره الأخلاقية التي لا تتناسب مع طريقة إدارته للأمور. يشعر الجميع في ذلك الوقت أن من معنا شخص غير نادر. ولكن الجميع تعود عليه كذلك. واتفق الجميع على منعه من تناول كميات كبيرة من الكحول، لأنها بالفعل تقضي عليه تمامًا.

ينقطع حبل أفكار شيرين مرة أخرى.. ولكن هذه المرة على صوت رنة هاتفها مكتوبًا عليه "حبيبي". ابتسمت شيرين ابتسامة من القلب.. وردت في عجلة:

- ألو! نادر! ازيك يا حبيبي؟ صباح الخير.

- الحمد لله يا شيرين.. بصي عايزك تجيلي على الشقة انهارده.

- مفتكرش فاضية انهارده يا نادر.. وبعدين أيه؟ وحشاك قووي كده ؟

ضحكت شيرين في دلع.. وقابلها نادر بصمت عميق.. فأحست شيرين أن هناك شيء ما.. فقالت له:

- بس هحاول علشانك لأنك بجد واحشني.

ببرود لم تعهده شيرين من نادر.. رد وقال:

- تمام الساعة 10 هكون هناك.

- نادر أنت شارب الصبح؟

- لأ بس في حاجة كده حصلت هبقا أحكيلك بالليل.. باي يا حبيبتي.

- باي.

كانت شيرين قد وصلت إلى عمارة إيطالية الطراز، مليئة بالنقوشات، حيث يقبع في تلك العمارة مكتبهم.. نزلت من سيارتها فركض نحوها حارس المنطقة ليركن السيارة ويستلم الورقة ذات العشرون جنيهًا بسعادة بالغة. ودعى لشيرين بأن يفتح عليها الله.

الفصل الثالث

(1)

هلّت نسمات الليل في ربوع الجهة الغربية للقصر سنة 647هجرية بعد صلاة العشاء بقليل، الممرات فارغة إلا من بعض الجواري والغلمان يتممون على مواليهم وطلباتهم، وينفذون أوامرهم في هدوء ونظام، الممرات واسعة، والحوائط عالية مزينة بالنقوشات والبروزات والمنمنات والزخارف، كم هي رائعة تلك الزخارف؟!

تحركت أقدام إحدى الجاريات بخفيها الناعمين وملابسها المبهجة الألوان وشعرها الأسود المنسدل على كتفيها في خفة وروعة، يكاد بياضها يضيء في تلك العتمة التي لا يكسرها سوى ضوء البدر الذي تنعكس أشعته عليها، آه من تلك الجواري القادمات من قلب البلقان! إنهن حقًا ذوات فتنة، يا بِدع تلك الملامح القاسية الرائعة، وكأنهن ولدن جاهزات للقتل والغرام والأسرّة الفارهة، أوليس الغرام والفراش قتل أيضًا؟! يتطاير شعرها بفعل نسمات الهواء القادمة من العقود المفتوحة، تطل معظمها على باحة القصر الغربية المليئة بأشجار الفاكهة ذات الروائح الآسرة، الهواء نقي كعادته والجو هادئ.. ولكنه ينذر بشيء كبير.

حملت الجارية آنية عليها كاسات ودورق الشراب.. تمرّ في تلك الطرقات والممرات متجهةً إلى غرفة في آخر أحد الممرات، دخلت غرفة مالكها حيث ينتظر هو وأصدقائه الجارية بالمزيد من الشراب، كانوا على

موعد مع شيء إما قد يودي بحياتهم أو يجعلهم أبطال، كذلك هي دائمًا الأمور العظيمة.. إما أن تعليك شأنًا أم ترديك أرضًا.. وما أجملها لو تعليك.. ولكن؟!

خرج الكلام كوسوسة الشيطان.. هدوء مريب، وخشوع مصلٍ. لم يصلها من الكلام شيء سوى همهمات غير مفهومة. أطل النور بقوة من باب مجلس مليكها بعد العتمة التي ملأت ممرات القصر. لعل العتمة ستهجر القصر كله قريبًا.

ولكن.. يظل السؤال دائمًا: هل تنتهي الظلمة أبدًا؟ أم أننا نخدع دائمًا في أن ما سيأتي نور؟ ثم نكتشف أنه في النهاية نور خادع كسراب الصحراء؟!

دخلت الجارية إلى غرفة مليكها فقابلها بعض من المماليك في مجلسه، هيأتهم هيئة الجد، ولكنهم بدأوا في المزاح عندما دخلت هي إلى مجلسهم، وبدأوا في إطلاق تعليقاتهم عليها، أخبروا مليكها أن جاريته جميلة وفاتنة، وسألوه أن يعطيها لأحدهم، فهو يملك الكثير مثلها. دارتعليهم الجارية وهم جالسون على الأرائك تصب لهم الشراب، ظلوا في ضحكهم ولكزها بكلمات الغزل، وهي تبتسم في خجل وغواية، تربيتها بين وسط الجواري جعلها تعرف جيدًا كيف تتعامل في تلك الظروف.. اسأذنت الجارية في الرحيل بعد أن انتهت من تقديم الشراب.

كان ذلك هو مجلس فارس الدين أقطاي، وبعض من المماليك، كان أهمهم ركن الدين بيبرس، وكانوا قد أجمعوا أن لا بقاء لتوران شاه، ذلك العابث اللاهي لا يصلح ليبقى على رأس دولة كمصر.

- يجب الخلاص منه ومن فساده قبل أن يتغلغل في أركان الدولة، ويعلي من شأن مماليكه الذين جاء بهم للخلاص منا. هكذا قال أحد المماليك في لحظة غضب صريح بعد أن خرجت الجارية ببعض الوقت، نظر له أقطاي وأومأ برأسه مؤكدًا كلامه.. ثم صمت قليلًا وكأنه يفكر في شيء ما، ثم نظر إلى ركن الدين وقال له:

- ما رأيك يا ركن الدين في قول سيف الدولة أقطاي؟ عاد ركن الدين إلى الوراء واعتدل في جلسته، ونظر لهم جميعًا في نظرة سريعة، ثم أردف بقوله:

- أنا أرى أن نقتله. ولكن ليس بأيدينا، لو أننا قتلناه بأيدينا.. قيل قتله المماليك طمعًا في سلطة، ولواجهنا انتقاد.. بل وانقلابات لسنا نبغيها في ذلك الوقت عند وفاة توران شاه.

تلبه فارس الدين لكلام ركن الدين، واستوقفته تلك الجزئية بخصوص أن يقتله غيره. ثم أردف قائلًا:

- ماذا تعني يا ركن الدين بأن لا نقتله نحن؟! وبأن نأتي بمن يقتله نيابة عنا؟؟ أنا لا أفهمك. وأعتقد أن لا أحد من المماليك يفهم قولك ويعرف ما في رأسك، فقل واشرح لأننا حقًا جاهلون.

اعتدل مرة أخرى ركن الدين في جلسته وصمت قليلً،ا ونظر إلى الأرض وكأن خاطرةً قد داعبت خياله فأسرته لثوان معدودات، ابتسم ابتسامة مكر ودهاء وقال لهم:

- لن أشرح الآن. اتركوا لي بعض الوقت لأتبين الأمر وآتيكم بالخبر اليقين. ولعله النصر يا أقطاي.

فنظر له أقطاي متأملًا ثم نقل بصره إلى سيف الدولة وقال:

- إذًا سننتظر. ولكن تعجل.. إما أن يأتي يومنا قبل يومه، أو يردى قتيلًا على أيدينا فنصبح على سدة الحكم.. الأمر بحاجة إلى عجل.

فضحك بيبرس وقال:

- في أسرع وقت ممكن.

(2)

ركب نادر سيارته متجهًا إلى شقة يمتلكها في أحد المدن الجديدة المترامية حول القاهرة العجوز . اشتراها نادر منذ فترة ليست بالطويلة، فقط ليستطيع تقضية بعض الوقت بعيدًا عن منزله وعن تحكمات والدته، قد يكون اشتراها فقط ليشعر أنه قادر في أي وقت على الهروب من منزلهم -القابع في الزمالك- بنقوشاته، وشبابيكه العالية ولوحاته الزيتية الكبيرة، والأنتيكات باهظة الثمن، والإضاءات الصفراء، وورق الحائط ذو نقشة "الحمامات الشبيهة بصقور"، كأنه متحف، وليس منزل أسرة تعيش في الألفية الجديدة، كان هروبًا أيضًا من ذكرى وفاة والده التي تحيط بهذا المكان، حيث وجدوه ملقيًا على الأرض في أحد الغرف وحوله بقعة من الدماء.

كان المشهد شديد البشاعة.. وكان إلى جواره مسدس، كشفت التحقيقات بعد ذلك أن عليه بصمات القتيل فسجلت القضية انتحار، وتوسطت والدة نادر في تلك القضية لينشر في الجرائد على أنها وفاة طبيعية، واستطاعت بفضل ثروة زوجها أن تسكت كل من حاول أن ينشر غير ذلك، خوفًا على مظهر العائلة الاجتماعي، بل ومظهرها هي بالذات على الأخص، كيف للمال أن يسيطر على أفواه الصحافة في بلد لا يوجد للصحافيين تأمين صحي محترم؟ بل ورواتب مقفرة؟ طبيعي جدًا أن يصمت الجميع أمام بعض الأموال من خزينة عائلة الشوربجي.. وتدخلات بعض أولي الأمر والواصلين. كما أنه كان من

السهل السيطرة على الأخبار في ذلك الوقت، حيث لم يكن هناك إلا بعض الصحف الصادرة عادةً من مطابع الحكومة. الكل صمت عن تلك الحادثة التي كانت لتؤرق الوسط المالي والداخلي وتصبح حديث المدينة، الكل صمت إلا شخص واحد. فوزي عبد المجيد رئيس تحرير جريدة "الحر" التي تصدر من تحت سلم أحد عمارات وسط البلد. نعم جريدة تصدر من تحت السلم، مطبعة متهالكة وتوزيع يومي.. وفي بعض الأوقات أسبوعي.. وأوقات شهري، لم يكن لها موعد ولا خريطة إصدار معينة، جريدة صفراء مهتمة فقط بفضائح الفنانين وبعض الإشاعات المسربة من الأقسام وبيوت الدعارة. جريدة لم تهتم الدولة بها، أو لم تسمع عنها حتى وقوع كمال الشوربجي قتيلًا. بدأ فوزي عبد المجيد، ذلك الصحفي النازح من الأرياف إلى قاهرة المعز، بالتقصي خلف القضية في الأقسام والنيابة، ولأنه وضيع المكانة لم يهتم أحد بوجوده، مما أعطاه سهولة أكثر في الحركة، وتقصي المعلومات، اشتم رائحة أموال الهانم، فاهتم أكثر بالقضية، حتى أنه اهتم أكثر من اهتمام النيابة بالقضية. قام بعمل تحقيق خاص، وبدأ في اقتراض الأموال من هنا وهناك ليصرف على "كروش" كاتبي العدل، وصولات الأقسام، وأمناء الشرطة. كل هذا ليجمع خيوط الموضوع، ويحصل على كل ما يفيده. لينشر تقريرًا صحافيًا وافيًا, هو يعلم أنه سيأتي له بالكثير. هو يعلم ذلك جيدًا. ففي بعض الأوقات يكون الطريق المخالف أسهل الطرق للوصول إلى الهدف.

(3)

تضيء أنوار مصابيح السيارات عتمة طريق مصر السويس الصحراوي. فأعمدة الطريق مطفأة ليلًا، وتعمل صباحًا، كنوع من أنواع ترشيد الطاقة! حالها كحال أغلب المصريين، يعملون في أوقات ليست مخصصة للعمل.. ففي أوقات الجد تجد المواطن مضطر لاستخدام مقويات لتأدية بعض الأعمال المنزلية البسيطة. البلد كلها بحاجة إلى مقويات.

تبرق الأنوار من حين لآخر في عيني نادر فتقطع تركيزه في اللاشيء. لو يفكر في أي شيء على الإطلاق. تسيطر عليه حالة لا مبالاة غريبة، وكأن عقله يحتاج لغلقه وإعادة تشغيله مرة أخرى. عادة المصريين في حل مشاكل أي شيء، يخبرونك دائمًا أن:"اقفله وافتحه تاني هيبقا كويس".

لم يفكر نادر فيما جرى صبيحة هذا اليوم، أو تهرب من التفكير في من هذا الذي يدعوه للقاء؟ ولماذا يهدده تارة ويخبره أنه صديق تارة أخرى؟ كان يهرب من التفكير لأنه لا يريد أن يشغل باله بهذا الموضوع. اعتقد أنه خدعة وتهريج سخيف.

ولكن ما الذي جاء بصور والده لهذا المظروف؟؟

لم يكن يريد التفكير حقًا في كل هذا، ولذلك يهرب إلى تلك المرأة التي تفصله عن هذا العالم دائمًا. وتضع حدًا لكل هذا "القرف" المرتبط بالعمل، والتفكير، وهذه المواقف التافهة. إنها الهروب الدائم وهيروين هذه الحياة "شيرين". قطعت كل ما يدور في أعماق عقله الباطن تلك الأنوار التي تضيء مباشرة بعيني نادر من السيارات القادمة من الجهة الأخرى.

نظر نادر حوله باحثًا عن علبة سجائره الفضية الصغيرة الموضوع فيها بعض من السجائر الملفوفة. فتح العلبة ورفع إحداها إلى فمه، أشعلها وفتح شباك سيارته قليلًا ليختلط الدخان الداخل إلى رئتيه ببعض من الهواء الطازج البارد. نظر نادر إلى تسجيل السيارة وضغط على زر التشغيل لتنساب أغنية "Jazz" قادمة من السبعينات بصوت "etta james" دائمًا ما يرتاح نادر لصوت هذه المغنية لسبب ما يجهله، عله الحزن المسيطر على صوتها، أو شيء آخر. في تلك الأثناء يرن هاتف نادر، نظر إلى شاشة عرض الأسماء متصورًا أنها شيرين ليجد اسم شاهيناز.

حمل الهاتف في يده واستغرق ثوانٍ معدودة في تقرير أهمية الرد على شاهيناز الآن. ولكنه أجابها في النهاية.

- ألو شاهيناز هانم أزيك؟

- هانم؟ ماشي يا سيدي أنت فين يا نادر باشا؟

- مشوار كده.

- مش هتيجي نسهر انهارده؟

- لأ مفتكرش.

- كلمت شيرين تقريبًا هنتقابل آخر الأسبوع.. هتيجي؟

- آه، آه، أكيد.

- ما تركز معايا شوية يا عم.

لم يكن نادر يريد الاسترسال في الكلام، وتشاء الصدفة أن يأتي ما يخرجه من هذه المحادثة بهدوء، إنه تليفون شيرين تتصل به على الخط الآخر..

- طيب شاهيناز هقفل معاكي عشان شيرين بتصل هكلمك تاني. أغلق نادر الاتصال مع شاهيناز ورد على شيرين:

- إيه يا حبيبتي أنتِ فين؟

ردت شيرين:

- خدامتك شيرين مستنياك في الشقة يا معلمي. ما إن سمعها نادر إلا واحمرت عيناه من كثرة الضحك، وقال لها:

- يا مجنونة! والله وحشاني، وهموتك عشان تبقي تزعلي تاني يا مدام الشوربجي. ضحكت شيرين وقالت:

- مستنياك.

وصل نادر إلى بوابة المدينة. فتح له الحارس البوابة المعدنية ودخل نادر بسيارته حتى وصل إلى عمارة 25 التي تقع فيها شقته. المدينة هادئة كعادتها. تقف العمائر موحدة الطراز بشكل راقي، مزينة بأشجار وحشائش خضراء في كل مكان، وإضاءة خافتة هادئة تنبعث من أعمدة الإنارة الموجودة في الشوارع الداخلية للمدينة.

ترجل نادر من سيارته وسحب نفسًا عميقًا من الهواء المختلط برائحة الحشائش الخضراء. نظر نادر إلى ساعته التي تشير للعاشرة مساءً.. اتجه نحو باب العمارة ثم توقف قليلًا وكأنه تذكر شيء ما.. فتش في جيوبه فلم يجد كيس التبغ ولا ورق البفرة. فعاد مرة أخرى إلى السيارة باحثًا عنهما تحت الأوراق على الكرسي المجاور له. وجدهما تحت كومة الأوراق فقام بسحبهما وخرج من السيارة وأغلقها واتجه إلى باب العمارة مرة أخرى.

الممر المؤدي لباب العمارة محاط بنبات أخضر مرتفع عن الأرض، يوجد في آخره كرسي بلاستيكي إلى جانبه طاولة عليها تليفزيون صغير يخص عامل الأمن، عم فؤاد.. الذي ورغم سنواته الخمسين ما زال محتفظًا ببنية قوية نوعا ما. له "كرش" متوسط الحجم. لـ"عم فؤاد"

صوت ضخم، ولكنه شخصية ودودة.. يحب أستاذ نادر كما يدعوه دائمًا، ويدعي له، ونادر يغدق عليه دائمًا بالأموال كلما مر على شقته.

كانت خطوات نادر مسموعة، فالتفت له عم فؤاد وركز نظره جيدًا، فالإضاءة الخافتة لا تساعده على تبين ملامح الوجه، ونادى:

- أستاذ نادر؟! فرد عليه نادر:

- أيوه يا عم فؤاد نادر. فقام فؤاد مسرعًا من مكانه مهللًا لقدوم نادر:

- إزيك يا بيه؟ طولت غيبتك المرة دي، والله ليك وحشة. ابتسم نادر وقال:

- إزيك يا فؤاد؟ كان يقولها نادر دون توقف، توجه إلى مصعد العمارة على عجالة من أمره وصوت عم فؤاد منتشر في المكان مهللًا ومرحبًا حتى دخل نادر إلى المصعد، هَمَّ المصعد بالصعود للدور الخامس حيث شقته رقم "13"، وصوت عم فؤاد يقل تدرجيًا حتى اختفى تمامًا. كم يكره نادر رقم "13" أوليس ذلك منطقيًا؟

(4)

كانت الساعة تشير إلى السابعة مساء في أحد ليالي شهر يناير سنة 1989، حين سمع أهل شارع أبو الفداء في الزمالك لأصوات إطلاق نار هزت هذه المنطقة الهادئة، قليلة الصخب في العادة، لكن أحد من أهالي المنطقة لم يستعلم عن الحدث. حتى سمعوا صوت الإسعاف وسيارات الشرطة القادمة في سرعة لعقار رقم سبعة فيلا الشوربجي. عندما تساءل أهل المنطقة قيل أن كمال الشوربجي قد قُتل أو شيء من هذا القبيل. لم يتأكد أحد بعد، فالإشاعات تنتشر دائمًا بعد وفاة أي شخص معروف.

كانت الخادمة في المطبخ حين سمعت إطلاق نار مدوٍ يصدر من الدور العلوي، فهرعت من المطبخ مسرعةً إلى بهو المنزل لتجد رضا الجنايني يسرع قادمًا من الخارج، انطلق كل منهما للدور العلوي حيث سمعا أنات وتأوهات تأتي من الغرفة المقابلة للسلم ناحية اليمين قليلًا. دخلا إلى الغرفة ليجدا كمال الشوربجي ملقيًا على الأرض حوله بركة من الدماء، الرصاصة اخترقت رأسه جهة اليمين لتخرج ناحية اليسار. كل شيء مرتب وفي مكانه فقط الشوربجي مقتول في منتصف الغرفة.

كانت مدام الشوربجي خارج المنزل هي ونادر ابن الخمس سنوات في ذلك الوقت، وعندما عادت إلى المنزل وجدت زحام غريب حول منزلهم. سيارة إسعاف وشرطة والجميع متأهب. حراس وعاملوا الفيلل

المجاورة يملأون المكان، يقف أمامهم أفراد الأمن يمنعون دخولهم أو أقترابهم.. اجتازت مدام الشوربجي ممسكة بنادر هذه الصفوف حتى وصلت لحائط رجال الأمن، لم يسمحوا لها بالدخول حتى نادت على ظابط كان يمر خلف السور البشري، نظر لها وقال:

- اؤمري يا مدام؟؟ قالت:

- ده بيتي. أنا حرم كامل الشوربجي.. هو في إيه؟! تأمل الضابط قليلًا وكأنه يفكر في شيء ما، ثم سرعان ما قال للجنود بصوت مرتفع:

- وسع يا ابني للمدام.. وسع. وسع.

بدأ الأفراد في الحركة يمينًا ويسارًا تاركين المجال لها للمرور. قال لها الضابط متعجلًا:

- متقلقيش يا فندم. إن شاء الله خير. نظرت مدام الشوربجي في رعب لكل هؤلاء الاشخاص في منزلها الهادئ عادةً. هرعت إليها أم أحمد وهي تبكي عندما رأتها تدخل إلى ساحة المنزل. وقد كانت أم أحمد تجلس على سلم الفيلّا، سألتها المدام:

- هوفي ايه يا أم أحمد؟ في إيه؟ حد يرد عليا! قالت لها:

- تعيشي أنتِ. البيه الكبير مات، ربنا يرزقك الخير في البيه الصغير. ثم بدأت في البكاء والنحيب.. أسرعت في تلك اللحظات مدام الشوربجي،

يجري وراءها ذلك الطفل ذو الخمس سنوات متأخرًا عنه، وصلا إلى الغرفة العلوية التي وجدتها تعج برجال التحقيق، ورجال النيابة، ورجال الطب الشرعي، وزوجها ملقى على الأرض مضرجًا في دمائه. لم تتخيل المنظر. ولم تصدقه. انهارت من وقع الصدمة.. وفقدت الوعي في مكانها.

عندما أفاقت كان هشام زاهر، معاون قسم قصر النيل، ينظر لها مخاطبًا:

- البقية في حياتك. خسارة كمال بيه خسارة مش ليكوا بس.. ده خسارة لمصر. وناولها كوب من الماء. في تلك الأثناء كانت قد بدأت في استرجاع وعيها مرة أخرى، وبدأت تتفهم الموقف، أن زوجها قد مات، هي لا تعرف الأسباب، ولا تفهم ما الذي جرى، ولكن هناك حقيقة واحدة.. كمال مات.

قطع هشام زاهر صمتها وأفكارها مخاطبًا إياها:

- اتفضلي أنت وابنك بره يا هانم. المكان غير مناسب للولد وليكي. نظرت له في صمت ثم قالت:

- ممكن أقرب منه أشوفه؟

- طبعًا من حقك. بس بسرعة ومتلمسيش حاجة لأن الطب الشرعي لسه بيرفع البصمات من المكان لوجود شبهة جنائية. ممكن قتل أو انتحار. قالها وصمت وهويشاهدها تقترب من الجثة.

كم هم عديمي الاحترام واللباقة رجال الشرطة هؤلاء! يرمون بكلمات كالموت، والقتل، والانتحار بسهولة!

هذا ما كانت تفكر فيه مدام الشوربجي وهشام زاهر يخاطبها بأنه يحتاج لها لبدء التحقيق قريبًا، ولكنه سيتركها الآن لتهدأ أعصابها، ثم وقف فجأة وقدم لها العزاء مرة أخرى، وتركها هي وولدها في بهو المنزل ينظران في ذهول لما يجري، في خلال دقائق رحل الجميع عن الفيلا بعد غلق الغرفة في الدور العلوي بالشمع الأحمر، وأصبحت عائلة الشوربجي دون كمال الشوربجي بين ليلة وضحاها، وكل ما يدور في عقل الهانم الآن من قتل زوجها؟ هي تعلم جيدًا أنه قتل ولم ينتحر.

كمال لم يكن من نوعية البشر الذين يقدمون على الانتحار، ولكن من قتله؟

(5)

يدوي في الممر القائم أمام شقته صوت طقطقة مفتاح الباب. يدلف إلى داخل الشقة بهدوء ويغلق الباب من خلفه. الشقة مفروشة على النظام الحديث. في الزاوية البعيدة يوجد مصباح سلطت إضاءته للسقف، إلى جواره أريكة وكرسي باللون البني، بينهما طاولة تجمعت عليها بعض الأتربة بحكم طول مدة غياب نادر عن المنزل. يواجههما تلفزيون معلق على الحائط لم يفتح إلا مرات قليلة جدًا.

عندما وجد نادر المصباح مضيء أيقن أن شيرين قد وصلت، ولكن أين هي؟ عادةً ما تنتظره على هذه الأريكة. بخطوات بطيئة اتجه نادر إلى الممر الذي على يساره نحو غرفته، فوجد الباب مغلقًا يشع نور طفيف من أسفله، فعلم أن شيرين بالداخل، فتح الباب مركزًا نظره على السرير الذي في واجهة الغرفة ليجد شيرين مستندة بظهرها إلى السرير، ترتدي قميص نوم أسود يظهر مفاتنها بشكل واضح، ذلك الصدر الدائري مكتمل التكوين، مرمري اللون، وكأنه صدر لتمثال آلهة رومانية قديمة. وقدماها إحداهما ممدودة والأخرى مرفوعة لأعلى، تلمعان بحذر في انعكاس لضوء "الأبجورة" القريبة من السرير. شعرها أسود اللون، ينساب على كتفها بشكل رائع وسحر عميق، شفاهها تنبض بالحياة ولون وردي يلمع على استحياء، وشوق دفين، إنه الشوق الناتج عن البعد والخلاف فيما بينها وبين نادر. .ذلك الخلاف القائم بينهما منذ أسبوعين، هل تدري ما يخلقه البعاد لمدة

يوم واحد بين قلبين عاشقين؟ لو علمت ستراعي ما خلفه البعد لفترة أسبوعين، ولو لم تعلم فانظر لعيني تلك الرقيقة "شيرين" وما بهما من شوق ولهفة. وتحسس تلك الحرارة المنبعثة من وجنتيها المضيئتان بحمرة خفيفة.

ابتسم نادر ولم يتكلم، لعله كان هو أشد شوقًا من شيرين. خلع عنه ملابسه ورماها على الأرض في مكان ما في الغرفة. واقترب منها حتى تلاقت حرارة شفتيه مع حرارة شفتيها. لماذا لا يستخدم العلماء تلك الحرارة في توليد الطاقة؟ بالكاد ستصبح لدينا مشكلة. تتلمس يدا نادر مواضع ذلك الجسد النابض بالحياة. ذلك الجسد الذي يجعل للعمر معنى على هذه الأرض، يمر على ثغرها مرورًا برقبتها نزولًا إلى نهدين صامدين متأهبين كحبتا فاكهة استوائية. يمر بهدوء وحذر تاركًا قبلة في كل مكان يمر عليه، قبلة أن سأعود.. انتظر، وتتحسس شيرين جسد نادر، وعضلات صدره بهدوء ولهفة لأن يحتصرها بين يديه بضمة تخلف لها آلام جميلة، تمرر يدها على ظهره لتضمه إليها ويكتملان. تتحسس تلك الندب على ظهره.. كم تحب تلك الندبة وتحب أن تمرر يداها عليها كلما التقيا، وفي كل مرة تفكر أهذه ندبة أم وشم ما؟؟

آه من ذلك الشوق الذي يملأ المكان، والوهج يشع من جسدين قاتلين ومقتولين، جسدين خلقا ليتقابلا في يوم ما.. هي دائمًا الأجساد كالأرواح، تخلق لتتآلف وتتجانس كقطع الميكانو، كل غور وبروز

وانحنائة وملمس خلق ليتكامل مع شخص آخر، ليخلق جسد واحد متكامل يرمز لوحدة الكون، وآهٍ من ذلك الجسد في حالتهما.

تختلط تأوهات شيرين مع تنهدات نادر، يتساقط العرق على جسد شيرين حتى يتلألأ ويزيد إشعاعه، تتشابك الأيدي، وتتلاقى الصدور، وتتعارك الأرجل في سيمفونية رائعة يعلوا كل مدى أوجها ويهبط تبعًا ليدي مايستروا بارع، فهنا تشد على يديه، وهنا يلثمها بقبلة، وهنا يعلوا التأوه حتى يملأ الكون، وهنا يهدآن وكأنه بركان ثار وفار حتى أتت الأرض بما فيها وأحرقت كل شيء، ولكن لا تنكر أن أبدع الصور التقطت للبراكين وهي تخرج الحمم من باطن الأرض مضيئة مبهجة، إنها روعة الخلق بأن نرى كل شيء في صورة رائعة حتى وإن كانت التأوهات والألم الرائع ينساب إلى الأجساد والقلوب والشفاه، قبلها على ثغرها قبل أن يعتدل في جلسته مخاطبًا إياها:

- كنتي وحشاني جدًا يا حبيبتي. فردت بابتسامة وقالت:

- وأنت كمان وحشتني. نزل نادر من السرير باحثًا عن بنطاله ليأتي بكيس التبغ وورق البفرة حيث انتهت سجائره الملفوفة، جاء بالتبغ ذو الرائحة القوية المختلف تمامًا عن تبغ السجائر العادية، وجلس إلى السرير مرة أخرى، استلقى واعتدلت شيرين لتجلس عارية بين يديه لينثر بعضًا من التبغ على نهديها ليختلط برائحتها وعرقها، ثم يضعه في سيجارة تلثم شيرين أحد أطرافها بشفتيها، يلصق السيجارة لتصبح

جاهزةً للاشتعال، كل شيء بين شيرين ونادر مرتب دون قول، وكأنهما خلقا لفعل الغرام والمتعة كل يعلم دوره بتناغم رائع يشبه تناغم تعاقب الليل والنهار، كم هم رائعين! يشعل نادر سيجارته ليسحب نفس عميق ويخرج دخان يملأ حيزهما.

نظرت إليه شيرين ثم قالت:

- مالك ساكت ليه؟ ما تقول أي حاجة.. هو احنا جايين هنا عشان نسكت؟ صحيح ايه الموضوع بتاع الصبح اللي قولتلي هحكيهولك باليل؟! صمت نادر قليلًا وبدا عليه التفكير والشرود ثم قال لها:

- أي موضوع؟ نظرت له شيرين باستغراب

- الموضوع اللي كان معصبك الصبح يا حبيبي.. نادر في ايه؟؟! مالك؟ تنبه نادر لما تقوله شيرين، وتذكر ما كان يريد أن ينساه، وبدأ في سرد القصة لها، منذ أسبوعين حينما وجد "صخر" مربوط بقدمه حتى دمت، وإلى جواره ظرف أصفر مختوم.. لم يعلم يومها نادر أن صخر مصاب إلى أن جاء اليوم التالي، حكى لها نادر كل التفاصيل التي يتذكرها حتى لحظة أن جاءه الهاتف في الصباح، وكيف أنه وجد في الظرف صورًا لوالده مع أناس لم يتعرف عليهم، ولكن الوضع كله مريب بالنسبة له، صمتت شيرين تسمع بإنصات حتى انتهى نادر قائلًا:

- بس أنا مشغلتش بالي، الموضوع أكيد اشتغالة أو هزار رخم أو حاجة قديمة بين والدي الله يرحمه وواحد مختل، دي مش أول مرة تحصل حاجات هبلة زي دي من ناس مجنونة.

شردت شيرين للحظات وباغتته بالقول:

- نادر الراجل ده جاب صور قديمة لأبوك منين؟؟ ومنين بيقولك إنه صديق وعايز يخدمك؟ الراجل مبينش أي نية كره ليك، بس عايز يقابلك لشيء ما، ليه متقابلوش وتعرف عايز إيه؟ يمكن عارف حاجة بخصوص والدك انتوا متعرفوهش. أنهت شيرين قولها وهي ترتدي بنطالها وحمالة الصدر الخاصة بها، وفي خلال دقائق قليلة كانت قد ارتدت ملابسها كاملةً، قالت في تعجل:

- لازم أروح يا حبيبي، اقفل الأنوار كلها مش زي كل مرة تسيبها منورة وتمشي، ومتتأخرش في المرواح.. ولا هتبات هنا ؟؟ كلمني عمومًا قبل ما تنام.. وحوار الراجل الغريب ده متشغلش بالك بيه لو كلمك تاني قابله، ألموضوع مفهوش شيء يخوف.. أنا ماشية يا نادر. نظر لها نادر واستدعاها إليه ليطبع قبلة على شفتيها. ثم راقبها وهي ترحل بمؤخرتها الرائعة ووقع أقدمها يقل صوته كلما بعدت حتى اختفى واختفى معه تدريجيًا وعي نادر حتى استلقى نائمًا كطفل.

الفصل الرابع

(1)

جلس إلى مكتبه ناظرًا إلى الأفق عبر نافذة مكتبه. توجد في الخلفية صورة الرئيس حسني مبارك، واضع أمامه كوب قهوة كبير، تظهر عليه آثار التعب من الأيام المتتابعة عليه منذ وصله في مساء أول أمس خبر وفاة كمال الشوربجي، ذلك الخبر الذي قلب القسم رأسًا على عقب، بل قلب الوزارة كلها أن أحسن التعبير، ليست من الصدف الحسنة أن يموت في مجال سلطتك وقسم الشرطة الذي تعمل فيه شخص بحجم كمال الشوربجي في قضية بها شبهة قتل، إنها تعتبر قضية رأي عام كاملة الأوصاف، لم تتوقف التليفونات منذ أول أمس الكل يطمئن على مجريات الأحداث، الكل يستعجل في إخراج بيان مندوبين وزارة الداخلية من لواءات وقيادات قدموا إلى القسم أكثر من مرة، الظروف لا تساعد على العمل بشكل طبيعي.

كل هذه الأفكار تدور في عقل هشام زاهر، وأكثر.

هشام زاهر معاون قسم قصر النيل.. ثلاثيني ذو شعر أسود وبنية جيدة نسبيًا لولا كرش بسيط تكوّن بسبب كثرة الجلوس والزواج، له ملامح جادة ولكنها أقرب للطفولية، جادٌ في عمله وله صحيفة إنجازات جيدة في ميادين عمله، شره جدًا في شرب السجائر والقهوة، قليل النوم مما يجعله دائم الإرهاق، ولكنه يخفي هذا الإرهاق بابتسامات مصطنعة يرميها من حين لآخر على الجميع.

في حوالي الساعة الواحدة ظهرًا طرق الباب ويدخل العسكري مخاطبًا هشام زاهر:

- باشا في مدام بره عايزة تقابلك بتقول في معاد سابق يا فندم. نظر له هشام وكأنه يتذكر شيء ما ويسترجع جدول مواعيده. ثم أشار إليه بأن يسمح لها بالدخول. فخرج ودخلت السيدة، والتي تبين أنها مدام الشوربجي، قام هشام من على كرسيه متجهًا إليها وقال:

- إزيك يا هانم؟ إن شاء الله بخير.. ربنا يرحم الباشا ويغفر ليه، صاحب أيادي بيضاء على الجميع.. والبيه الصغير والهانم الصغيرة عاملين إيه؟ هزت رأسها تحيةً لهشام زاهر وقالت باقتضاب:

- تمام.. تمام الحمد لله. كنت طلبت مني أمر عليك لأخذ أقوالي، وأنا دلوقتي جاهزة. كانت تتحدث بجدية تامة، تخفي ألمها وغضبها وشعورها بالضياع ووقع الصدمة، ولكنها سيدة قوية الكل يعلم أن لا شيء قادر على كسر قوتها وهيبتها، هي هكذا دائمًا. تنهد هشام زاهر وسحب علبة سجائره ومدها للمدام، هزت رأسها بالشكر ولكنها لم تأخذ من سجائره، وأخرجت علبة سجائرها وسحبت سيجارة. أمال هشام زاهر ظهره للخلف بعد أن أشعل سجيارته، وسحب نفسًا عميقًا بتمهل، وقال لها:

- في الحقيقة يا مدام أنا كنت ناوي آخذ أقوالك، بس للأسف في حاجة حصلت خلت كل التحقيقات تروح لطريق واحد.. مستحيل أي

ظابط يغفل شهادة اللي كانوا في قلب الحدث، وتقرير الطب الشرعي. ثم صمت قليلًا وسحب نفسًا آخرًا من سيجارته، تلاه ببعض رشفات القهوة، ونظرة شاردة للحظات قطعتها المدام بقولها:

- أنا مفهمتش أنت عايز تقول إيه يا هشام بيه، أنت محرج تقول حاجة صح؟ شعر هشام زاهر بالإحراج لصلابتها في الكلام وسخريتها منه.. فقال:

- في العادي يا مدام القضية بتبدأ بالتحقيق مع الجميع، ووضع خريطة كبيرة للمسببات ودوافع القتل، وبعدين رفع البصمات والطب الشرعي يبتّ في البصمات والجثة في حالة كمال باشا ده كله حصل في يومين.. متسألنيش إزاي؟؟ حضرتك البلد مقلوبة، والمديرية والوزارة، أنا حققت مع البواب والجنايني والشغالة، كلهم قالوا إن محدش دخل أو خرج من الفيلا، وإنهم لما وصلوا للأوضة مكنش في أي أثر لحد، بس طبعًا ده كلام مبنقفش عنده دائمًا، وبنستنى تقرير الطب الشرعي، اللي أثبت برضه إن مفيش بصمات في الأوضة غير بصمات كمال باشا، والسلاح المستخدم مرخص وعليه بصمات المجني عليه، يعني القضية راحت للانتحار، تقرير الطب الشرعي بيقول الطلقة كانت قريبة جدًا، يعني ممكن هو نفسه اللي ضربها. قاطعته هنا وقالت:

- أنت بتقول ممكن، ليه مقولتش أكيد هو اللي قتل نفسه؟ كانت تقولها وكأنها تتحدث عن شخص آخر غير زوجها. كم هي قوية هذه السيدة!

- لأن في شيء أنا خدت بالي منه لما وصلنا موقع الجريمة.. الطلقة دي دخلت من اليمين، المسدس لو كان على الرأس بيسبب حرق.. ثم اختراق الطلقة للرأس، ولكن في حالة الباشا الطلقة ممسببتش حرق، بس هيا برضه من مكان قريب، بس ليه واحد بيموت نفسه يبعد المسدس عن راسه بالقدر ده؟ ممكن خوف، أو ممكن في حد ضرب النار عليه، بس حد عارف بيعمل إيه، المشكلة إن كل كلامي ده مبيفيدش بحاجة، لأن الطب الشرعي قال كلمته وهم أعلم بشغلهم.

- يعني انت هتقفل القضية بأن كمال انتحر؟ قالتها بحزم وصرامة بعد أن أطفأت سيجارتها في المنفضة بعصبية.

- أنا عبد المأمور يا هانم، الوزارة قالت لي القضية تتقفل في أسرع وقت، وتقرير الطب الشرعي جه بما لا يجعل هناك شك أن الجريمة انتحار.

أشعلت سيجارة أخرى وسحبت نفسًا عميقًا وقد بدا عليها التوتر الذي تحاول

أن تخفيه بشتى الطرق. صمتت قليلًا وكأنها تفكر في شيء ما، وقالت:

- بص بقا يا هشام بيه، القصص اللي حكتهالي دي كلها متسواش عندي أي حاجة، كمال شخص قوي، معندوش أي أسباب للانتحار، عمره ما كان عنده مشكلة تلزمه إنه ينهي روحه بإيديه، أنا عارفة إن أنت متقدرش تعمل حاجة، ومفيش حاجة في إيدك أنت عبد المأمور، وأنا كمان ميلزمنيش كلامكوا ده كله، بس هقولك حاجة أخيرة قبل ما أمشي، كلمة تخرج للصحافة من مكتبك ده أو قسمك ده عن إن كمال انتحر اعرف إنك مش هتبات ليلتكوا وأنت ظابط، بلغ اللي مشغلينك بده، وأنا هعرف أجيب حق كمال وشكرًا على تعبك في القضية. ثم نهضت المدام وتركت هشام في حالة صدمة مما قالته، حتى أنه لم يستطع أن ينطق ببنت شفة، صدم وهو يراقب المدام تخرج من مكتبه بتنورتها القصيرة وكعبها العالي المطقطق على أرض باركيه غرفته، لم يكسر صدمته إلا انحنائها ونظرتها له، قالت:

- زي ما فهمتك، حافظ على كرسيك، محدش يعرف حاجة، ويمكن يجيلك ترقية محدش عارف! قالتها هذه المرة وفيها نوع من الترغيب المختلط بالترهيب، قالتها كأنثى تبث سحرها في المكان وكأنها ترسل تعويذة ما، وبعدها أغلقت الباب وخرجت تاركةً هشام زاهر منتظرًا لحظة تعاسته ومستقبله المهدد بالضياع فقط لأنها تستطيع. نادى هشام على العسكري الواقف أمام غرفته:

- اندهلي كل اللي شغالين في القسم ده يا زفت الله يحرقكوا. وأسند ظهره إلى الخلف وسحب نفس أخير من سيجارته وقال:"ربنا يستر".

(2)

كان الظلام يطل على أرجاء المدينة، تراصت البيوت جوار بعضها كقطع الحلوى، كل من تلك البيوت التي لا يسهل التفرقة بينها كان قد حوى أعراقًا ودياناتٍ مختلفة، مما قسمها إلى مناطق يغلب على أكثرها أنماط معينة، ولكنهم يتعايشون في سلام مقرون بعقاب لم يخرج عن الأوامر والشروط.

تطفئ المنازل أنوارها بالتدريج، ولم تبقَ سوى أنوار القناديل المترامية في الأزقة الخارجية للمنازل، ورجال العَسَسْ يتنقلون للتأكد من أن الأمن مستتب في المدينة.

في تلك لأثناء يسير رجل متلتحفًا بعبائة لا يظهر منه شيء غير عينين، وأثر لسيف في خاصرته، متجهًا إلى أحد المنازل في آخر السوق، نسمات الهواء العليل دعت بعض الشباب للسهر أمام أحد الدكاكين في السوق، ولكنهم لم يهتموا لمرور هذا الرجل في ذلك الوقت، سار بخطوات جادة لا يتلفت يمينًا أو يسارًا، يعرف هدفه جيدًا ويظهر عليه من مشيته أنه عازم على أمر ما، وصل إلى أحد المنازل، يدق الباب ثلاث دقات، فيسأل من بالداخل عن القادم في ذلك الوقت، فيخبرهم باسم كانوا قد اتفقوا عليه قبل هذه اللحظة، الرجاء بن سعيد، يفتح الرجل الباب على استحياء، يدخل الرجاء بن سعيد ويخلع العبائة ليكشف عن وجه آخر، إنه ركن الدين بيبرس، أحد مماليك القصر،

جاء لموسى بن المنذر في أمر ما على عجل، أمر ما ستطير له الرقاب إن كشف أمره بالتأكيد، أمر به من السرية ما يلزم كل هذه الريبة التي تظهر على الوجوه، حتى وجه ركن الدين.

يقف الآن ركن الدين داخل المنزل محاط بثمانية رجال على رأسهم موسى بن المنذر، يقرئهم ركن الدين السلام فيردوا عليه، يومئ موسى لأحد الرجال فيصعد لأعلى السطح مراقبًا الأجواء، ثم يتجه موسى وركن الدين إلى أحد أركان المنزل ويجلسان على أريكة موضوعة هناك..

فينظر ركن الدين إلى موسى قائلًا:

- لقد حان الوقت يا موسى، فهل أنت معنا أم علينا؟ سأكون صريحًا معك، نحن قادرون على أن نقتله وحدنا، ولن يمنعنا أحد، ولكن لو قتلناه سيقال طمعًا في سلطة وجاه، وأنت تعلم أن ما هي إلا للقضاء على بطشه وفساده، ونحن لا نبغي سوى الخير للعباد. نظر له موسى قليلًا ثم أردف قائلًا:

- ولكن ما الذي يضمن لي أنكم غير طامعين في سلطة البلاد ونهب قوت العباد؟ لا تستغرب قولي أنا أعرفك جيدًا منذ أن حملنا السلاح معًا يومًا ما، وأفديك برأسي. ولو لم أكن أثق فيك لما دعوتك يومًا لتكون معنا. ولكن أنت تعرف أنه إرث حملناه، وعاهدنا الله جيل بعد جيل أن نكون سيف على رقاب من تسول له نفسه فساد أو قتل من

أصحاب السلطان، نحن لا نطمع في أي سلطة، ولكننا موجودون دائمًا في كل مكان لتنفيذ العدالة الربانية، الحاكميون منذ نشأتهم في عصر الفاطميين وكان هذا هعدهم، لا أريد أن أدنسه في معركة على سلطة. شرد ركن الدين قليلًا ثم قال:

- أنا أعاهدك برقبتي أن لا مكان لطمع في سلطة، وأننا فقط نريد أن تستعيد دولتنا قوتها دونما وصاية من أحد، ونعطي الحقوق لأصحابها، أعاهدك بما لنا من حمل سيف للقتال في معارك واحدة أن ننتصر للضعفاء، وللضعفاء فقط، فلا تخف يا صديقي، إنني أحافظ على كلمتي كما عهدتني. صمت موسى قليلًا بعد أن أنهى ركن الدين كلامه وكأنه يفكر في شيء ما. ثم قال بتشكك:

- أخاف أن تكون الدنيا قد غرتك يا صديقي، وطمع السلطة قد أعماك، ولكن ليس أمامي إلا أصدقك كما عهدتك دائمًا. امتعض ركن الدين ثم قطع قول ابن منذر وقال:

- لكي أؤكد لك أنني كما عهدتني، ضع الخطة كما تشاء، وأنا على رأس رجالك.. يصيبني ما يصيبهم.. سواء كان نصرًا أم هزيمة. فضحك موسى وقال:

- إذًا.. اتفقنا.

ودار بينهما حديث طويل حتى بدأت نسمات الفجر تهل تم فيه الاتفاق على كل شيء، ثم ارتدى ركن الدين العباءة مرة أخرى، وانطلق إلى الشارع في آخر ما تبقى من عتمة الليل.

(2)

شمس النهارتفرض هيبتها على الأفق، والسماء صافية كما لم تكن من قبل، الحركة تعمّ القصر، جواري رائحات غاديات، وخدم هنا وهناك، القصر في حالة تأهب لحركة السلطان توران شاه الذي خرج من غرفته كعادته كل صباح للتجول في حديقة القصر، واستنشاق الهواء العليل القادم من مرور الرياح في قلب أشجار الفاكهة المحيطة بالقصر، يمشي بهيبته بين حراسه في ربوع القصر إلى أن وصل للحديقة الأمامية فسمح للحراس بالانتظار، علّه لم يدر أن في يوم كهذا كان يجب أن يحتفظ بحراسه لآخر لحظة، لأنه وبعد أن اختفى بين الأشجار العالية انقض عليه رجال بالسيوف على رأسهم ركن الدين، وفي غضون لحظات مات توران شاه، كيف وصلوا إلى هذه البقعة من القصر؟ سؤال طرحه جميع من في القصر بعد أن قتل توران شاه، ولكن من قال أنهم بعيدون عن القصور؟ هم دائمًا موجدون حتى في مجالس الحكم ينتظرون دورهم للانقضاض عندما تسنح الفرصة، باطنيون في دعوتهم السرية، ولكن لأي حد سيبقى أمرهم خفيًا وستظل نواياهم سليمة.

في صبيحة أحد الأيام بعد مقتل توران شاه وتولي فارس الدين أقطاي زمام الأمور، بعث ركن الدين بيبرس إلى ابن منذر يدعوه إلى الهروب هو وجماعته، حيث أن أمره ووضعهم في مصر أصبح خطرًا عليهم، وأن أنسب شيء هو الهروب. فعلم ابن منذر أنه خدع.. وهَمّ بالرحيل عن مصر.. ولكن..!

(3)

بدأت تعلو زقزقات العصافير مع طلوع الشمس.. وبدأت تتسلل الأشعة إلى غرفة نادر في شقته حيث بات ليلته السابقة دونما أي نية مبيتة. حيث أنهكه التعب جراء يوم طويل انتهى بوقت حافل على هذا السرير.. كم هي سريعة اللحظات الحافلة في حياتنا، تأتي وتنتهي قبل أن نعلم.

بدأت عينا نادر في صراع مرير للاستيقاظ، ولكنه أفاق سريعًا.. حيث أنه لم يشرب ليلة أمس بتاتًا. الوضع أحسن مما هو عليه عادة.. نادر عندما يبيبت متأثرًا بالكحول لا يصبح إنسانًا طبيعيًا ولا يستيقظ بسهولة عادةً.. إنها تلك العادة التي لازمته فألزمته بها.. كم أن الكحول سيء! هكذا يقول دائمًا نادر.

عندما تفتحت عينا نادر بدأ في استيعاب أنه قد نام في شقته، وأنه لم يرجع إلى "فيلتهم" ليلة أمس، ولم يتصل بشيرين ليطمئن عليها، وقال بينه وبين نفسه:

- إيه الغباء ده.. شيرين هتلاقيها زعلانة دلوقتي، وهنتخانق، وازاي متكلمنيش، وبجد ما صدقت اتصالحنا.. نفسي أخلص من صداع كل يوم الصبح ده! قال آخر كلماته بشكل مسموع وترجل من سريره باحثًا عن بنطاله وهاتفه، وعندما هبط من السرير ونظر إلى حال الغرفة.. قال:

- هو إيه اللي حصل امبارح؟ ده الدنيا تضرب تقلب كده ليه؟ احنا كنا بنتصارع تقريبًا. قالها متهكمًا وفخورًا بذاته، كم يصيبه في بعض الأوقات بعض الغرور! وقف تائهًا لبعض الوقت ناظرًا حوله وهو شبه عارٍ، ثم اتجه إلى الناحية الأخرى للسرير ليجد البنطلون ملقى على الأرض.. رفعه وبحث في جيوبه حتى وجد الهاتف، أخرجه ليجد شيرين قد اتصلت أكثر من عشر مرات وقد أرسلت رسالة مفادها:"شكلك نمت يا حبيبي"، وهنا اطمأن أن شيرين كانت في حالة لا تريد معها بداية أي مشكلات.. وابتسم ابتسامة خبيثة لعلمه السبب.. هكذا دائمًا الرجال يفكرون في الجنس كدواء لكل المشكلات.

اتجه نادر إلى الحمام.. وقف يطالع نفسه في المرآة لدقائق.. ثم بدأ في الاستحمام.. وما أن انتهى عاد إلى الغرفة ليرتدي ملابسه ليستعد للذهاب إلى العمل.. أغلق نادر الشقة بعد أن تأكد من كل الأنوار كما أوصته شيرين، ونزل إلى البهو ليجد عم فؤاد قد أحضر الفطور وقد هم يجلس إليه.. ولكنه انتفض عند رؤية نادر، حيّاه قائلًا:

- صباح الخير يا بيه، صباح الخير. فرد نادر عليه وهو متجه إلى الخارج:

- صباح الخير يا راجل يا طيب. لحقه عم فؤاد إلى أن وصل إلى سيارته ودخل إليها وعم فؤاد واقف لم يتحرك، ركب نادر وقام بشتغيل سيارته، وضع موبايله وكيس التبغ إلى جانبه كما تعود، ولكنه قد

فوجئ وصدم!! حيث أنه قد وجد ظرف أصفر آخر، فانتفض جسده ونزل من سيارته مناديًا على عم فؤاد الذي هم بالرحيل:

- يا فؤاد.. يا عم فؤاد.. يا زفت. جاء عم فؤاد مسرعًا على صوت نادر.

- إيه يا بيه في إيه؟

- مين اللي حط الظرف ده هنا؟

- وأنا إيش عرفني يا باشا؟ هيا العربية حصل فيها حاجة؟ قالها مستغربًا.

- يعني إيه متعرفش؟ أنت شغال إيه هنا؟ العربية دي مين جه وحط فيها الظرف ده؟

- والله ما أعرف يا بيه. أنا طول الليل قاعد هنا مروحتش شمال ولا يمين، يا دوبك دخلت دورة المياه كذا مرة، ما أنت عارف السكر وعمايله، وبعدين مش يمكن حضرتك حطيته ومخدتش بالك قبل ما تيجي هنا امبارح؟! شرد نادر قليلا متذكرًا الليلة السابقة، ولكنه تذكر أنه عندما عاد لأخذ التبغ لم يكن هناك أي ظرف في المكان.

- عم فؤاد افتكر كده مين جه جمب العربية امبارح، وأنا هديك قرشين حلوين.. يلا يا راجل يا طيب افتكر بدل ما ينقطع عيشك من هنا. في هذه الأثناء بدأت عينا عم فؤاد في البكاء وملامحه في الاستجداء.. حتى قطع كل هذا صوت هاتف نادر من داخل السيارة،

فهرع نادر إليه.. إنه رقم خاص! هكذا كتب على الشاشة.. رد مسرعًا.. فقال له المتصل:

- ما تسيب الراجل الغلبان في حاله وخليه يرجع يفطر! نظر نادر حوله إلى كل البنايات المطلة على موقف السيارات.. فقال له المتصل:

- متتعبش نفسك في البحث وادخل عربيتك، وافتح الظرف. هدأ نادر قليلًا ودخل إلى السيارة وقال للمتصل:

- أنت عايز مني إيه؟

- أنا عايز مصلحتك، افتح الظرف.. فتح نادر الظرف مسرعًا فوجد صور أخرى لوالده، قلَّب فيها إلى أن وصل لصورة لوالده وهو غارق في بحيرة دم.. فأصابته صدمة، ولكنه أكمل في بحثه داخل الظرف.. فوجد عناوين في جرنال اسمه الحرية.. مانشيت كبير بعنوان من قتل كمال الشوربجي؟ هل هي تصفية حسابات لرجال خدموا الوطن؟ وصفحة أخرى مكتوب عليها: هل مات كمال الشوربجي مقتولًا أم منتحرًا أم هناك قصة أخرى؟ قصاصات كثيرة من ورق جريدة الحرية، قديمة مهترئة صفراء، في تلك الأثناء جاءه صوت المتصل مرة أخرى..

- شوفت إني عايز مصلحتك؟ هتسيب اللي قتلوا أبوك عايشين كده؟ وأنت ولا في بالك! أنت ممكن متعرفش إن أبوك مات مقتول، كنت لسه صغير، وأكيد مستوعبتش اللي حصل وأكيد والدتك أخفت كل الدلائل على موت والدك.. وسمعت إنها سفرتك فترة بره عشان تبعد

عن الأحداث وعلى ما أعتقد حجزتلك عند دكتور نفساني كبير في لندن لحد ما بقيت زي الفل أه .. بس مفيش حاجة بستخبى، كل شيء وله يوم بيظهر فيه. كان نادر يستمع إلى المتصل في حالة صدمة من كل ما يقال، ومن كل هذه التفاصيل التي لا يعلم عنها نادر أي شيء، تفاصيل تعود إلى طفولته.. هو يعلم بعضها ولكن ليس بهذه الطريقة البشعة.. ثم نطق نادر وكأنه ذبيحة أعملت في جسده السكاكين وما زالت فيه الروح.

- أنا إيه ضمني إن كلامك ده كله صح؟ آه أنا سفرت لندن مدرسة داخلية، بس عشان أتعلم، وآه ساعات كنا بنمر على دكتور ولكن ده عشان نظام المدارس بره، يعني كل التلامذة كانوا بيعملوا كده.. أبويا مات وأنا طفل، مات عادي الناس كلها عارفة ده. أكيد لو مات مقتول أو منتحر كنت عرفت. قالها وداخله يختلج بالشك في كلامه.. فجاءه الرد من الجانب الآخر.

- اتأكد براحتك، ولما تحب تعرف أنا عايزك في إيه روح "الفور سيزون" بار "كالسيوس" يوم الخميس الجاي.. الدنيا بتكون زحمة والجو حلو تعالى مع صحابك هتنبسط. هدأ نادر قليلًا وأطرق سمعه لما يقوله المتصل ثم قال.

- طيب هنشوف الموضوع ده، مع إني متأكد إنك حد فاضي وبيهزر وأكيد هعرف أنت مين.. وهعرفك إن اللي بتعمله ده مش هزار لطيف. ثم أغلق في وجهه الاتصال دون إدراك.

(4)

يقف ذلك الأسمر أمام قسم قصر النيل بالقميص المهترئ إلى حد ما، المقلم بالطول بخطوط زرقاء، وبنطلون كحلي حاله ليس أحسن كثيرًا من القميص، وحذاء بني نعله لو ينطق لكان اشتكى.. له بطن متدلٍ يداري نحول كتفيه.. ذو الوجه الدائري والعينين العسليتين، وشعر خشن يقترب من الصلع.. قَدِم من صعيد مصر.. رئيس تحرير جريدة الحرية الصادرة من أحد عمائر وسط البلد، والكاتب الوحيد في الجريدة، المهتم في المقام الأول بالشائعات الفنية والفضائح.. شخص لزج، انتهازي لأبعد الحدود.

وضع يديه في جيبه باحثًا عن سيجارة "بولمنت" قد أخذها شكك من كشك "عم زكي" في شارع "شامبليون"، وضعها في فمه واستعار من أحد المارة كبريتًا ليشعلها، وقف لينتظر محمد عبد الظاهر أمين الشرطة حتى ينهي عمله، فيصطحبه إلى مطعم "مسمط السيدة" ليعزمه على أكلة كوارع وفتة قد استعار لها بعض الجنيهات من أحد الأصدقاء، تلك العزومة على الغذاء ليست لله وللوطن، ولكن مقابل بعض المعلومات القيمة، وبعض الأوراق بخصوص قضية كمال الشوربجي التي يحقق فيها معاون القسم هشام زاهر، أخذ نفسًا وراء الآخر من السيجارة حتى انتهت في بعض الأنفاس القليلة، كان فوزي يلتهمها التهامًا في انتظار وشوق لهذه المعلومات التي يقدرها ببعض المئات من الجنيهات، تلك الجنيهات التي قد تحل له كل مشاكله، هكذا

كان يفكر فوزي في تلك الأحيان.. ولم يكن ليتوقع ما لهذه المعلومات من تأثير على حياته.

انتظر فوزي في قلق تأخر محمد عبد الظاهر حتى ظهر الأخير خارجًا من باب القسم، هُرع إليه فوزي متعجلًا ومرحبًا وقائلًا:

- ازيك يا محمد بيه؟ إن شاء الله تبقا بخير.. إن شاء الله أشوفك لواء يا شيخ، اتأخرت ليه؟

- ازيك يا فوزي؟ ولا اتأخرت ولا حاجة، أنت متعرفش الدنيا مقلوبة ازاي عشان كمال الشوربجي وقصة وفاته اللي على غفلة دي.. وبعدين أنت مشوفتش المدام وهي خارجة من القسم ولا إيه؟؟

- هي اللي كانت متشيكة على سنجة عشرة دي مدام الشوربجي؟ الراجل ده سابها ومشي فين؟ حد يسيب القمر ده ويموت؟ يلا نقول إيه بقا نصيب، يلا احنا بينا تلاقي أم عصام لسه مطلعة الكوارع من الحلة والعكاوي ولحمة الراس مستنيانا.

- لا سامحني أنا في الطلعة دي يا سيدنا.. أنا هروح على بيتنا علطول.

- وده اسمه كلام ده يا أمين محمد؟

- أصل من الآخر كده أنت عايز معلومات عن كمال الشوربجي، وأنا معنديش حاجة تفيدك.. البيه قالنا اللي هيطلع كلمة للصحافة

هينسيه اللبن اللي شربه من صدر أمه.. وأنا بصراحة مش ناقص وجع دماغ.. سامحني أنت عارف إني مبقصرش معاك، بس المرة ده اسمحلي. فكر فوزي في كلماته سريعًا وأحس أن الدنيا أظلمت تمامًا.. ثم ضحك بخبث وكأن شيء ما جد في باله وقال:

- يا محمد بيه ودي تيجي؟ ده اللي بيننا يعني.. أنا وعدتك بعزومة.. يعني هعزمك خلاص.

- بس إيه المقابل يا عم فوزي؟

- يا عم ما أنت قولتها أهه قبل ما أنا أنطق، أنت عمرك ما قصرت معايا.. ودائمًا موجب معايا.. يعني الموضوع في بيته.. تعالى بينا نطلع على "مسمط السيدة" يلا. وقف محمد عبد الجواد يفكر للحظات قبل أن يستمع إلى صوت بطنه.. فرضخ وقبل العزومة على مضض. قال له بيأس:

- يللا بينا.

تحجج فوزي بأنه يريد أن يتمشى حيث لم يمتلك سوى ثمن الوجبة. تمشيا وتكلما في كل شيء إلا الكلام في القضية. حتى وصلا إلى المسمط.. فقامت المعلمة أم عصام مرحبةً بالزائرين، وسألت فوزي هل قام بالإعلان عن مسمطها في جريدته المتواضعة أم أنه نصب عليها في نقود الإعلان؟ فأكد لها فوزي أن العدد القادم ستجد إعلان

مفرود في صفحة كاملة لمطعمها.. فسرت أم عصام للخبر.. وفرشت لهما طاولة أمام المحل.. جلسا إليها فباغت فوزي محمد عبد الظاهر قائلًا:

- بس أنت أكيد متعرفش حاجة عن القضية دي لأنها سرية، وبالتأكيد هناك أمناء شرطة أقرب لهشام باشا منك..عندهم كل المعلومات.. فقضية كبيرة زي دي معلوماتها لا تذهب لأي فرد في القسم. قالها محفزًا محمد عبد الظاهر لقول أي شيء. فامتعض أمين الشرطة, ثم أردف قائلًا:

- لا عيب عليك هو أنا عيل في القسم؟ أنا أعرف كل حاجة، أنت بتشتمني ولا إيه؟

- ولا شتيمة ولا حاجة، بس القضية معقدة وتمس ناس كبيرة، وأنت يا دوب أمين شرطة غلبان.. يعني إيش تيجي أنت في الغيلان؟ بالك أنت شفت الواد المايع ده بتاع جرنال الجمهورية الأمين زكي بيديله ظرف قد كده. وأشار بيده للدلالة على كبر الظرف.. وخد منه ظرف تاني فيه قرشين باين عليه يعني، وخده الأمين زكي ودخل القسم تاني. تنبه ها هنا محمد عبد الظاهر إلى طبق الفتة الذي وضعته أم عصام أمامهما وقال بعدها:

- أنت متأكد من كلامك ده؟ ده كلام خطير.

- أمال هكدب عليك يعني؟ بس هو كده زكي ده علطول واكلها والعة، وبتيجي على الغلابة اللي زيك وتقفل. ظهرت على محمد عبد الظاهر علامات التفكير ثم نطق قائلًا:

- آه الواد زكي علطلول واكلها والعة فعلًا.. بس أصل أنت متعرفش البيه شخط فينا ازاي.. والواحد قلقان.

- ولا تقلق ولا حاجة هيعرف منين يعني إنك قولتلي أي حاجة؟ الموضوع بيني وبينك في السر.. والقسم مليان بشر.. واللي هتحكهولي غيرك حكاه لجرائد تانية يعني ممكن اطلع على زميل ليا وأخده وأحط عليه شوية بهارات وتضيع عليك المفاجأة. هنا سال لعاب محمد على ورقة اللحمة، وعلى كلمة المفاجئة.

- مفاجئة إيه؟؟

- لأ خلاص بقا.

- يا عم قوووول.

- كنت هغمزك بخمسة جنيه لو أدتني معلومتين سقع.

هنا سال لعاب محمد أكثر وبدأ في سرد وقائع القضية بالتفصيل، سرد حتى شكوك معاون القسم وتقرير الطب الشرعي.. وما أن انتهى من الطعام والوليمة، وانتهى من الكلام والسرد.. قام فوزي مستعجلًا

وحاسب واعتذر له بأنه على موعد مهم. والحقيقه أنه ذهب مسرعًا لتسجيل كل كلمة في عدة مقالات، مستعدًا لنشرها.. منتظرًا أن يبيع بعض مئات من العدد في أسرع وقت، وبأن يكون صاحب السبق في هذه القضية.. حيث أنه وبخبرته في مجال الصحافة الصفراء.. تأخر الجرائد الرسمية في طرح القضية يعني شيء واحد.. أنها لن تنشر أي شيء، وهنا تكمن أهمية هذه المعلومات.. ودع محمد ووعده بأن يأتي له بالخمس جنيهات في أقرب وقت، حيث أنه لا يملكها الآن ورحل على عجل.. مخاطبًا نفسه.."يارب ألحق".

(5)

انطلق نادر بسيارته على الطريق السريع متجهًا إلى عمله، وفي رأسه تتهاوى أفكار عديدة تتعلق بهذا المخبول الذي يحدثه ويتلاعب بأفكاره، ويخترع كل هذه الحكايات، ماذا يريد هذا المخبول؟ هل هو صديق لوالده؟ أم عدو قديم.. أم أحد المبتزين الطامعين في بعض الجنيهات ثمنًا لسكوته عن فضيحة هو يكون مشعلها؟ أوليست هذه طريقة رائجة هذه الأيام..؟ يطلق أحدهم شائعة أخلاقية فتنتشر بسرعة كبيرة دون أن يكون معه أي إثبات، ثم تهدأ فجأة بعد أن تشعل الدنيا وتسيء لسمعة البشر.. ولكن هي هكذا دائمًا الأوضاع في بلاد ليس للقانون فيها مكان.. الكثير والكثير من الشائعات. دارت في عقل نادر الكثير من التفاصيل الصغيرة والكبيرة على السواء.. جالت في خاطره كل كلمة تفوه بها هذا الشخص.. ولكن ما هذه القصاصات من هذه الجريدة التي لم يسمع بها نادر؟ علها جريدة كانت مشهورة في ذلك الوقت. كما أدهشه أن يعلم ذلك الشخص هذه التفاصيل المتعلقة بطفولته وبذهابه إلى مدرسة داخلية في سن صغير، ولكن من الطبيعي لرجل يبحث في دفاترنا العائلية ويريد أن يبتزنا، أن يحاول جاهدًا البحث في هذه التفاصيل.. ظفر نادر بنفس طويل جراء الإجهاد وكثرة التفكير، ثم تنبه فجأة إلى شيء ما.. ذلك الاسم أسفل المقال هل هو فعلًا فوزي عبد المجيد؟

نظر نادر مسرعًا إلى جواره.. أمسك الظرف وأخرج هذه الأوراق الصفراء.. الطريق كان شديد الازدحام.. الاسم كما تذكره بالضبط "فوزي عبد المجيد"، أهذا الشخص هو ذاته صاحب القنوات التلفزيونية ورئيس تحرير جريدة "مصر اليوم"؟ أم أنه تشابه في الأسماء؟ "على ما أعتقد ده تشابه أسماء"، هكذا قالها نادر بصوت مرتفع قبل أن يقطع تفكيره ذلك التليفون، إنها شيرين كما هو واضح على شاشة التليفون.. رد نادر مسرعًا:

- صباح الخير يا حبيبتي.. آسف عشان مكلمتكيش امبارح قبل ما أنام لأني تقريبًا انتحرت بعد ما مشيتي، أغمى عليا ونمت مصحتش إلا من ساعة كده، ولبست ونزلت الشغل.. والطريق زحمة جدًا.. سيبك من ده كله أنتِ عامله إيه حبيبتي؟

- أنا تمام يا حبيبي، وماشي يا سي نادر سماح المرة دي.. لأنك كنت تجنن امبارح يا حبيبي.. هتعمل إيه انهارده؟ شاهيناز كانت عايزانا نتقابل في كالتشيوا وأنا بصراحة عايزة أنزل أسهر مع العيال وحشونيك.

- العيال بس إلى وحشوكي يعني؟؟

- يا حبيبي أنت علطول واحشني ده مش محتاجة كلام.

- صحيح يا شيرين على ذكر كالتشيوا.. تفتكري الراجل اللي بيقعد دائمًا هو وشلة كده كبار شوية في السن عند البار عادة.. كان في واحد

مرة كلمتيني عنه.. قولتيلي إنه صاحب أبوكي.. اسمه فوزي عبد المجيد تقريبًا؟؟؟

- فوزي عبد المجيد؟ مفتكرش في حد صاحب أبويا اسمه كده.. مممم.. ثانية كده أنت قصدك بتاع جرنال "مصر اليوم " ده؟ اللي عنده قناة تلفزيونية؟ بس ده معرفة يعني لبابا.. مش صديق أبدًا.. أنا بابا برضه يعرف الأشكال دي؟ صمت نادر قليلًا ثم تمتم ببعض الكلمات، ثم قال لشيرين:

- أنتِ تعرفي عنه إيه؟

- معرفش عنه حاجة، بابا حكالي مره إنه يعرفه من زمان عشان تقريبًا فوزي ده جرناله القديم كان مقره في وسط البلد.. كان جرنال معفن كده مفتكرش اسمه.

- جرنال الحرية؟

- آه تقريبًا حاجة زي كده.. بس أنت عرفت منين أصلًا ده مقفول من زمان على ما أتذكر.. وبعدين ده راجل زبالة يعني لولا شوية الفلوس اللي طلع بيهم فجأة كان هيفضل مرمي في جرنال محسوب على المعارضة بيطلع ليه قرشين منه وخلاص.

- شكلك بتكرهيه قوي؟

- ولا بكرهه ولا حاجة. بس بابا دائمًا كان بيقول عليه انتهازي، والكام مرة اللي قابلته فيهم كان بيقعد يبص كده عينه زايغه على النسوان.. وسمعته زبالة في الموضوع ده.. وزي ما أنت شايف متصابي وبيجي يخرج في كالتشيوا وكل بارات القاهرة وكأنه لسه شباب..عمومًا أنت بتسأل ليه عليه؟؟

- لا عادي.. قالها نادر وقد ظهر عليه أن هناك شيء ما يخفيه.. فقالت له شيرين:

- نادر يا شوربجي.. في إيه.. بتخبي على شيرين؟؟

- لأ أصل موضوع شغل كده لاقيت اسمه امبارح في أسامي العملاء اللي كلموا الشركة في الفترة اللي فاتت إنهم عايزين يقفلوا الحافظة ويبيعوا الأسهم.. فلازم أكلمه وأقنعه ميقفلهاش.. شغل يعني.

- بس شكلك مهتم أكثر من شغل بتفاصيل عنه؟

- لأ بس دائمًا حلو تعرفي خلفية العميل بتاعك عشان تعرفي تتعاملي معاه.

- طب ولو جاتلك واحد ست؟

- دي بقا بهتم جدًا بخلفيتها. فضحكت شيرين وقالت له:

- هموتك يا نادر، افتكر إني هموتك. ثم أكملا حديثهما وترتيب موعد ليلي في الكالتشيوا.. ثم أغلقا الهاتف لانشغال شيرين في بعض الأعمال المهمة.. في ذلك الوقت كان نادر قد وصل أيضًا لمكان عمله.

ولكن باله كان مشغول لما دار في صباح اليوم.. كما أنه زاد انشغال عقله بسؤال مُلّح، لماذا لم يقل لشيرين ماذا حدث هذا الصباح؟ ولماذا أخفى عنها سبب سؤاله عن فوزي عبد المجيد؟ هل هو خائف من شيء ما؟؟ ولماذا هو خائف؟ ومن ذلك الفوزي عبد المجيد الذي صعد له هو الآخر من تحت الأرض؟ وكأن حياته كان ينقصها المزيد من التعقيد، كل هذه الأفكار كانت تدور في عقله.. كما أنه تذكر كلام والدته يوم عاد من لندن.. عندما أبلغته عن وفاة والده.. وعندما كبر قليلًا أخبرته عما دار من شائعات بخصوص وفاته، وأنها كلها كانت شائعات لتقتنص من سمعته بعد أن فقد قوته وهيبته.. ففي بلدنا من يرحل تكثر السكاكين حوله.. يتذكر ذلك جيدًا، كل ما قالته والدته، ولكن لماذا هذا الخوف من كلمات هذا الرجل؟ ولماذا يشعر في داخله أن هنالك شيء ما وراء هذا الرجل؟

لقد أيقن نادر أن هذا الرجل قد سيطر على تلابيب فكره بشكل كبير.. فوجب عليه أن يتحقق جيدًا من كل ما قاله هذا الرجل.. يجب أن يفتح ذلك الموضوع مرة أخرى مع والدته هذا المساء، قد يضع حدًا لهذا الهراء.

الفصل الخامس

(1)

الساعه تشير إلى الحادية عشرة، الوقت ما زال مبكرًا لو كان هذا اليوم أحد أيام الصيف، ولكننا في الشتاء، الكل يذهب إلى بيوته مبكرًا لارتباطهم بأعمالهم الصباحية، ولمدارس الأولاد، ولشدة البرودة في ذلك الوقت من السنه، الأشجار تتحرك وكأنها أشباح ليلية، وأصوات الموسيقى المنبعثة من بار كالتشيوا تظهر في الخلفية على استحياء.. فموقع البار تحت الأرض يمنع انبعاث الموسيقي بصوت قوي، كما أن أصحاب البار اعتمدوا على عازل قوي للصوت كي لا يزعج أهالي المنطقة.

تقف شيرين مستندةً على سيارتها، ترتدي تنورة قصيرة رصاصية اللون على قميص أبيض به بعض النقوشات.. مفتوح الصدر.. يظهر منه سلسلة بها فص ماسي أبيض رقيق جدًا يزين رقبتها.. ترتدي على كل ذلك "بالطو" أسود اللون، حيث أن البرد كان شديدًا هذه الليلة.. تخرج علبة سجائرها لتقتنص سيجارة وتشعلها وتسحب أنفاس متتالية منها.. علها تدفئها بعض الشيء.

تقف شيرين منتظرة نادر أمام باب كالتشيوا.. يتأملها عم سيد سايس المنطقة من بعيد وهي تتأمل هاتفها الذي يرن على نادر مرارًا وتكرارًا دون أن يجيب، بدأ القلق يراود شيرين على نادر، خصوصًا بعد ما قاله لها عن ذلك الرجل الذي يلاحقه.. ولكنها من داخلها متأكدة أن

الأمر لا يتجاوز مزاح سخيف، ولكنها رغمًا عن ذلك قلقة عليه، فهو لا يرد وهذه ليست عادته!

أنوار سيارة تدخل الشارع فتضيء المكان، تتأملها شيرين عله نادر باشا، فتبدأ فإلقاء بعض غضبها وقلقها عليه.. كم تحب هذا الطفل الصغير المسمى نادر! تحس دائمًا بنوع من الأمومة تجاهه وكأنه ابنها وليس حبيبها. كم تعشقه! وكم هو في بعض الأوقات متبلد المشاعر! تعتدل في وقفتها شيرين حتى تتأكد من كون هذا القادم نادر وهل هذه سيارته أم لا؟

تنظر شيرين إلى السيارة فتتأكد أنها ليست سيارة نادر، بل سيارة شاهيناز.. تنزل شاهيناز من سيارتها مناديةً على عم سيد.. فيقوم عم سيد متجهًا لها ليأخذ مفتاح السيارة، يقودها ليصفّها.

تتجه شاهيناز إلى شيرين الواقفة إلى سيارتها مخاطبةً إياها:

- إيه اللي موقفك هنا يا بنتي؟

- مفيش، نادر لسه مجاش، وبكلمه مبيردش، وقلقانة عليه.

- يا عم الحب اللي مقطع بعضه.. هتلاقيه مشغول شوية؟ ولا حاجة.

- شاهيناز أنتِ تعرفي إن من عادة نادر ميردش على التليفون، نادر عمره ما عملها.

- يا بنتي هو آه عمره ما عملها بس بتحصل تعالي بقا.. ندخل نستنى جوه بدل البرد اللي واقفين فيه ده.

- أنا مش داخلة إلا لما يجي نادر ادخلي أنتِ.

- طيب خلينا واقفين هاتي سيجارة بقا.

في هذه الأثناء تدخل إلى الشارع سيارة يضيء نورها المكان.. لا تعيرها شيرين اهتمام وتشعل لشاهيناز سيجارتها.. تركن السيارة إلى جوارهم وينزل منها نادر مناديًا على علي بن عم سيد.. تسمع شيرين صوته فتنتبه إليه، وتجري ناحيته وخلفها شاهيناز.. فتخاطبه:

- أنت فين يا نادر باشا؟ مبتردش ليه على تليفونك؟ يضحك نادر، ويخبرها:

- مالك يا بنتي عصبية كده؟ اهدي.. تلاقي الموبايل الصوت مقفول ولا حاجة.. ممكن نسيته وأنا في الشغل.

- نادر يا شوربجي، أنت عمرك ما قفلت تليفونك، إيه الجديد يعني؟

هنا ضحكت شاهيناز وقالت لهم:

- يلا ندخل جوه يا مجانين الجو برد.

وهنا احتضن نادر شيرين في طريقهم للدخول للبار.. ونظرت شاهيناز إليهما قائلة:

- ارحموني.

الأجواء كما هي كل ليلة في كالتشيوا، فتح عماد الباب ليدلف منه كل من شيرين وشاهيناز ونادر، مخاطبًا إياهم:

- إزيكم يا بشوات؟ فيردون عليه:

- الحمد لله إزيك أنت يا عماد؟

يتخطون الناس في طريقهم إلى طاولتهم في الزاوية البعيدة.. لا أحد يجلس مما يعني أن الشباب كلهم لم يصلوا حتى هذه اللحظة، يجلس كل من شيرين ونادر وشاهيناز وينادي نادر على النادل ليأتي له بالمارتيني، فهو بحاجة ماسة لهذا المشروب كي يخرجه من ما يدور في باله من أفكار كثيرة، متعلقة بهذه الرسائل التي تأتي له من شخص ما خفي، هنا تقطع شيرين حبل أفكاره قائلةً له:

- لسه عندك أسئلة بخصوص صاحبك؟

- صاحبي مين؟؟

- فوزي عبد المجيد.

- لأ خلاص، أنا قولت ليكي الموضوع ملوش أهمية كبيرة.

- لو لسه عايز تعرف عنه حاجة روح اسأله هو قاعد هناك أهه. الراجل اللي قاعد مع بنت قد عياله. هنا نقل نادر عينه ناحيته بسرعة، وقال لها:

- تصدقي أول مرة أركز مع الراجل ده على الرغم من إني بشوفه من زمان. هنا تدخلت شاهيناز في الحوار، وهي تخرج دخان سيجارتها من فمها قائلة:

- ده راجل ابن كلب أنت عايز منه إيه؟ سمعته زبالة ومبيعتقش بنت، سمعته في جرناله زبالة.. مبيسبش متدربة إلا لما لازم ينام معاها أو يطردها من المجال كله.. راجل زبالة يعني من الآخر.

- ما شاء الله عليكوا تعرفوا عنه كل حاجة. هنا ردت شيرين:

- نادر ده صاحب أكبر جرنال في مصر، وطالما عينه من النسوان يبقا أكيد سيرته في كل "بيوتي سينتر"، الموضوع مفهوش صعوبة يعني ده مصر أوضة وصالة. شرد نادر في ملامح هذا الرجل وكأنه يرسم له بورتريه حتى قطعت شيرين أفكاره، قائلت:

- لو تحب أعرفك عليه معنديش مانع.. هو صاحب بابا.. لو ده يفرق معاك تعالالا يلا قبل ما العيال يجوا. سحب نادر كيس التبغ من جيبه، وقال لها:

- بعدين.. بعدين كله في وقته.. قالها وكأنه ينوي شيء ما ولاحظت شيرين ذلك على ملامحه، فردّت عليه:

- براحتك، لما أشوف آخرتها معاك يا شوربجي.

فسحب نفس من سيجارته، وضحك ضحكة خبيثة، وقال لها:

- ما تيجي نرقص؟

(2)

وقفت متشنجة في بهو فيلا الشوربجي في صباح أحد الأيام التالية لزيارتها لمعاون المأمور هشام زاهر، والتي هي أيضًا أيام قليلة فارقة عن موت زوجها كمال الشوربجي.

كانت تسيطر عليها حالة من العصبية والغضب تجاه ذلك العنوان الذي وجدته في أحد الجرائد، يسرد فيه الكاتب أن كمال الشوربجي قد انتحر، وأن هذا الخبر تخفيه الدولة وعائلة الشوربجي كي لا يخلق تساؤلات عند الرأي العام، وتبدأ حالة اللغط في سيرة ذلك الرجل الكبير في الدولة والاقتصاد على حدٍّ سواء.

في ذلك الصباح استدعت "المدام" محامي العائلة، وأوصطه بأن يمر على أحد أكشاك الجرائد في وسط البلد، ويأتي بكل الجرائد التي تصدر في صبيحة هذا اليوم.

في حدود الساعة التاسعة سمعت الخادمة صوت جرس الباب، فاتجهت ناحيته لفتحه، كان القادم هو عزت المحمدي، محامي العائلة، ومن أكبر محاميّ البلد في ذلك الوقت، قال عزت للخادمة

- شيلي عني يا أم محمد. فردت عليه:

- إيه الجرايد دي كلها يا بيه؟ ما كفاية جرنال واحد.. ما كلهم زي بعض!

- يا أم محمد المدام بتاعتك هيا اللي عايزة الجرايد كلها، نقولها لأ؟ أنت عايزاها تطردنا ولا إيه؟

- لا يا بيه طالما كلام الهانم يبقا يمشي ونجيب الجرايد كلها، وجرايد الجرايد كمان.

فضحك عزت وقاله:

- عفارم عليكي، روحي بقا هاتيلنا فنجان قهوة من إيديكي الحلوين دول، عشان أنا خلاص دماغي طرشقت، والمدام مصحياني من النجمة.

أومأت أم محمد برأسها، واتجهت إلى المطبخ بعد أن وضعت الجرائد على أحد الطاولات الموجودة في الصالة.

يقف عزت، ذلك الأسمر الطويل هزيل البنية.. صاحب الشعر الخشن نسبيًا، والأبيض قليلًا إلا الجوانب، تلك الطفرة الوراثية في عائلته كما يقول دائمًا، ولكن ذلك لا ينفي كونه كبير فعلًا في السن.. ذلك المحامي المخضرم تربية المحاكم، والذي يستطيع أن يصل لما هو أبعد من القانون الذي يتقنه، فهو عبد المأمور كما يقولون.. يقف أمام صورة

كبيرة لكمال الشوربجي في بهو المنزل، يطالعها بتأمل وكأنه لأول مرة يرى فيها كمال الشوربجي.

تنزل المدام عبر السلم الموجود في وسط المنزل.. خطوة.. خطوة.. بكعبها المرتفع وتنورتها القصيرة وهيبتها الطاغية.. وقبل أن تصل إلى آخر سلمة قالت:

- الرسمة دي رسمها ليه فنان إيطالي كبير في سفرية من سفرياتنا لإيطاليا. فوجه عزت رأسه لموضع الصوت قائلًا:

- باين الروعة ودقة التفاصيل يا هانم، صباح الخير.

- صباح النور يا عزت، جبت الجرائد؟

- جبتهم يا هانم، بس عندي سؤال يعني.. ليه مخلتيش البواب أو الجنايني يجبهملك؟ مش أسهل؟

- وأنت هتعرف أكثر مني يا عزت؟؟

- لا العفو يا هانم، بس مفهمتش الفكرة من ورا الموضوع يعني.

- وافرض مفيش فكرة وأنا عايزة أتعبك على الصبح يا عزت؟ ولا أنت عندك مشكلة؟ وبعيدًا عن ده كله في كذا سبب لأني طلبتك.. أولهم لأن الجرايد اللي بتنزل هنا في الزمالك كلها جرائد معروفة، بس مبتنزلش

الجرائد كلها على عكس وسط البلد، ضيف لده إني عايزاك في موضوع يخص شركات الشوربجي.. أنت قرأت الجرائد وشفت في أخبار عن القضية ولا لأ؟؟

- لأ بصراحة يا مدام, أنا لسه واصل.

- طيب اقعد نشوف ليكون حد اتهبل في دماغه ونشر حاجة، مع إني متأكدة أن محدش يقدر يفتح بؤه، بس في بلدنا دي متثقش في حد.. حتى في نفسك.. دي بلد أول ما بتتهز الكل بيجري عشان يوقعك.. ودي متعتبرش هزة لينا احنا بس، ده كمال اللي خدم البلد دي سنين وقدم لها كل حاجة.. بس دي بلد بنت ستين كلب ما بتشيلش جميل.

أنهت المدام كلامها ورفعت أول جرنال تبحث عن أي عنوان بخصوص القضية، ورفع عزت جرنال آخر.. استمرّا في ذلك وقت من الزمن.. حتى فزعت المدام ووقفت صارخةً:

- آه يا ابن الكلب. فارتعب عزت وقال:

- مالك يا مدام في إيه؟ إيه اللي حصل؟

- هشام زفت زاهر معاون المأمور وعدني أنه مش هينطق بحاجة، ألاقي كلامه كله في الجرنال انهارده.. هو العيال دؤ مبتخفش على نفسها ولا إيه يا عزت؟

- بس ثانية بس يا هانم، ده جرنال إيه؟

- اسمه الحرية.

- هو في جرنال اسمه الحرية في بلدنا يا مدام؟ قالها ساخرًا

- تقريبًا في وشكلها جريدة صفراء كمان.

فضحك عزت قائلًا:

- يا هانم هيا كده الحرية دائمًا صفراء.

في تلك اللحظات كانت المدام في قمة غضبها، ولاحظ عزت ذلك فقال لها:

- متقلقيش يا مدام في إيه؟ نسحب كل الأعداد من السوق ويا دار ما دخلك شر ومن غير ما حد يعرف.

- ده انهارده وبكره وبعده وبعده، والبلد دي مبتسكتش.

- تحبي يعني عدم اللامؤاخذة أخلي رئيس التحرير يستريح في بيتهم فترة؟

- قصدك إيه؟؟

- يعني عربية تخبطه.. يطلع عليه بلطجية يغزوه بمطواه.. وده بيحصل كل يوم.

- لأ يا عزت بلاش دم دلوقتي، الموضوع ميستحملش.. أنت شوفلنا مين الشخص ده ونسكته زي غيره بالفلوس.

- آه يا هانم، بس بلدنا شغالة على السبوبة، ولو الناس عرفت إنك دفعتيله غيره وغيره وألف هيعملوا نفس الموضوع، دول مش زي رجالتنا في الجرائد الحكومية بيسمعوا الكلام وفاهمين شغلهم كويس، دول.. هواة.

- ساعتها يا عزت نتصرف تصرف تاني ونمشي في سكتك.. بس طالما الموضوع لسه في شخص واحد مفيش مشكلة.

- أنت تؤمريني يا هانم.

ووقف عزت مستأذنًا.. مستعجلًا ناحية الباب للبحث عن صاحب هذه الجريدة الوضيعة، تمتم:

- اسمه إيه اللي هيلففنا عليه على الصبح كده؟ لما أنزل ألم الجرايد مبقا أشوف.. قالها عزت وهو يغادر الفيلا في طريقه إلى السيارة.

(3)

كانت تجلس في إضائة خافته على أحد كراسي الصالون تقلب في كتاب ما، غلافه ذو نقوشات بارزة، به بعض التآكل بفعل عوامل الزمن.. إنه كتاب قديم حقًا.. تظهر عليها علامات الملل والتأمل في اللاشيء، وتظهر أنفاسها جلية بوضوح وكأنها تخرج زفير عالي الصوت من حنقها، وآثار غضب ما يطل من عينيها غير معلوم السبب.

تسمع طقطقات قفل الباب وصوت مفاتيح ترتطم ببعضها البعض.. تنظر ناحية الباب الذي يفتح على تمهل، ويدخل نادر منه بهدوء تام.. ويتلفت للوراء، يغلقه بهدوء أيضًا.. فهو لا يود أن يصدر الباب صوت مرتفع يقلق من في البيت.. فالوقت متأخر جدًا.

يمشي على مهل متخطيًا البهو الأمامي للمنزل، منتقلًا إلا الصالون الذهبي متجهًا نحو السلم حيث يوجد أسفله كرسيين بينهما "أبجورة".

سمع صوت ينادي عليه:

- نادر حمد لله على السلامة التفت نادر وقد هم بصعود أول درجات السلم، وقال:

- مين.. ماما؟! إيه اللي مصحيكي لحد دلوقتي؟

- مستنية أشوف ابني اللي مجاش من امبارح البيت ولا اتصل.

- مممم.. ماما هي أول مرة يعني؟؟ وبعدين أنا كبرت والموضوع ده طبيعي.

- نفس كلامك كل مرة يا نادر، نفس كلامك.. نادر أنا كبرت، وعشان أحافظ عليك أنت وأختك تعبت، من حقي إني أطمن عليكوا مقلقش أكثر.

- وأنت تقلقي ليه بس؟ ما أنا أكيد عند حد من صحابي بقضي وقت وهرجع، لو غبت أكثر من 3 أيام بلغي البوليس.

- علطول بتحب الهزار ومبعرفش أكلمك جد أبدًا.

- أه.. ماما صحيح بذكر الجد.. هو بابا مات ازاي؟؟!!

هنا تحولت ملامح والدة نادر، وتأملت وجهه قليلًا، وظهرت عليها الريبة ـن شيء ما والتوتر، أظهر ذلك نفور الوريد الذي في رقبتها، ولكنها حاولت ألا تظهر ذلك التوتر، فهدأت، وقالت لنادر:

إيه لازمة السؤال ده بالليل؟ وبعدين أنت عارف إن بابا مات عادي ي ما كل الناس بتموت، زي ما أنا هموت. قالتها وهي تنقل عينها بين لكتاب والأرض متحاشية النظر لنادر.

- ماما أنا عمري ما سألتك، وده شيء غريب أنا نفسي استغربته! لما جه السؤال ده على بالي.. بابا مات إزاي يعني؟ عايز أعرف تفاصيل أكثر، أنا كنت صغير ومفتكرش حاجة زي ده.

ابتلعت ريقها هنا بصعوبة، وكأن هذا السؤال وقع عليها وقوع الصاعقة، وبدأت في التفكير لماذا نادر يسأل هذا السؤال في هذا الوقت.. هو لم يسأل هذا السؤال طوال حياته.. كانت تهدئ نفسها بالقول أن السؤال يمكن أن يكون طبيعي ومقنع لولد لم يسأل ولم يعلم غير أن والده مات وانتهى الأمر كل هذه السنوات، ولكن لماذا الآن؟ لماذا يتجدد السؤال في هذه الأيام؟ نادر غير مهتم بأي شيء في الأساس سوى عمله، لماذا هو مهتم؟ كل هذه الأفكار دارت في عقل والدته وهي جالسة أمامه، ثم ردت رد مقتضب سريع عله ينهي الموقف:

- أزمة قلبية!! أبوك جاتله أزمة قلبية من ضغط العمل.. ووقع في مكتبه ومات.

- مممم أزمة قلبية.. أمال ليه مكتوب هنا في الجرنال إنه مات جراء انتحار؟ وهنا أخرج نادر ورقة جريدة مهترئة من جيبه، كانت إحدى الأوراق التي كانت في الظرف الأصفر ذو الختم.

تأملت والدته الورقة بعض الوقت وبدأت باسترجاع تلك الذكرى المتعلقة بوفاة زوجها قبل سنين.. تلك الذكرى التي خلفت في داخلها

جرح كبير، وخلفت أيضًا حنق على هذا المجتمع، وعلى البلد بأجمعها، مما جعلها كل هذه السنوات تفضل ألا تخرج وتتشارك هذه الحياة مرة أخرى مع هؤلاء جميعًا، الذين تركوها بعد غياب سلطة زوجها وسلطانه، فالمال في هذه المدينة الصاخبة ليس أهم شيء، فالمال بدون سلطة لا يعني سوى السيارات الفارهة وبعض المتع، قلّبت ذاكرتها يمينًا ويسارًا لتتذكر ذلك الجرنال الذي نشر خبر انتحار زوجها على الصفحة الأولى، وكيف كانت هذه الأيام هي الأصعب، تلك الأيام التي وقفت فيها مدافعة عن تاريخ زوجها الذي كان على حافة الانهيار بهذه الإشاعة.. زوجها لم يقتل نفسه، "كمال بيحب الحياة أكثر من كده بكثير" هكذا قالت محدثة نفسها بهمهمات لم يستمع لها نادر.. ثم نظرت إلى نادر بعينين قويتين وعزيمة على الاستمرار على نفس الكذبة، هي لا تريد فتح هذا الجرح مرة أخرى في قلب عائلتها الصغير. نظرت له وقالت:

- نادر أبوك مات بسكتة قلبية، وكل الكلام ده وأكثر إشاعات طلعت وانتشرت لما أبوك اتوفى.. أبوك مكنش أكثر شخص محبوب في الدنيا.. بحكم البيزنس عنده مشاكل كثير مع ناس أكثر.. محدش كان بيقدر يقرب ليه وهو عايش، بس لما مات كثرت السكاكين حوالين سمعته وحوالينا.. كنا معرضين لكل شيء، كنا معرضين نشحت وتتاخد فلوسنا.. وعشان كده أنا حاربت وصفيت شركات أبوك كلها، وسيلت فلوسها في البنوك هنا وبره عشان أحافظلكوا على فلوس أبوكوا.

وهنا وقفت واحتدت في الكلام وأكملت:

- وأنت انهارده جاي تكذبني وتقولي بابا مات إزاي؟؟ اسال أي حد أبوك مات ازاي؟؟ لو مبتصدقش أمك يا نادر.. وبعدين أنا هخبي عليك ليه؟؟

كان نادر يتأمل وجه والدته كأنه لأول مرة يراه، هذه السيدة تحملت الكثير، وتخفي شيء ما، هو يعلم ذلك، أي شخص قد يعلم ذلك من ملامحها.. قسمات وجهها وقلقها البادي يقولان أنها خائفة من شيء ما.. ملامحها الممتعضة والغاضبة تقول أنها تريد أن تتخلص من شيء ما عالق في صدرها منذ زمن.. لكنه لا يعلم ما الذي تخفيه والدته حقًا.. هل تخفي موت والده؟ أم أنها ترتاح من أعباء قديمة حان الوقت أن ترميها من على كاهلها.. هو لا يعلم أي شيء الآن سوى أن الواقفة أمامه والدته ، يراها كما لم يراها من قبل، غير مسيطرة على أعصابها بأي شكل من الأشكال.. لكن ما الذي تخفيه؟ ذلك هو السؤال.

كان كل ما يدور في عقل نادر أنه سيعرف عاجلًا أو آجلًا إن كانت ما تخفيه والدته هو انتحار والده أم ماذا؟؟ ولكن الآن يجب عليه أن ينسحب من المشهد للأعلى ليرتاح الجميع.

وقف نادر ناظرًا إلى والدته وقال لها:

تصبحي على خير.

وكأن شيء لم يكن. هكذا هو نادر دائمًا هادئ جدًا، لا يعرف أحد ما
يدور في باله، يتعامل مع كل شيء بهدوء تام، فهو لا يحب أن يحدث
جلبة، لعل عمله في البورصة جعله هادئ الأعصاب بدرجة كبيرة..
ولكن إلى أي مدى سيستمر نادر على هذا الهدوء الحذر؟ عندما كان
يصعد على السلم كان يتمتم: "فوزي عبد المجيد.. فوزي عبد المجيد.."

(4)

الساعه تشير إلى السابعة مساءً.. المكان هادئ نسبيًا، فهو لا يزدحم إلا في منتصف الليل.. يجلس عزت المحمدي إلى جوار رجل ذو ملابس مهترئة، ولكنه يهندمها وكأنها أنيقة، فالقمص مكوي والسروال كذلك، والحذاء ملمع. ولكنه منحول من عجة جوانب.

المكان واسع، تتراص فيه الطاولات بشكل منظم، كل طاولة خلف الأخرى، حول كل طاولة أربع كراسي بالعدد. الحوائط مكسوة بالخشب، وعلقت عليها صور من أماكن متفرقة ولمواضيع مختلفة.. فصاحب المطعم ذلك الأرمني الأصل "إيلي ستافينوس" يهوى التصوير جدًا.. الكل يعلم ذلك.

المقدس إيلي -كما يناديه العامة- حيث أنه قد قام بزيارة القدس في شبابه عدة مرات للحج في أراضيها.. يجلس على مكتب استقبال ربع دائري على يمين المدخل مرحبًا بكل من يدخل لمطعمه القائم في منطقة وسط البلد.. ذو الواجهات الزجاجية الرائعة التي تجعلك تشعر وكأنك في أحد مطاعم باريس.. هذا ما تبقى من جمال القاهرة في الفترة الأخيرة، فلقد زاد العمران، وزاد عدد السكان بشكل كبير، وافتقد المصريين لنواحي الجمال والأصالة في كل شيء.

نظر عزت ناحية فوزي وقدم له سيجارة من علبة فضية عليها بعض النقوشات قائلًا له:

- اتفضل.. أخذ فوزي السيجار فامتدت يدي عزت بالولاعة وأشعل له السيجارة، ثم أشعل سيجارته.. وسحب نفس عميق، وزفر نفسه وقال:

- عمرك ما دخلت مطعم زي ده يا فوزي أكيد؟

- لأ إزاي دخلت طبعًا.. بس مكنش نفس المستوى.. التاني بيكون زحمة أكثر والناس أغلب حبتين.. وصاحبة المطعم واحدة ست.

- مسمط السيدة.

- إيه ده يا باشا حضرتك عرفت منين؟ أنت بتروح هناك ولا إيه؟ دحنا طلعنا زملاء في مطعم واحد أهه.

- لأ مبرحش بس شفتك عامل إعلان ليها في الجرنال التعبان بتاعك.. فاتوقعت بسهولة.

حك فوزي رأسه وقال له:

- آه قول كده بقا يا بيه.

- أنت كنت بتفكر في إيه لما نشرت خبر انتحار الباشا؟ إيه طموحك يعني تبيع 200 نسخة تعيشك شهر بحالتك دي؟ أنت متخيلتش لحظة إنك بتلعب في مكان الغلطة فيه بحياتك؟ مخدتش بالك إن

صحفيين أكبر منك محدش نطق ولا جاب سيرة؟ الموضوع خلاص شبه منسي.

هنا اعتدل فوزي في جلسته وسحب نفس من السيجارة وابتسم، وقال:

- يا عزت بيه.. فكر معايا كده، مين هينتبه لكلام واحد زيي جرناله بيطلع يوم آه وعشرة لأ.. جرناله بيطلع بالسلف والدين. أنا الجرنال بتاعي مبيتوزعش غير على فرش وسط البلد لأني بنزل أوزعه بنفسي. جرنال إشاعات وفضائح.. يعني ميعتبرش مصدر لحد.. لما أكتب في قضية زي ده هيبيع شوية يطلعلي قرشيين أعيش بيهم، أحسن من القرف اللي أنا فيه ده.. وبعدين يا باشا فكرك إيه أكثر حاجة ممكن تحصلي.. هيقفلولي الجرنال، مفيش أصلا جرنال.. هيحبسوني، يبقا ضمنت فطار وغدا وعشا.. هيموتوني يبقا استريحت.. أنا كده كده كسبان.

تأمله عزت قليلًا.. ثم ضحك وأردف في الكلام:

- أنت حسبها بقا ومبقاش همك أي حاجة.. بس عجبتني طريقة تفكيرك.. بس أحب أقولك إن في نقطة تاهت منك في الحسبة دي.. في بلدنا الإشاعة بتتصدق بس في حالات معينة.. منها حالتنا دي.. لما حد من الكبار يقع.. الناس بتصدق عليه أي حاجة لأن هيبته بتقع معاه، الناس ما بتصدق تتشفى فيه.. لو قولت لهم أي حاجة هيصدقوها.

ابتدي بعلاقات مشبوهة، لحد تجارة الأعضاء البشرية، هيصدقوك حتى لو قولت إنه مصاص دماء.. الشعب ده غلبان بس باقي أكثر من اللي حاكمينه.. باقي بوجدانه.. قابل يعيش تحت يتفرج على وقوع كل واحد كبير.. واحد ورا التاني.. هما بيخلصوا، لكن فرحة الشعب بوقعهم باقية.. أنت محسبتش ده.

حك فوزي رأسه مره أخرى.. وقال:

- يمكن محسبتهاش كده.. بس برضه كده كده أنا مستفيد.

نظر عزت إلى ساعته.. ونظر إلى خارج المطعم.. في انتظار شيء ما.. وقال:

- بص يا فوزي المدام جايو دلوقتي، تبقا محترم معاها وتعرف أنت بتكلم مين كويس، أنا قولتلها نديك قرشين وخلاص، بس هيا طلبت إنها تشوفك.. قالتلي إنها عايزاك في موضوع تاني معرفش هو إيه بالظبط، بس كلامك يبقا معاها بحساب، وتركز في كلامها.

- طيب يا عزت بيه متخافش.. بس مش هناكل بقا؟

في تلك اللحظات دخلت "المدام" من باب المطعم.. ووقف المقدس إيلي يقبّل يدها. وعزاها في وفاة زوجها كمال الشوربجي، فقد كانا من زوار المطعم الدائمين.. ثم أكملت خطوطها إلى أن وصلت إلى الطاولة.. فهرع عزت المحمدي بالقيام والتوجه إلى الناحية الأخرى لسحب الكرسي

للمدام.. ووقف فوزي أيضًا محييًا إياها، ولكن أصابته حالة من عدم الاتزان، وبدأ في التلعثم، فهو لم يتوقع أن تمكنه الصدفه يوم ما من الجلوس إلى "مدام الشوربجي"، فهم بعيدون جدًا عنه، ولكنها الحياة، والصدفة دائمًا لها وجهة نظر أخرى. بدأ عزت بالكلام:

- أزي حضرتك يا هانم؟ يارب تكوني بخير.. أنا خلاص رتبت كل حاجة كلمتيني عنها، وباسبورتات السفر.. وبخصوص فوزي كلمته، وهو ابلنا، بس الشباب بقا وكده وحضرتك عارفة حرية الصحافة، بس هو الشهادة لله وعدني الموضوع ده يتقفل تمامًا.. متشليش في بال حضرتك.

أومأت الهانم برأسها ثم التفتت لفوزي، ثم أشاحت بوجهها إلى حقيبة يدها، وأخرجت سيجارة، أسرع عزت بإشعالها، ثم سحبت نفس وتأملت ذلك المهترئ فوزي وقالت:

- بص أنا كان ممكن متعبش نفسي وآجي لحد هنا، ولا أديلك شرف إنك تقعد معايا.. كان ممكن أوصي أي حد يخفيك في أي مكان تحت الأرض، أو عربية تخبطك وتريحك، بس أنا محبتش ده كله يحصل.. اوعى تفتكر إن جرنالك ده فارق معايا بحاجة، أبدًا.. ولا يفرق.. حتى ميسواش ورق تواليت..و محبش أقولك إن كلك متسواش شيء أصلًا.. بس أنا عايزاك في حاجة ثانية غير الجرنال.. أنا هساعدك تنسى حياتك ده كلها وتبقا أحسن من كده، هلاقي ليك وظيفة في جرنال

محترم وهساعدك بالفلوس.. بس مقابل ده كله.. أنت عيني في وسط اللي زيك، أي خبر كده أو كده يمس عائلة الشوربجي بلغني بيه قبل ما يتكتب.. عارف يعني إيه قبل ما يتكتب؟ طول ما أنت معانا أنت في أمان، وعيشتك أحسن بكثير.. في الوقت اللي متشوفش شغلك.. هترجع تاني فوزي اللي قاعد قدامي ده.. الأمر واقف على اختيارك عايز تبقا فين.. وافتكر إنك ذكي وهتعرف تختار.. أما موضوع النشر بتاعك فأنا عارفة إنه انتهى خلاص.

أنهت المدام كلامها وأطفأت سيجارتها وقامت للرحيل، فوقف الرجلان وودعت عزت الذي لحقها إلى الباب قائلًا:

- يا هانم الموضوع اللي كلمتيه فيه كبير عليه قوي، وبعدين اشمعنه هو؟؟

- اشمعنه هو؟ عشان جعان، واللي زي ده هيفضل علطول جعان.. أما ،كرة إن الموضوع كبير عليه.. فاحنا بطريقتنا هنكبره ونحطه في المكان اللي يساعدنا منه.. اللي زي ده نقدر نتحكم فيه ونحركه شمال ويمين، نسه بيخاف.. اللي نعرفهم بدأوا ميخافوش وبدأوا يعرفوا سكك غيرنا.. خلينا نحضر نفسنا بناس جداد.. فين التذاكر؟ لما أرجع من لندن عايزة ألاقي كل شيء اتحل، والولد ده كلمله حد في الأهرام من حبايبنا إديله قرشين ينضف نفسه وفهمه يعمل إيه، لما أرجع عايزة كمال لشوربجي يبقا مات موت ربنا، سكتة قلبية، البلد كلها تبقا عرفت

كده، والشركات بدأنا في تصفيتها بشكل هادي محدش يحس بيه، عشان متتباعش غير بالسعر اللي احنا عايزينه.

- يا هانم بس أنا عندي سؤال عدم اللامؤاخذة.. أنتِ بتعملي ده كله ليه؟ يعني ما خلاص الباشا انتحر.. قصدي مات، ليه بتجهزي نفسك وكأنك في حرب؟

- بص يا عزت، مرات كمال الشوربجي مش أقل منه في حاجة، ده تاره اللي لازم آخده عشان يستريح.. أنا معرفش مين قتله، بس متأكدة إنه منتحرش، والأيام هتثبت إن كلامي صح، والناس دي مش هتسيبنا في حالنا، فلازم يحسوا إننا بننهي وجود اسم الشوربجي دلوقتي في أي مكان خطر.. خير وسيلة للهجوم هي الدفاع يا عزت، ولا أنت متعلمتش حاجة من الباشا؟

- والله يا هانم لسه بنتعلم.. تروحي وترجعي بالسلامة.

ثم وقف عزت محييًا المدام وهي ترحل بسيارتها، وهو شارد الذهن يفكر فيما قالته المدام، مستغربًا ما يدور في عقل هذه السيدة الأرملة، هل هي مخاوف حقيقية؟ أم أنها هلوسات الصدمة؟ ليقطع هذه الأفكار صوت من الخلفية:

- مش هناكل ولا إيه يا عزت بيه؟

(5)

المكان ممتلئ بالبخار، وتنتشر فيه رائحة نعناع مختلط بخوخ تملأ الأنوف، وتترك آثارًا بالأجساد شبه العارية التي تختفي منها أجزاء بعينها دون الأخرى، يوجد مسبح كبير في الوسط مياهه ساخنة، وتتحرك كموجات لترخي العضلات المنهكة، وتعطي استجمام بعد عمل شاق.

المكان غرفة كبيرة جدًا لها بابان كهربائيان يفتحان تلقائيًا للواقف أمامهما، يتوسط هذه الغرفة مسبح كبير نسبيًا.. لا يميزه شكل معين، فقط أرضيته فسيفساء ذهبية وأطرافه فسيفساء بنية، الحوائط المحيطة خليط من البني والذهبي والأبيض، على الناحيه الأخرى من الأبواب غرف بخار مغلقة، يختلط ببخارها بعض المواد الطبيعية التي تساهم في شد البشرة ومعالجة الخلايا الميتة، تواظب على القدوم إلى هذا المركز الصحي نساء المجتمع الراقي باستمرار للمحافظة على أجسادهن وبشرتهن ونضارتهن، يرتدين ملابس البحر متباهيات بمفاتنهن، وكأنهن في عرض أزياء، الخدمة في هذا المكان خمسة نجوم، تمر عليك من وقت لآخر الخادمات بكل أنواع المشروبات، بالإضافة لبار موجود في أحد أطراف المسبح.

يوجد إلى اليسار من الباب الأحواض الذهبية، وهي عبارة عن أحواض للعلاج بماء الذهب، تسع شخصًا واحدًا، تجلس عند الكتفين فتاة فلبينية تقوم بتدليك الرقبة والكتفين والأيدي والرأس، وباقي الجسد

مغطى بماء الذهب المعالج بطريقة معينة. إنها تلك التكنولوجيا العلمية الجديدة للمحافظة على تجدد خلايا الجسم.

تدخل إلى المكان شاهيناز مرتديةً ثوب السباحة الأسود الرقيق جدًا، والذي يقف عاجزًا أمام إخفاء مفاتنها البارزة بقوة.. هي هكذا دائمًا متفجرة الأنوثة، مفرطة الجمال، شعرها المائل للأحمر مع الأسود يضفي سيمفونية من الجمال، تمشي بجوارها شيرين.. أقصر قامة وبجسد رقيق ورائع كالملائكة، صدرها منساب مع جيدها الرقيق، ترتدي ثوب سباحة وردي اللون، فهي مغرمة بالألوان المبهجة كروحها، تتجهان يمينًا ناحية أحواض الذهب، ينساب جسدين رائعين في حوضين متقاربين، لتتحرك نحوهما فتاتان فلبينيتان بخفة ونعومة كالحرير، الفلبينيين شعب غريب، يصعب عليك التفرقة بين نسائهم ورجالهم، تشعر أنهم أحاديو الخلية، كائنات بسيطة وغير معقدة في أي شيء، وتشعر دائمًا أنهم غير مكترثين بالحياة، وجوههم تقول ذلك، في إحدى المرات سألت شاهيناز صديقتها صاحبة مركز التجميل لماذا الفلبينيات؟ فردت عليها قائلة أنهم "لا يتكلمون ولا يسمعون ولا يرون أي شيء"، وهذا شيء مهم لمكان يجب أن تبقى أسراره بداخله.

المياه دافئة نوعًا ما.. عندما تهبط إليها تشعر بتمدد في الجسد وشعور بالراحة، وكأنك تنام على سحابة تشعر بعد بضع دقائق وكأن شيء ما يتحرك على جسدك، حركه بطيئة تسبب لك القشعريرة، ولكنها ممتعة إلى حد كبير.

تتأهوه شاهيناز بصوت خافت، وتسحب هواء إلى صدرها وتنفخه بهدوء كأحد الطرق الرائعة للاسترخاء. وشيرين في الحوض المجاور لها مغلقة عيناها مستمتعة بحركة أصابع الفلبنية على جيدها.

الموسيقى الهادئة تبعث على النوم، والمكان هادئ إلا من أصوات النساء القادمة من المسبح الكبير.

تلتفت شاهيناز إلى شيرين قائلةً:

- نادر أهوه.

فتفتح شيرين عينيها مسرعة ، وتعتدل في الحوض ملتفة إلى الباب.. فتضحك شاهيناز قائلةً:

- والله أنت مجنونة، نادر مين يا عبيطة اللي هيجي بيوتي سنتر حريمي وهيدخل عادي كده؟ واحشك قوي يا بيبي؟

- بجد أنت غلسة جدًا بقا وفصلتيني، أنا ماصدقت اندمجت وبدأت أسترخي، أنا بقالي شهر سفر شمال ويمين لحد ما تعبت، وآه وحشني يا بيبي.

- متقلقيش "سيلا" هترجعك في المود في ثانيو.. بس أنت محكتليش إيه حصل آخر مره قابلتي فيها نادر لوحدكوا؟؟

- وأنت عرفتي منين إني قابلت نادر؟؟ هو قالك؟؟

- أنت عبيطة يا بنتي؟ نادر هيقولي إنكم اتقابلتوا؟ بس أنا بنت وبحس، وآخر مرة استنتيه عند كالتشيوا كان باين عليكي قوي الشوق يا مزة.. وده معناه إن الولد نادر طلع راجل ومالي مركزه كالعادة.. نظرة عين البنت بعد أي علاقة بتكون مفضوحة قوي.. بتبقا سايبة جزء منها مع الراجل، بتبقا سايبة روحها، ولازم تقعد فترة ولو بسيطة عشان تسترجعها مرة ثانية وترجع نظرتها لطبيعتها.

هزت شيرين كتفيها ونظرت للأمام غير مكترثة بكلام شاهيناز، وقالت:

- على فكرة محصلش حاجة يا أستاذ أسامة منير.

- لأ حصل، أنا وأنت عارفين إنه حصل، بس عادي هعديها.. ما ده الطبيعي، أصالحكوا على بعض ومحدش حتى يفتكرني بقعدة حلوة.. والله احنا الثلاثة نجنن في سرير واحد.

وهنا انطلقت ضحكة من شاهيناز ملأت المكان، ولم تتوقف إلا عندما نظرت شيرين لها قائلةً:

- هتفضحينا الله يخرب بيتك.. احنا عايزين ندور لكي على واحد غير حسام ده صعب نسيبك كده كثير.

- يا بنتي حسام مين وغيرو مين.. أنت عارفة كل الرجالة في نظري لا شيء، اللي يعامل الرجالة في شغل ينزلوا من عينه علطول.. بس في حاجة غريبة بقالي فترة ملاحظاها.

- إيه؟؟

- نادر غريب، دماغه مبقتش معانا بقاله فترة، تحسيه جسد من غير روح، عينيه دائمًا تايهة بيفكر في حاجة ومبيقولش.. هو آه نادر بيخبي كثير.. بس المرة دي أكثرهم غرابة.. تحسي في شيء كبير مخبيه.

- هو في حاجة فعلًا شاغلة باله.. معرفش حكالك ولا لأ، ومعرفش طبيعي أحكيلك ولا لأ.. بس في واحد بيكلمه بقالخ فتره بيغلس عليه.

- هههههههه.. حتى الرجالة طمعانين في نادر.

- لأ يا لطيفة ده راجل بيقول إنه يعرف أبوه، وإن عنده كلام عايز يقولهوله شغل أفلام كده.

- طيب وأنت قولتيها أهه.. شغل أفلام يعني، الموضوع ملوش لازمة يشغل باله فيه، نادر دماغه كبيرة.. هو ساعات مجنون آه، بس مش قوي كده.

- معرفش بقا ده اللي حصل وفعلًا في حاجة، عاجلًا أم آجلًا هنعرف.

- بس صحيح كان ليه بيسألك على فوزي عبد المجيد؟؟

- أهي دي حاجة من الحاجات الغريبة برضه.. بيقولي إنه فاتح حساب بورصة وعايز يقفله.. أنا مرضتش أحرجه وأقوله إنه بيكذب، لأن فوزي عبد المجيد من عينة الناس اللي بتحب تحافظ على الفلوس تحت البلاطة.. ملوش هو في البورصة والكلام ده بس خليه براحته.. ده أبدًا مبستغربوش مع نادر، وأهم حاجة إننا كويسين مع بعض.

- بالظبط كده، ده نادر يا بيبي، وما أدراك ما نادر الشوربجي، بس صحيح مقولتليش عملتوا إيه برضه.. بتحبي أنت النوم على بطنك يا بيبي.

هنا أشاحت شيرين بوجهها إلى الأمام متجاهلة كلام شاهيناز، ووجهت كلماتها إلى "سيلا" بأن تكمل عملها، وبأن تهتم بمساج بصيلات الشعر، فإنها في غاية التعب.

الفصل السادس

(1)

يجلس إلى مكتبه، أمامه حاسبه الآلي والتليفون إلى يمينه، أمسك هاتفه الخلوي في يده يقلب فيه باحثًا عن رقم شيرين، وعلى الرغم من أنه دائم الاتصال بها، ولكنه من كثرة انشغاله بالتفكير طوال الليل، يمر على الاسم دون أن يراه.. كم هو مشغول بذلك الشيء الذي أطل عليه من حيث لا يدري.. أمر موت والده.. وذلك الرجل الذي خرج له من العدم مخبرًا إياه أن والده قد قتل، ووالدته التي تخفي عنه شيء ما، وتخبره أن والده مات بسكتة قلبية، وذلك الجرنال الذي يأخذه إلى مكان آخر.. انتحار! أي هذه القصص صادق؟ أيها محض افتراء؟ هناك قصتان تأخذانه إلى الدماء، وهناك قصة تأخذه إلى موت طبيعي.. إنه الارتقاء الطبيعي.. هل هو مهتم حقًا بمعرفة ما تخفيه هذه الأحجية؟ بالتأكيد هو مهتم، إنه والده.. ولكن أي الطرق يسلك للوصول لغايته، إنه ذلك الرجل.. فوزي عبد المجيد.. يملتك بالتأكيد قطعة ما من تلك الأحجية التي تشغل باله.. هذا ما كان يفكر فيه نادر أثناء بحثه عن اسم شيرين في قائمة الاتصال حتى وجده بالفعل، وقام باللمس عليه ليبدأ صوت رنة الهاتف يصدح من السماعات على استحياء، جاء الصوت من الجهة الأخرى:

- ألو نادر حبيبي.. نادر يا نادر.

- ألو، ازيك يا بيبي؟ سوري مخدتش بالي إنك رديتي، ازيك؟؟

- لا عادي مشتغلش بالك.. أنا الحمد لله.. أنت فين؟

- أنا في المكتب، عندي زحمة شغل انهارده، بس راسي محتاجة طن قهوة عشان أفوق.

- منمتش أمبارح كويس؟!

- لأ تقريبًا منمتش أصلًا.. يخرب بيت الشرب لما بيقلب معايا بفوقان.

- أنت مش هتبطل تتقل في الشرب يا نادر؟ أنا فقدت فيك الأمل.

- عادي بقا يا شيرين.. المهم.. تيجي نروح كالتشيوا بالليل لوحدنا؟

- اشمعنه يعني ..؟؟

- لا عادي تغيير.

- خلاص يبقا نروح أي مكان تاني أهدا طالما لوحدنا.

- لأ لأ.. كالتشيوا.

- نادر أنت عايز تروح كالتشيوا ليه ..؟؟

- عادي يعني.. خلاص خلاص نروح أي مكان.

- لأ خلاص كالتشيوا، لما أشوف آخرتها معاك.

- خلاص اتفقنا.. أشوفك بالليل يا بيبي.

أغلق نادر المكالمة مستغربًا نفسه، وكيف أنه مفضوح جدًا، وطريقته لا تخفى على طفل صغير، ولكن شيرين لن تعاتبه بقسوة، هي تحبه أيًا كان وتمرر له مثل هذه الأشياء.. ولكن كيف يمرر لها موضوع فوزي عبد المجيد دون أن تشعر.. هذه ليست معضلة بالتأكيد.

*(1)

يجلس نادر مقلبًا الثلج في كوب المارتيني منتظرًا شيرين في مكانهم المعتاد، الأجواء في كالتشيوا لم تتغير كعادتها صخب كالعادة، ووجوه تعشق المال، وتعشق السهر، نوع من الحياة السهلة الرائعة والوجوة المبتسمة طوال الوقت، لا شيء يؤرقها داخل الجنة.. هم قدموا إلى هنا للاستمتاع، وللاستمتاع فقط، لا يأبهون بأي شيء خارج حدود عالمهم.. هم احترفوا ذلك، احترفوا فصل عقولهم عن العمل بمجرد خروجهم من ذلك الإطار.. الحياة ليست سهلة دائمًا بالنسبة لهم، ولكن لو لم يفعلوا ذلك لن يستمروا في أماكنهم سيرهقون وسيتعبون ويخرجون على المعاش، وكخيل الحكومة يمكن أن يقتلوا في نهاية خدمتهم.. فما بالك بشخص كان في قلب هذه اللعبة الكبيرة كترس وخرج للأهلية، الطبيعي أن ليس له مكان في المجتمع، هذه هي قواعد اللعبة.

يفتح عماد باب الكالتشيوا فيصدر صوت الأجراس المصاحب لفتحه.. مما يشد انتباه نادر إلى الباب.. إنها ليست شيرين، ولكنها شاهيناز مع أخوها أدهم يدلفان من الباب إلى داخل الصالة الواسعة.

- ايه اللي جابها دلوقتي دي؟ هذا ما قاله نادر بصوت مرتفع عندما شاهد شاهيناز.. وحاول إظهار عدم الانتباه، ولكنه سرعان ما استمع إلى صوت خطوات أقدام قوية صادرة عن كعب حذاء حريمي قادمة من الخلف.. وبيدين توضعان على كتفه.

- نادر يا شوربجي بتعمل إيه لوحدك؟ قفشتك، جاي تقابل من ورا شيرين؟ والله لأفضحك.

ادعى نادر الاندهاش والصدمة وكأنه كان يفكر في شيء ما.. وصرخ قائلًا:

- إيه ده شاهيناز.. إيه يا بنتي مقولتيش ليه إنك جاية؟ أنا كنت معدي من هنا ودخلت أشرب كاس مارتيني خوخ، وكلمت شيرين قولتلها لو فاضية تعدي.

- وأنا كمان كنت ملانة. أدهم كلمني وقال جاي على هنا قولت آجي معاه أغير جو، تعبانة مع إني تقريبًا كنت واخدة أجازة انهارده، ورحت "السبا" الصبح مع شيرين، بس هلكانة برضه.

حرك نادر وجهه ناحية أدهم الذي كان يقف خلف شاهيناز،

- ازيك يا أدهم بيه؟ مفيش سلامات يعني؟

- ازيك يا نادر عامل إيه؟؟ وصلتك الأمانة؟

- أمانة؟ أنتم بينكم إيه أنتم الأثنين؟ أدهم ونادر بينهم حاجة أنا معرفهاش؟ ده الكنيسة راضية عن القسيس بقا.

هنا رد أدهم وكأنه لا يكترث:

- لأ عادي ده بيزنس ما بينا، لا أكثر ولا أقل.

- على رأي أخوكي ده بيزنس يا شاهيناز متشغليش بالك.

- طيب لما أشوف آخرتها معاكم.. وهعرف على فكرة.

في هذه اللحظات كانت شيرين تقف خارج كالتشيوا في طريقها للدخول.. يفتح لها عماد، وبخطوات بطيئة تصل للطاولة لتجد شاهيناز جالسة مع نادر هي وأدهم، فترمي سلامًا على الجميع وتسأل مستغربة عن سبب هذه الصدفة، أو إن كانت مقابلة مرتبة، اخبرتها شاهيناز بالمحادثة التي جرت بينهم قبل مجيئها بخصوص الصدفة، فقالت لها شيرين:

- الباشا ده اللي جابني انهارده، أنا كنت عايزة أروح أنام جدًا.

- معلش بقا يا شيرين نادر مننا وعلينا لازم نرضيه.

نظر لها نادر قائلًا:

- اشتغلوني أنتم الاثنين بقا.

ضحكتا سويًا، ونادت شاهيناز على النادل لتطلب منه ن يأتي لها بفودكا وليمون، لتحاول أن تستعيد صوابها كما تقول.

تبادل كل من نادر وشيرين وشاهيناز وأدهم الحديث.. إلى أن قطع نادر الحديث واقترب من شيرين قائلًا:

- أنتِ قولتيلي إن فوزي عبد المجيد صاحب أبوكي صح؟

- آه صاحبه، معرفة يعني، بس يعرفه كويس.

- طب ما تيجي تعرفيني عليه، هو واقف هناك تقريبًا مع نفس البنات اللي كان واقف معاهم امبارح ومعاه اثنين رجالة كمان.

- نادر أنت عايز منه إيه؟ ده راجل سكته مش تمام أصلًا!

- منا فهمتك، شغل يا بيبي، شغل.

- قولتلي بقا شغل؟ طيب تعالا.

قام كل من نادر وشيرين متحججين بأنهما سيخرجان ليشربا سيجارة خارج المكان لازدحامه هذه الليلة.. وفي طريقهما للباب..ن انحنى ناحية المكان الواقف به فوزي عبد المجيد.. وتلاقت عيناه بعيني شيرين العمري، وتعاملت شيرين مع الموقف، وكأنه صدفة. سلمت عليه واحتضنها وقبلها على خدها قائلًا:

• حبيبة عمو ازيك يا شيرين عاملة إيه؟ والله وحشاني بقالي كتير مجتلكمش المكتب، بابا عامل إيه أخباره؟ سامع إن البيزنس والشغل ماشيين حلو الأيام دي معاكم.

ابتسمت شيرين وردت باقتضاب عليه:

• آه الحمد لله كله تمام.. الشغل كويس وبابا كويس.. وحضرتك اللي مبقتش تيجي خالص، زعلان مننا تقريبًا:

• لأ أبدًا، بس أنت شايفة حال البلد، كل يوم مشاكل وقصص، أول ما الدنيا تهدى أكيد هاجي لبابا.. معرفتيناش على صاحبك.. مش صاحبك برضه؟

ألقى فوزي عبد المجيد بالدعابة السمجة قاصدًا إحراجها، ولكنها تقبلتها وعرفت بنادر قائلة:

• نادر ال.. هنا قاطعها نادر قائلًا:

• نادركمال.. نادر كمال يا فندم.

• أنا فوزي عبد المجيد يا سيدي، رئيس تحرير وصاحب جرنال مصر اليوم، أكيد تسمع عنه.

• طبعًا يا فندم أشهر من نار على علم.. أنا شغال في شركة "مريبال للأوراق المالية والبورصة".

• آه كان ليا حساب هناك، واحد ابن حلال أقنعني أفتحه، لكن الثورة يا سيدي قلبت الدنيا وأدينا بنخسر، وشركتكوا مبترحمش.

هنا ابتسمت شيرين ولاصقت كتفها بكتف نادر، حيث أنها قد علمت أنه لم يكن يكذب عليها، وأن فوزي بالفعل عميل في شركتهم.. كم هي غبية، لماذا لم تصدقه في هذا الأمر التافه؟ وهو أمر حقًا تافه.. يجب أن تكافئه لسوء ظنها فيه.. خطرت هذه الأفكار سريعة قبل أن تسمع نادر قائلًا:

• خلاص يا فوزي باشا، نتقابل في مكتبي، ورقمي أهه 01033509001 في أي يوم واسأل عني، معايا مفيش خسارة إن شاء الله.

• خلا يا نادر بيه هجيلك ونشوف، وطالما من ناحية شيرين يبقا أكيد مفيش خسارة، شيرين العمري بنت أبوها مبتخسرش.

وألقى ابتسامة سريعه وردوا عليه بابتسامة، ودع كل منهم الآخر وعاد نادر وشيرين إلى طاولتهم، وفي طريق عودتهم نظرت له شيرين قائلة: "آسفة"

فضحك نادر ولم يسألها عن سبب أسفها.. ولكنه ضمها إليه وقبل رأسها.

(2)

عاد نادر وشيرين إلى الطاولة، وجلسا إلى شاهيناز وأدهم.. فالتفتت شاهيناز إليهم قائلة:

- إيه مطلعتوش بره تشربوا السيجارة؟ ووقفتوا مع فوزي عبد المجيد.

- آه شوفته ومعرفتش مسلمش، أنت عارفة إنه صاحب بابا وكده.

- صاحب بابا؟ قولتيلي بقا..على أساس إننا مش بنشوفه كل يوم هنا من زمان مثلًا وأنت ولا مرة سلمتي عليه ولا سألتي فيه أصلًا؟

في هذه اللحظات كان نادر يفكر في شيء ما ويشرب سيجارة قد أشعلها، وينفخ دخانها في هواء المكان.. فجأة تقطع شاهيناز حبل أفكاره قائلة:

- يا باشا حضرتك معانا؟ ولا نسيبلك الترابيزة لوحدك؟

نظر لها قائلًا:

- أنا داخل الحمام. قام نادر بعد أن رمى ابتسامة لشاهيناز قائلًا لها:

- بطلي تغلسي على شيرين.

مشى نادر متجهًا إلى الحمام.. الحمام يقع في نهاية الرواق الموجود إلى اليمين في نهاية صالة الكالتشيوا، دخل نادر إلى الحمام الذي يوجد على بابه صورة كبيرة مرسومة لتشارلي شابلين، فتح الباب ودلف إلى داخل الحمام الفاره كطبيعة الكالتشيوا، الأرض جرانيت بني اللون، الحوائط مكسوة بقطع الزجاج الكبيرة في أحضان صفوف من الفسيفساء الذهبية الممتدة من أعلى السقف إلى الأسفل.. يحدها على الجانبين صفوف فسيفساء بيضاء اللون.. الأحواض على هيئة أطباق، والصنابير نحاسية، وتتواجد بعض اللوحات المقلدة لرسومات عالمية.. وأبواب غرف دورات المياه خشبية كبيرة.. ينظر نادر يمينًا ويسارًا متأكدًا من خلو المكان من أي شخص آخر سوى هو وفوزي عبد المجيد، الذي خرج فعلًا من أحد الحمامات ليجد نادر مستندًا إلى أحد حوائط الحمام المواجه للمرايا يشرب سيجارته.. نظر له فوزي الخارج من الحمام قائلًا:

- نادر بيه، إيه اللي مدخلك تشرب سيجارة هنا؟ الدنيا زحمة برة صح؟؟ أنا برضه دخلت هربان من الزحمة بره، وكمان حاسس بتعب غريب.. مهما حاولت تبعد عن السن هيفضل يلاحقك.. نصيحة مني عيش حياتك وانبسط وأنت لسه صغير، واحد زيي ما اتوفرتش ليه ظروفكوا دي وأنا شباب كده، يلا نعمل إيه؟

يستمع نادر له دون أن ينبس ببنت شفة حتى انتهى فوزي من غسل يديه والتفت له بعد أن كان يراه في المرآة قائلًا له:

- مالك ساكت يا نادر بيه؟

- أخبار جرنال الحرية إيه؟

كان وقع السؤال غريبًا على أذن فوزي، ولكنه تدارك الموقف وتعامل معه بشكل عادي قائلًا:

- ياه فكرتني بأيام الشقاوة يا نادر بيه، ده ممكن تقول أول جرنال أعمله أيام الشباب ووش السعد عليا أيامها. بس أنت تعرفه منين؟ ده مش على سنك خالص.

- كمال الشوربجي مات إزاي؟؟

- كمال الشوربجي مين؟؟ قالها بحسم في طريقه للخروج من الحمام.

- أنت مش صاحب الجرنال اللي طلع المانشيت ده؟

نظر له فوزي باستهزاء قائلًا:

- مش فاكر. وهو يمد يده للباب ليفتحه، ولكنه وجد الباب مغلقًا، فنظر لنادر مستاءً قائلًا:

- الباب مبيفتحش. فرد نادر مستهزئًا قائلًا:

• كمال الشوربجي مات إزاي؟ منتحر زي ما مكتوب؟؟

• قلنا معرفش، وافتح الباب ده بدل ما أنادي الناس وشكلك ميبقاش لطيف.

• نادي محدش هيسمعك، وبعدين مين قالك إني قافل الباب أصلًا؟ أكسره ونطلع سوا.. كمال الشوربجي مات إزاي؟

• ما الباب مش عايز يفتح، وقولت ليك معرفش.. معرفش. قالها منفعلًا ومتعرقًا وبدأت تظهر عليه علامات الإرهاق والتعب، وبدأ وجهه في التحول للأحمر.

نظر له نادر وهو يتهاوى بائسًا وتنهار قواه وهو يقول له:

- افتح الباب. وصوته ينخفض تلقائيًا، ونادر مستمر في سؤاله:

- كمال الشوربجي مات إزاي؟ فيستند عليه فوزي هامسًا له بشيء ما، فيهز نادر رأسه متأملًا في كلامه، ثم يهمس في أذنه قائلًا:

- أنا نادر كمال الشوربجي. فأنارت عينا فوزي للحظات قبل أن تنقطع أنفاسه.

يخرج نادر من الحمام فيجد أحدهم متجهًا للحمام، فيهز نادر رأسه محييًا إياه، ويدخل إلى الحمام ذلك الرجل ليجده فارغًا.. بلا أثر لأي شيء.

يخرج نادر إلى طاولته، يجلس قليلًا ويشرب كأس مارتيني قائلًا:

- يلا نمشي بقا عندي شغل بكرة كثير، التفتت له شيرين قائلة:

- يلا. فنهض الجميع سوى أدهم ظل جالسًا، واتجهوا جميعًا إلى الباب، وفي الطريق نظرت له شيرين قائلةً:

- تحب نسلم على فوزي عبد المجيد تاني؟ فقال لها نادر:

- لأ خلاص، هو أكيد مش فاضيلنا، وضحك ساخرًا ورحلوا في صمت.

(3)

يجلس نادر على كرسيه في مكتبه، يضع أمامه كيس التبغ وورق البفرة.. يسحب أحد الأوراق واضعًا بها بعض التبغ بعد أن فركه بأصابعه مخرجًا منه تلك الرائحة النفاذة الأخاذة التي يعشقها.. كم يحب رائحة التبغ في هذه الأكياس، تذكره بمعلم التاريخ في مدرسته الداخلية في بريطانيا، كان دائمًا ما يضع تبغ مماثل في غليونه عندما كان يجلس للقراءة في مكتبه.. كم كان يحب نادر الذهاب إليه ليتحدث معه حول التاريخ والأدب.. إنه الشخص العربي الوحيد في هذه المدرسة الداخلية.. ليس عربيًا بالشكل المعتاد، فقط هو يحب العرب كثيرًا، يمكن أكثر من حب العرب للعروبة نفسها.. كان دكتور "كولين" رجل كبير السن، ولكنه شاب القلب، شعره أبيض ولحيته كذلك، وقور، دائمًا ما يميل إلى ارتداء الألوان البنية ودرجاتها، ويحب ارتداء حمالات البنطلون زاهية الألوان.. كان نادر دائم الجلوس إليه عندما لا يكون مشغولًا بحصصه اليومية، أو مشغولًا بطلبات بحثية لمدرسيه كما هو متبع في المدرسة.

دكتور كولين.. أو كما كان يناديه نادر "الأب كولين"، مدرس تاريخ متخصص في التاريخ العربي والإسلامي على وجه الخصوص، كان قد حصل على دكتوراه في التاريخ من أحد الجامعات العربية.. مما ساعده كثيرًا في أن تكون لغته العربية رائعة، وهو ما جذب نادر للاقتراب منه، حيث أحس بالألفة معه. المدرسة الداخلية كانت تحتوي

على طلاب عرب كثر من منطقة الخليج وأمراء العرب، لكنهم كانوا دائمي الحديث بالإنجليزية حيث أنه شرط مهم في هذه النوعية من المدارس.. شرط لم يكن نادر يحبه كثيرًا، بالإضافة إلى أشياء أخرى كثيرة ولكن محتملة بالنسبة له.

كانت الدكتوراة التي حصل عليها دكتور كولين تتحدث في فحواها عن الفرق الباطنية في عصور الإسلام وعلاقتها بالحكام.. كم كان نادر يحب أحاديثه المشوقة عن تاريخ لا يعرفه، وهو طفل صغير لا يهوى اللعب مع أقرانه في المدرسة أو الاختلاط بهم، فقط هذا التاريخ ما جعله يتحمل العيش سنوات في هذا السجن المسمى مدرسة.

مدرسة "يكليف"، تلك المدرسة العتيقة الأثرية ذات المبنى الضخم، ذو الشرفات البيضاء، وحجر المباني الإنجليزية ذو اللون الأحمر، المتراص بشكل خلاق، وتلك النقوشات الخفيفة حول عقود النوافذ والأبواب.. حاضنًا في وسطه ساحة ذات أرضية حجرية أثرية، ترجع هذه الأحجار للقرن السابع عشر، حيث كان مقام خلف هذه المدرسة كنيسة كبيرة، وهذه الساحه تؤدي لها، "ساحة الشهداء" كما يطلقون عليها، يوجد في وسط الساحة نافورة كبيرة، يوجد في وسطها ملائكة صغار عرايا تقطر المياه من أعضائهم التناسلية غير الموجودة، ولهم أجنحة صغيرة، متراصين في تتابع من الأسفل للأعلى، وكأنهم في رحلتهم للسفر إلى السماء، هذا ما قيل لنادر عندما سأل دكتور كولين عن معنى ورمزية هذه النافورة، التي دائمًا ما شغلت بال نادر لوقت طويل.

المدرسة محاطة بسياج أخضر كبير، وحشائش في كل مكان حول هذا السياج، سور قصير من الحديد المشغول ينتهي ببوابة ليس لها باب، فقط قائم جانبي مكتوب عليه "مدرسة يكليف"، كم كانت ذكريات مؤرقة لنادر هذه المدرسة، وهذه الفترة من حياته التي لا يحب تذكرها، ولكن دكتور كولين هو ما يجعله دائمًا يشعر بحنين ما تجاه هذه المدرسة النائية الغريبة.

انتهى نادر من لف السيجارة، ولثم طرفها بلسانه، ووضعها في فمه وأخرج الكبريت، وأشعل به السيجارة، ثم سحب نفسًا منها ومسك الجرنال باحثًا عن خبر ما في صفحة الحوادث بالتأكيد، خبر عنوانه وفاة فوزي عبد المجيد متأثرًا بتوقف في عضلة القلب في أحد بارات المهندسين، وما يلي من ديباجة حول تفاصيل المكان، ووصف حالة المتوفي عندما وجدوه ملقى في أحد غرف الحمام مستلقيًا على ظهره، وكيف أن الإسعاف لم يستطع إنقاذه، واكتشف الحادث شاب ما مخنث يحب التفتيش في الحمام عن أحد ما يطلب خدماته، وكل هذه الديباجة المعروفة للصحافة اليومية في بلدنا مصر.

ولكنه قلب الجرنال يمينًا وشمالًا ولم يجد أي أثر لهذا الخبر حتى في جريدة "مصر اليوم" التي هو رئيس تحريرها!

في هذه الأثناء بدأ وجه نادر بالتورد والتحول إلى الأحمر، وبدأت تنساب قطرات العرق من كل مكان في جسده، وبدأت يداه في

الارتعاش، وأنهى السيجارة في نفسين لا أكثر وقف كالمجنون يقلب يمينًا ويسارًا في كل الجرائد عن هذا الخبر الذي ومن الطبيعي أن يصبح متصدر للصحافة. ثم هدأ قليلًا وجلس وقال في نفسه، ولكن بصوت مسموع:"ممكن محدش فتح الحمام اللي هو مرمي فيه من امبارح.. وممكن صحابه افتكروا إنه مشي فمشيوا، ومسألوش عنه، هو راجل أصلًا بيمشي مع مومس مش هيحسوا باختفاؤه يعني..عادي ممكن ده كله يحصل، فيها إيه يعني.. أصله هيكون راح فين ابن الكلب ده؟ اتبخر محدش يعرف عنه حاجة. أنا هكلم شيرين لو حصل حاجة أكيد هتعرف، ولا بلاش شيرين. شاهيناز أحسن، شيرين هتكشف قلقي في كلمتين، أنا كان لازم أتأكد إنه مات.. بس ازاي مماتش؟ لازم يموت الموضوع مفهوش هزار".

في هذه الأثناء يرن هاتفه المحمول، يبحث عنه نادر في كل مكان مرددًا:"دي أكيد شيرين، أكيد شيرين"، أخيرًا وجده بين هذه الكومة من الجرائد.. ينظر إلى الشاشة قارئًا عليها "رقم غير معلوم" فيصرخا:"هو ده وقتك أنت كمان؟" ثم يرد مسرعًا:

- ألو، أرجوك سيبني في حالي، أنت عايز مني إيه؟؟ أنت هتدمر حياتي عشان حاجة أنا مش فاهمها، أبويا مات وخلاص، وأنا مش عايز أعرف أكثر من كده أنا كويس كده.. سيبني في حالي.

رد عليه صوت من الطرف الآخر هو نفسه ذلك الرجل دائم الاتصال قائلًا:

- معادنا بكره في الفورسيزون، تعالا باللبس الرسمي أنت وصحابك هتنبسطوا، صدقني بكرة في حفلة كبيرة عدد المدعوين مش محدد هات صحابك اللي بتحبهم.

- أنا مش جاي ارحمني، انسى خلاص.. الموضوع انتهى.

- نادر الموضوع لسه مبتداش أصلًا يا صديقي.. أول ما تيجي بكره قولهم نادر الشوربجي وهما هيوصلوك البار، وهيقعدوك على أحسن ترابيزة في المكان، اهدا الموضوع زي شكة الدبوس.. سلام يا نادر.

أغلق نادر الهاتف، وقد أنساه هذا الرجل المصيبة التي لا يجد لها حل حتى الآ،ن "فوزي زفت عبد المجيد راح فين؟" صرخ نادر قائلًا هذه الجمله قبل أن يتمالك أعصابه متذكرًا أنه في مقر الشركة المليئة بالعملاء.

(4)

وقف بالسيارة أمام الفورسيزون، تجلس إلى جواره شيرين بفستان سهرة ذو لون بنفسجي معشق بالفصوص المتلألئة، مكشوف الكتفين، ويوجد عند الصدر دانتيل أسود.. كالداناتيل المصنوع منه قفازي يديها، شعرها مشدود للخلف بشكل رائع، مما يظهر ملامح وجهها، ويظهر صدرها ورقبتها المعلق عليها قطعة رائعة من المجوهرات ذات الفص البنفسجي الأخاذ.. ينظر لها نادر متأملًا إياها ثم يتنهد، وينفث دخان سيجارته خارج السيارة، ثم يقول لها:

- أنت زي القمر انهارده كده ليه؟ بجد تجنني كل تفصيلة فيكي روعة.

تضحك شيرين ضحكة خجل وتحمر وجنتيها، وتقول له:

- فين الحلوه ده؟ متصل بيا امبارح بالليل تقولي إن في انهارده حفلة ولازم أكون جاهزة عشان لازم نروح وتقولي حلوة؟ ده اللي قدرت أعمله بسرعة كده.. إنما لو كنت خدت وقتي كنت هتحلف بيا يا بيبي.

- بس كده روعة أصلًا، وموضوع أحلف بيكي ده نتكلم فيه بعدين.

- صحيح أنت كان مالك امبارح؟ صوتك مكانش مظبوط، متوتر، تعبان، حاجة كده مقدرتش أفهم، وكلامك كان مستعجل.. أمورك مش عجباني الأيام دي.

نظر نادر إلى ساعته قائلًا:

- هيا شاهيناز وعشماوي ومراته هيجو امتى؟؟

- نادر أنت بتتهرب من إنك تجاوبني ..؟؟ ليه؟؟ مخبي حاجة؟عليا أنا حبيبتك؟

- شاهيناز عربيتها وصلت ورانا أهه.

نظرت شيرين في المرآة الجانبية وقالت:

- آه وعشماوي وراها.

اتجه نادر بالسيارة إلى مدخل الفندق الواقع في الجيزة بالقرب من حديقة الحيوان، مطلا بخلفيته على النيل.. يقف الفندق شامخًا في تصميم مقارب جدًا للمباني إنجليزية الطراز، نوافذ عملاقة وزجاج كثير بلون أزرق داكن، شرفات بها حليات ممتدة في صف واحد فوق بعضها البعض في شكل راقٍ وخلاب.

تقف سيارة نادر أمام الباب الرئيسي لينطلق أحد العاملين في الفندق مسرعًا لفتح باب شيرين، لتهبط منه تلك الفاتنة الرائعة دائمًا.. ينزل نادر من الباب الآخر متجهًا إلى شيرين واضعًا يديها فوق يديه، انتظرا كل من شاهيناز وعشماوي وزوجته بعدما هبطوا جميعًا من سياراتهم، وبعد السلامات والتساؤلات عن هذا الحفل الذي دعاهم إليه نادر

فجأة، وبعد أن برر نادر دعوته بأن أحد العملاء قد قام بدعوته لحفل إعادة افتتاح بار "كالسيوس"، وأنه رأى أنه يجب أن يدعوهم ليوم كهذا، شرح لهم أن البار قد تم إعادة تصميمه بشكل رائع، كما أخبره صاحب البار.

اتجهوا جميعًا إلى الباب، حيث توقفوا للاستفسار عن هويتهم، ودعواتهم التي لم يكن نادر يمتلكها في الأساس، فقال لهم نادر:"أنا نادر الشوربجي"، فابتسم الموظف المسؤل له قائلًا:

- اتفضل يا باشا، البار اللي في آخر الطرقة إلى اليمين.

دلفوا جميعًا إلى داخل بهو الفندق، واتجهوا يمينًا حيث ممر طويل في آخره أصوات مرتفعة لكن مكتومة بفضل عوازل الصوت المنتشرة في البار، هناك جلبة وانتظار للدخول خارج البار..

يمشي كل منهم متجهين إلى باب دخول البار، الذي يقف عليه أيضًا أحد موظفي الفندق الذي سمح لهم بالدخول هذه المرة دون أي سؤال يتعلق بهويتهم.

المكان يأخذ شكل مستطيل كبير، مرتفع السقف، فيه فخامة آسرة، الحوائط مكسوة بشراشف بيضاء تهبط من السقف خافيةً لونها الحقيقي، ولكن تطل من الخلفيو أضواء حمراء قوية.. السقف معلق إليه ألواح زجاجية ذهبية عاكسة كبيرة بشكل عشوائي، تخفي ورائها أيضًا أضواءً حمراء تتحرك في حركة دائرية منتظمة، في آخر البار من

الناحية الأخرى المواجهة للباب توجد أرضية للرقص، ولكنها مرتفعة عن الأرض بشكل هرمي، أعلاها يقف الراغبين بالرقص وكأنهم قمة الهرم، الطاولات متراصة في صفوف طولية مستقيمة تصل لأسفل الهرم القائم، الطاولات والكراسي متجمعة تظهر كمربع كبير، عندما تخرج الكراسي من الطاولة يظهر لك أنها متداخلة في بعضها كمكعبات الأطفال بطريقة العاشق والمعشوق، مكسوة بجلد بني يظهر لك عند الاقتراب منه أنه جلد أفاعي.. إلى اليمين من المدخل البار قائم بدولاب أسود مليء بالفتحات التي يوجد في خلفيتها ألوان صارخة، تومض بشكل يتناغم مع الموسيقى في المكان.. أما البار نفسه فعملاق يساع ثلاثين رجلًا في الجلوس إليه، يتناوب الخدم عليه لتقديم المشروبات إلى الطاولات، إلي اليسار تقف خادمتان تحملان علب بنية داكنة لها قلب أحمر تشبه ديكورات المكان، يوجد بداخلها سيجار كوبي غالي الثمن، يظهر ذلك من علبتها وتغليفها، اقترب عشماوي من نادر قائلًا:

- أموت في السيجار، تعالا ناخد من البنات دول. فرد نادر قائلًا:

- أنت عارف مبشربش سجايري إلا اللي بلفها بإيدي.. مبضمنش حد تاني يلفلي سجاير. نظر له عشماوي ممتعضًا واتجه للفتيات غير عابئ بكلام نادر.

اصطحبتهم إلى الطاولة أحد الخدم في المكان وأجلسهم، أخذ منهم طلباتهم بعد أن أخبرهم أن مشاريبهم كلها مجانية اليوم، حيث أنه يوم

للاحتفال بالمكان.. كل الزائرين كانوا من علية القوم، وفي بهرجة وبذخ كالمكان الذي يحويهم.

نظرت شاهيناز لنادر قائلة:

- صاحبك ده عامل تحفة فنية ومسميها بار، بجد شغله واو، أنا روحت كتير بارات مشفتش كده.. أكيد كلفه كتير.. التصميم ده مستحيل يبقا خارج من عقل مصري، ده أكيد مصمم إيطالي". نظر نادر للمكان ثم نقل لها نظره.. هز رأسه وكأنه يؤكد كلامها ويثني على وجهة نظرها، ينظر إلى جواره حيث تجلس شيرين قائلًا:

- إيه رأيك في المكان؟؟ فتهزر رأسها قائلة:

- المكان روعة بجد، وهنا هما مهتمين بيك جدًا ولا كأنك صاحب المكان.. أنا خدت بالي انهم مبيتصرفوش مع الناس كلها كده.. مع إن المكان مليان ناس مهمة قوي، شكلك مهم عند صاحب البار.

- لأ عادي ولا مهم ولا حاجة عميل زيه زي غيره، متاخديش في بالك.

في تلك الأثناء كان نادر يفكر في ذلك المتصل الذي يدعوه لمكان رائع كهذا، ولم يتصل به حتى الآن، ولم يأتِ لاستقباله أو الكلام معه، هل يمزح ذلك الشخص معه؟ الظروف لا تسمح بمثل تلك التصرفات التي لا يفهمها.. ولا يفهم ما الذي يريده منه ذلك الرجل غير معلوم الهوية، وأين ذهبت جثة ذلك المدعو فوزي؟

بدا نادر شارد الذهن للحظات، حتى قطع تفكيره أحد موظفي الخدمة في البار مقدمًا له كارتًا على صينية مخملية القاعدة، هامسًا في أذنه بشيء ما، فتتسعت حدقتا نادر وهو يصغي جيدًا لقول الرجل المنحني إليه، ثم هز رأسه مرتين، بدا عليه التوتر، رحل النادل وبقى نادر ممسكًا بالكارت مقلبًا فيه يمينًا ويسارًا، نظرت له شيرين مستغربة، وكادت أن تسأله عن شيء ما لولا أن سبقتها شاهيناز قائلةً:

- إيه الكارت ده يا نادر؟ ده مفتاح أوضة في الفندق؟ نظر له نادر متأملًا ثم أردف في القول:

- آه تقريبًا.. أو بشكل أدق هو مفتاح أوضة فعلًا.. العميل اللي عزمني على الحفل بيهديني ليلة في الفندق.. ده اللي فهمته من الجارسون.. بس أنا مستحيل أقبل الهدية دي.. أنا هرجعه تاني دلوقتي. نظرت له شيرين قائلةً:

- مش قولت ليك مهتم زيادة؟ قولت لي لأ عادي زينا زي غيرنا! لم يلتفت نادر لقول شيرين وقام من مكانه قائلًا: أنا هكلمه وأرجع الكارت وخلاص، أنا مبحبش الهدايا من النوع ده.. أو مبحبش الهدايا أصلًا. نظر له الجميع وهو يغادر المكان متجهًا إلى باب البار حتى ذاب في الزحام ولم يعد له أثر.

(5)

انطلق نادر في الردهة الخارجية للبار متجهًا إلى الاستقبال.. نبضات قلبه تزيد كلما مشى أكثر.. ذاهب إلى قدره الذي لا يعلم إلى أي الأماكن سيأخذه.. ما كل هذه الأشياء التي تهبط عليه من السماء دون أن يعلم لها سبب؟ الممر يكاد لا ينتهي.. أصبح أطول على الرغم من أنه مر فيه سابقًا، الأضواء بدت كشمس قريبة تحرق وجهه.. ولكنها بدأت تتحرك مع ازدياد نبضه حد الفوران.. لماذا نعود دائمًا للخلف كلما هممنا بالرحيل تاركين الماضي وراءنا؟ وحدها آثار الأقدام نتركها خلفنا ليقتفي الناس أثرنا.. لنبقى في مكان ما مررنا به.. لن ننتهي، نحن باقون دائمًا في أماكن كثيرة تركنا فيها أثر ما.. هذه سنة الخلق.. أجيال تمر تأتي بعدها أجيال تعيش على ما تركه الماضي لتنطلق للأمام، غير عابئة بما حل بالذين انتهوا، تخيل أن ما نقتفي أثره هذه المرة هي دماء.. أوليست الدماء وبعد فترة تترك آثارًا صعب محوها؟ والقصة بدأت من بقعة دماء كبيرة لا تنتهي إلا ببقعة دماء أخرى.. كان هناك اعتقاد سائد عند قبائل "أونداجو"، تلك القبائل التي عاشت قبل مجيء المستعمرين إلى أمريكا، أنهم إذا حاربوا بأسحلة الأوروبيين الحديثة ستحل عليهم لعنة ما ويموتوا، كان خوفهم من اللعنة أكبر من خوفهم من الأوروبيين أنفسهم، وأساطيلهم وعددهم وأسلحتهم، خوفهم أهلكهم، هم لم يفكروا انهم سيموتون عاجلًا أو آجلًا، لماذا لا يهابون اللعنات إذًا؟ إنه ذلك النازع البشري الذي يجعلك أسير لحظلك

اليوم بعد أن شاهدته صدفة في صبيحة يوم ما.. حتى وإن لم تكن تؤمن بها، الإنسان له طبيعة الجنوح للأسوأ.. مما يجعله يهرب دائمًا.. واحذر إلى ماذا يهرب.. إنه يهرب للهاوية.

درجة الحرارة ارتفعت في الممر أكثر وأكثر، العرق يتساقط على جبين نادر، واللوحات المعلقة على الجانبين حاوية صورًا لملوك فراعنة وآلهة بدأت تخرج من أماكنها، كم هي عملاقة! ولكنها جعلت الوضع أصعب.. الممر يزداد ضيقًا والآلهة تلهو وتتحرك متجهة معه إلى الهاوية، متى ينتهي الممر؟ قالها "أنوبيس" وهو ينظر إلى نادر الذي نظر إليه غير مكترث بوجه الكلب ذاك هو ليس في حضرة الموت الآن.. أم أنه كذلك؟ لماذا أتى إله الموت في هذه اللحظة بالذات ليشاركه هذا الممر الطويل؟ هل هو على قيد الحياة بعد؟ أم أنه في مكان آخر؟ أي مكان ذلك الذي يرى فيه أنوبيس إلى يمينه وكبحسينوف إلى يساره؟ إنه جُنّ بالتأكيد. "أنوبيس" هو الابن الرابع للمعبود "رع"، وفي رواية أخرى في العصر المتأخر ذكرت أن "نبت حات" -نفتيس- قد حملت به من "أوزير"؛ وخوفًا من زوجها "ست" ألقت به في مكان ما بالدلتا، ولكن "إيزة" وجدته وصار حارسها، ولذا يقال أن "إنبو" هو ابن إيزة، كيف لأم أن تترك وليدها على ضفة النيل دون أن تهتم.. ما بالنا بهم هم آلهة ولهم شؤونهم.

نظر نادر إلى "كابيحسنوف" ملوحًا له بيديه أو هكذا ظهر له أنه فعل.. ماذا يفعل ابن حورس هو الآخر في الردهة؟ إنه الماضي الذي لا ينتهي،

هم باقون ونحن باقون، الأثر والانتقام، تلك الرغبة البشريه في البقاء.. لماذا لم لم ينتصر أوزريس في حربه على ست؟ لماذا وثق فيه من البداية؟ لماذا دائمًا يترك حورس ليأتي بالثأر؟ لم قتلوا والده؟ إنها القصة التي لا تنتهي، الحياة والموت. نرث كل شيء عن آبائنا، الخير والشر.. الثروات والنقمات.

المر لا ينتهي، والآلهة لا يتحملون اقتراب الشمس التي أصبحت فوق الرؤوس، كم أنت آلهة بائسة! هذا ما قاله نادر وهم يتهاوون من حوله، أم أنه هو الذي يهوي؟ الوضع كارثي.

دكتور كولين يجلس هناك تحت تمثال عملاق لتوران شاه، لماذا قتل هذا الصبي؟ ألم ينتصر؟ هو فاسد وكلهم فاسدون. النوايا الحسنة موجودة، ولكنها دائمًا ما تتلوث مع أول قطرة دم.. ذلك الدم النجس، أوليس دم الإنسان نجس؟ إنها تلك المعضلة الغريبة جدًا، احتفظ بدمائك داخل جسدك لتبقى نظيفًا وليبقى المكان نظيفًا. العالم يدور دورته في دورة حيض المرأة، بدون دمائها لن يستمر العالم، كم أن هذه القاعدة غريبة.. أوليست هذه قاعدة البقاء؟

يقترب نادر من دكتور كولين يجلس إلى جواره على الأرض، يربت كولين على كتفه ويقترب ليهمس له بشيء ما، يبتسم نادر ثم ينهض مكملًا رحلته التي بدأها ولا يعرف أين بالضبط كانت البداية. الأمور تأخذنا دائمًا إلى أماكن لا نتوقعها.

ما الذي أتى بفوزي عبد المجيد هنا الآن؟! نظر له نادر قائلًا:

- أنت ممتش ليه؟ أنت ممتش ليه؟ قالها صارخًا فيه، وفوزي غير مكترث.. يقف مع بعض المومسات اللاتي تعود أن يجبهم إلى كالتشيوا لتقضية الوقت معهم قبل أن يتركهم يذهبون في آخر الليل، هو فقد قدرته الجنسية منذ زمن بعيد.. تركها لأنه لم يثق في أحد، ولو حتى المرأة التي يحبها، ستأتي لتحصل على ما جناه لسنوات طويلة، ذلك الجني الذي دفع فيه كل غالي ونفيس من كرامة وشجاعة ورجولة، فقط كان دافعه الخسة والنذالة.

- أنت ممتش ليه؟ قالها نادر وهو يقف أمام فوزي ووجهه إلى وجهه.. ولكنه لا يسمعه.

الشمس اقتربت إلى أن أصبح من الصعب معها رؤية أي شيء، فقط الاشتعال والموت، العرق يخلق نهارًا يغرق فيه نادر دونما أمل في النجاة، فقط غرق في سكون، جميل أن يموت الإنسان دون أن يعبأ لهذه القضية الثانوية، أوليست الحياة ثانوية، للوصل للخلود الأبدي.. كانت آخر الأنفاس تخرج من نادر قبل أن يغلق عيناه وينقطع نفسه في صمت دونما أثر سوى في أمعاء الأسماك!

يأتي صوت هاتف نادر من مكان ما.. من أي مكان يأتي صوت هاتف نادر في الماء؟ ولكن من يعبأ؟ فلا أحد سيجيب.

الفصل السابع

(1)

نظر إلى الأفق المليء بالأشجار والزرع من شرفة قصره القائم بالفيوم، تَنَشّق بعض الهواء الذي أتى متخللا الأشجار والنخيل.. تَلَمّس شعر لحيته منغمسًا في تفكير عميق فيما دار بينه وبين فؤاد بيك المرادي، إن ما أتى به لأمر جلل وكبير.. ما أمر الحاكميين؟ وما حاجتنا بهم هذه الأيام؟ لقد أبرمنا الاتفاقات بيننا وبين محمد علي ولن يحدث شيء يؤرق أمننا طالما لم نخالف شروط العهد، ولكن فؤاد بك يؤكد لي أننا يجب أن نحذر.. العهود تبرم ولكنها سرعان ما تبلى بتغير الظروف، ماذا لو توفي محمد علي وجاء من يخلفه بشروط وقواعد جديدة؟ ونحن منذ مدة توقفنا عن القتال ووهن رجالنا وتعودوا على الراحة، إنها الراحة.. دائمًا تقتل الجيوش فلا تصبح شيئًا غير بعض أفراد موزعين على فرق وكتائب، ولكن بلا قتال، لا فائدة مرجوة منهم، هو محق في كل كلمة.. نحن بحاجة إلى من يساعدنا لو غدر بنا قوم محمد علي، ولكن الوضع خطر فعلًا، ماذا لو وصل للقصر الكبير أننا نساعد الحاكميين على الرجوع إلى مصر مرة أخرى؟ ولكن ما أدرى القصر بالحاكميين؟ فؤاد بك أكد لي أنها جماعة سرية أفرادها لا يعلمهم أحد، ولا يعلم أحد طريقة تواصلهم ببعض، هو فقط يريدني أن آتي بهم في حمايتي كمزارعين من بلاد الشام، ثم يصبحون رجال لحمايتي، هم يريدون أن يذوبوا مرة أخرى في نسيج السلطة بعد أن كشف أمرهم وطردهم بيبرس المملوكي، ولكن ما الذي يعطيني ضمانات أنهم

سيكونون لنا وليسوا علينا، ويخونوا عهدنا هم أيضًا لو جدّ في الأمور أمور.

الشمس كانت تتجه للمغيب خلف المزارع، هناك منزل الشمس تبيت ليلتها هناك لتعود مرة أخرى في يوم جديد. هكذا دائمًا دورة الحياة موت وبعث.. وما بين شطري هذه الحياة تسيطر علينا الغرائز لنصل لما نريد حتى وإن كان طريقنا القتل بلا رحمة.

القصر له عدة شرفات كلها تطل على حدائق محيطة به من كل النواحي، هناك عقد مدبب يفصل هذه الشرفة عن ممر طويل تتراص عليه الغرف، هناك.. في أحد أركان الشرفة.. جلسة مرتفعة عن الأرض عليها وسائد محشوة بريش نعام، ومكسوة بحرير أحمر اللون، وعلى جهة الحائط وسائد حمراء عليها نقوشات بارزة، بينهما طاولة عليها طبق فاكهة كبير، وفي وسط الشرفة نافورة صغيرة تتراقص بها المياه، تطفوا على سطحها ورورد حمراء، والمياه تعطر المكان برائحة الورد، بدأت عودة الدواب والفلاحين من الحقول، يظهرون من هذه المسافة الكبيرة كالنمل يتحرك بين ثنايا السجاد الصغير المفروش على الأرض، الصخب بدأ يقل في المكان، والعصافير كفت عن الزقزقة بعد يوم طويل شاق، الليل دائمًا مكان آمن للأسرار ولهذه الأمور التي لا تصلح في صخب الصباح، نظر عمر بك حسين إلى فؤاد بك ودعاه للذهاب إلى الركن الغربي من الشرفة والجلوس والاستمتاع إلى صوت خرير المياه ورائحة الورد حتى يأتي وقت العشاء، ولكي يسأله بعض الأسئلة التي

ستحدد إلى حد كبير قراره في هذا الموضوع، وهل سيساعدهم أم سيعتذر له عن هذه المهمة الخطرة إلى حد كبير؟

اعتدل عمر بك في جلسته على هذه الوسائد الحمراء بعد أن سحب تفاحة من طبق الفاكهة وقضم منها قضمة واحدة كبيرة، ونظر إلى فؤاد بك المرادي قائلًا:

• ما أدراك بالحاكميين يا فؤاد بك؟ وقصتهم وتاريخهم الطويل هذا.. المليء بالقتل دون أن يدري بهم أحد كما أخبرتني؟ أنا لم أسمع بهم ولا بقصتهم هذه إلا منك. لماذا يريدون العودة؟ أهم أهل سلطة باحثين عن مجد ما؟؟

• الأمر بسيط. هناك أحد أقاربي، علي بك الألفي، تعرفه أنت.. جاءني منذ فترة وأخبرني عن صلته بهم، وأن والده ورث من جده هذا الإرث الخطير، هم عهدوا فيما بينهم السر كل هذه السنون، وهاجر أغلبهم إلى بلاد الشام هربًا من مصر، وهربًا من توعد بيبرس وأقتباي ورجالهم لهم بعد أن ساعدوهم في قتل توران شاه.. وخيروهم بين إفشاء سرهم وبين مغادرتهم البلاد.. غادر منهم من غادر، وبقي بعضهم في صفوف المماليك والجنود ينقلون لهم أخبار بلادهم وأخبار القاهرة، وأخذهم الحنين بعد هذه السنوات، وبعد أن مات الآباء والأجداد، ويريدون العودة، ولكن دون أن يلفتوا الأنظار، هم غير طامعين في سلطان أو مريدي سلطة. تاريخهم أكبر دليل على ذلك، هم فقط

ينفذون أشبه ما يكون بالتنقية الطبيعية الغريزية، بأن ينهوا حياة من لا حياء فيهم ومن أهل ظلم وعدوان، هم عاهدوا الله وأنفسهم على ذلك، ولكنهم بعد أن هاجروا إلى الشام وبقي منهم البعض هنا توقفوا عن أفعالهم، وفضلوا أن يبطنوا أفكارهم في نفوسهم بغية البقاء وعدم إفشاء سرهم من قبل المماليك.

- وما فائدتهم لنا إن ساعدناهم على العودة والبقاء وأجزلنا عليهم الخير؟؟

- هم سيأتون كما أخبرتك كمزارعين شوام، وبعد أن ينضموا بفترة للمزارعين تنقلهم للحماية، وبعد فترة ترشحهم للقاهرة بعلاقاتك الكبيرة، وهم أشداء ونبهاء وهذه حياتهم طوال سنين، هناك منهم من يعمل بالطب وهناك البناؤن والعلماء، وكلهم أصحاب مكر ودهاء، سيفيدونا في المستقبل إن حدث شيء ما، سنجد منهم المساعدة والعون، هذا وعد مني وعهد.

- من يتولى أمور زعامتهم؟

- زكي بك المصري.. ولكنه لن يأتي معهم، ولكن سيأتي ولده رشيد المصري، فزكي رجل كبير غير قادر على الحراك.

- اتفقنا. في بداية الشهر القادم وقبل البدر يكونوا في طريقهم إلينا ليدخلوا في ليلة ليس فيها قمر، حتى لا يعترضهم أحد، وليسلكوا طريق بعيد عن القاهرة، ليأتوا من الجنوب، ابعث لهم ليتحركوا بعد غد.

- أمرك يا عمر بك، علم وينفذ.

نظر عمر بك إلى أحد القناديل في الممر قائلًا في نفسه: إلى متى يبقى الإنسان في هربه ودفاعه عن نفسه من الموت والقتال؟ ثم ضحك وقال بصوت مرتفع نسبيًا: "حتى يموت.. الراحة في النهاية"

(2)

غرفة واسعة لها نافذة كبيرة مطلة على النيل.. أضواء المراكب تضيء سطح الماء بألوان مبهجة. وانعكاس أحد لوحات الدعايا لشركة مشروبات غازية مشهورة يعكس نوره الأحمر داخل الغرفة.. مما يجعلها وكأنها جحيم صغير يقف على ارتفاع شاهق في سماء القاهرة، وأي جحيم ذلك الذي يوجد في سرير كبير في وسط الغرفة يجاوره طاولتان قصيرتان على الجانبين تطل في الخلفية لوحة مقلدة عن لوحة "غورنيكيا" لبيكاسوا، تلك اللوحة التي تعكس مأساة البقاء، وكيف يسمح الجنس البشري لنفسه بالقضاء على بشر آخرون من أجل فرض السيطرة، إنها تلك اللوحة التي تعكس مأساة قصف الألمان لمقاطعة غورنيكيا الإسبانية إبان الحرب الأهلية هناك، في أحد المرات سأل جنود بيكاسوا هل هذه المأساة من صنعك؟ فقال لهم:"لا، بل من صنعكم". الأرض مفروشة "بالموكيت" ذو اللون البني الفاتح، توجد طاولة أمام السرير وضع عليها تليفزيون حديث، خلفها إلى اليسار مرآة، والي جانب السرير إلى اليسار أيضًا دولاب كبير في داخل الحائط، النافذة مفتوحة قليلًا مما يمرر نسمات هواء تحدث صفيرًا لقوتها صوت يترك في الأذن أثر ال"فووووووووووووووه ووو" وموسيقى هادئة تخرج من مكان ما، ولكنها قصيرة، وتعاد مرارًا للمرة الخامسة على الأقل، كان صوت المحمول في جيب نادر المستلقي علي السرير، عيناه بدأت في الحركة ولكنها غير قادرة على الحراك، تريد ماكينة رفع

كبيرة لتساعدها على هذه المهمة الصعبة. فهي شبه مغتصبة مرارًا وتكرارًا، غير قادرة على الاستجابة لأوامر العقل، أم أن العقل لا يرسل لها أي إشارات في الأساس؟ فهو أيضًا متوقف عن العمل بشكل كامل، ولكن صوت الهاتف وتكرار رناته يجعلك مضطر على الحراك. فتكرار صوت هذه النغمات بشكل رتيب يدفعك لحالة بشعة تجعلك على أهبة الاستعداد لقتل أحدهم بشكل متكرر، وذلك اللون الأحمر يومض بصورة مستفزة هو الآخر، لم كل ما يحيط بهذه الغرفة يدعو للاضطراب؟ حتى بيكاسو نفسه كان مضطربًا.

انتصر نادر أخيرًا على أعصاب وجهه واستطاع أن يفتح عينه اليمنى تمامًا واليسرى إلى المنتصف.. بقي أن يحرك أحد يديه إلى جيب السروال ويمسك الهاتف الذي يصدر منه ذلك الصوت فيخرسه، أو يرد عليه، أيهما أقرب وأهون على عضلات لسانه، فهو لا يعلم هل هو قادر على الكلام أم لا؟ فهو ما زال غير مدرك لكيفية فتح فمه في الأساس، تقلب نادر في السرير يمينًا ويسارًا إلى أن سقط الهاتف بجانبه، فتلقاه بيده اليمنى التي بدأ كفها بالحركة، فضغط على الشاشة التي لم يتبين الاسم عليها ولكن عله شخص يستطيع إنقاذه، ولكن إنقاذه من من؟؟ أين هو أصلًا ليستدعي المساعدة؟ هو لا يتذكر أي شيء! يتحرك نادر متقلبًا على السرير مقتربًا برأسه من الهاتف حتى وضع أذنه عليه، حاول فتح فمه لكنه لم يقدر، فقط شفتاه ناحية اليمين تتحركان قليلًا، فقلب نفسه ناحية اليمين وواضعًا أذنه غير

قادر على قول شيء، ولا يسمع شيء من الطرف الآخر، حتى جاءه صوت ما..

- ازيك يا نادر؟ نورتنا.. كالسيوس افتتاحه كان هيبقا وحش من غيرك.

تبين نادر صوت وكأنه كان منبهًا له، واستفز عقله الذي أرسل إشارات ما سريعة فتحت عينه اليسرى على آخرها في صدمة ما، وكأنه تذكر كل شيء، وبدأ قائلًا بينه وبين نفسه:"أيوه احنا جينا فورسيزون لافتتاح البار، بعد ما الراجل ده كلمني وبعدين جيت، وجالي كرت غرفة، وطلعت من البار، ودي آخر حاجة فاكرها.. إيه اللي حصل؟ آه لو أقدر أتكلم وأشتم الشخص ده! هو عايز مني إيه؟ وأنا بسمع كلامه ليه؟ كفاية بسببه قتلت شخص، لكنه يستحق. كفاية اللي قالوا ليا قبل ما يموت، ده كفاية أني أموته ميت مرة.. لكن برضه أنا إيه اللي يخليني أضحي بكل شيء؟ الانتقام..؟ وليه أنتقم..؟ اللي حصل حصل خلاص وقتلوا أبويا، وأنا لو فضلت كده هموت أكيد.. أنا عايز أقوله يسيبني في حالي".

- أنا عارف إنك لسه تحت تأثير المخدر، وإن سيطرتك على نفسك صعبة شويتين.. ويمكن دي فرصه إني أقولك متآمنش لبنت حلوة تديك كاس ويسكي بإيديها الحلوين. دائمًا اختار أنت من بين الكاسات

حظك، ومتخليش حد يلعب معاك لعبة الإلهاء ويسيطر على غريزتك.. حتى لو كان صدر بنت روسية.

سمع نادر ما يقوله ذلك الرجل جيدًا، وتذكر تلك الفتاة التي كانت تقدم الضيافة عندما دخلوا إلى كالسيوس.. تلك الروسية الرائعة، ذات الصدر الناهد الذي يكاد يفجر قميصها الأبيض الشفاف، الذي يظهر بشكل واضح حمالة صدرها السوداء.

"قد إيه أنا غبي.. إزاي مخدتش بالي إني الوحيد اللي مدت ليا إديها بكاس ويسكي من بين الناس كلها.. الله يخرب بيت هرمونات التوستستيرون اللي هوتديني في داهية" هكذا قال نادر لنفسه.

- الآن.. اسمعني جيدًا.. باقي عشرين دقيقة والشرطة هتبقا عندك في الأوضة، في جثة عندك في حمام الأوضة.. متسألش نفسك جثة مين كتير.. فوزي عبد المجيد.. لما تقتل حد متسبهوش في حمام بار تاني، وخلي في دافع حقيقي وجريمة كاملة عشان محدش يفكر فيك.. فكر دائمًا في جمال الانتحار.. اعتمد على غريزة البحث عن الراحة الأبدية في القضاء على نفسك بنفسك.. فوزي عبد المجيد في الحمام دلوقتي في البانيو مقطع شرايين إيده اليمين وغرقان في دمه.. قدامك عشرين دقيقة عشان تهرب، ومن ساعة هروبك خلاص أنت معانا في اللعبة، أنا هساعدك تقتل اللي قتلوا أبوك، وأنت هتنفذ اللي هطلبه منك، حاجات بسيطة قوي، تنتقملي وأنتقملك، أنا طريقك الوحيد عشان

توصل لهدفك، وحتى لو مش عايز توصل لشيء.. الموضوع مبقاش على مزاجك، أنا ساعدتك دلوقتي مرتين.. مرة لما عرفتك إن أبوك اتقتل، ومرة لما أنقذتك من فضيحة قتل رئيس تحرير جريدة للانتقام.. مرة ثانية اهتم بالتفاصيل، لما خرجت من الحمام ولاقيت حد بيضحك ليك مكانش لازم تبصله للدرجة اللي ملامحك تطبع في عقله.. الموضوع مفهوش غلطات.. أنت دلوقتي حياتك بقيت في قلب اللعبة.. يعني أنت كمان بتحافظ على نفسك.. متبقي خمس دقائق وتأثير المخدر ينتهي.. اهرب، هتلاقي كارت لأوضة ثانية تحت المخدة.. اهرب للأوضة، واعدل هدومك وانزل احتفل، واستنى مني ظرف، هتلاقيه قريب جايلك، فيه تفاصيل هتساعدك توصل للي قتلوا أبوك، واحد ورا الثاني، وعشان أبقى جدع معاك هخلص وعدي ليك وبعدين هبقا أقولك على طلبي مرة واحدة.

كان نادر يستعيد الإحساس ببطئ في أطرافه، ويستعيد بسرعة وعيه كاملًا، ولكنه لم يستعد بعد قدرته على الكلام، كان في هذه اللحظات تصل له آخر كلمات من ذلك الرجل غير معروف الهوية قائلًا:

• أنت عارف يعني إيه كالسيوس؟ متتعبش نفسك في التفكير، معناها "الانتقام" بالآرمية القديمة، والانتقام في عقيدة الآرميين بيوصل الإنسان للجحيم.. لكن عندي أنا الانتقام هيهربك من الجحيم أكيد. وأغلق الهاتف.

هنا حرك نادر قدمية فبدأتا في الحركة، ونزل من السرير ببطئ، واستعاد سيطرته على أجهزته بنسبة 70%، نظر إلى الوسادة، رفعها فوجد كارت لغرفة أخرى.. "3 دي إس"، تحرك للحمام ليتأكد، فتح الباب بحذر ليجد دماء تتجه في طريقها للمصرف، ويد فوزي خارج البانيو.. فوزي شبه عارٍ، ويرتدي ملابس داخلية حمراء ساتان غريبة.. هنا تأكد نادر أن الأمر ليس مجرد لعبة، ولكنه دخل في الجد.. وأن المتصل لا يمزح.. فتح باب الغرفة ونظر يمينًا ويسارًا، ونظر إلى رقم الغرفة ونظر إلى رقم الغرفة الجديدة، فخرج متجهًا يسارًا إلى غرفة في آخر الممر.. كان يجري بين الغرفتين في حركة عشوائية غير محددة، وصعوبة في التنفس رغم أن المسافة ليست طويلة، كان فقط دافعه الهروب، ولا شيء يدور في عقله سوى.. اللاشيء، فعقله لم يستوعب بعد ما حدث في هذه المكالمة وفي هذا اليوم كله.

(4)

في أحد شوارع منطقة وسط البلد توقفت سيارة تحت مبنى كبير ذو شرفات ونقوشات أوروبية الطراز، المبنى يطل على ميدان صغير يوجد تحته محلات بواجهات زجاجية كبيرة، تحيط بهذه الواجهات أقواس نصف دائرية.

تم تخطيط منطقة وسط البلد في عهد الخديوي إسماعيل لتكون واجهة مشرفة لمصر، استدعى في ذلك الوقت أحد أعظم المعماريين في العالم في هذا الوقت "لانفا". فخطط وسط البلد بشكل أشعة كأشعة قرص الشمس.. بحيث تكون أشعة الشمس هي شوارع وسط البلد في دلالة على أهمية هذه المنطقة في قلب القاهرة، في ذلك الوقت أصدر إسماعيل باشا مرسومًا بتقدير تكلفة البناء في منطقة الوسط البلد للملاك كي لا يفكر في السكن فيها إلا نوعية معينة من الناس، وبذلك يحافظ عليها بشكل جميل ورائع كما كان يتصورها في عقله في ذلك الوقت، لكنه لم يكن يتخيل بالتأكيد ما ستصل إليه الأمور الآن.

الساعة التاسعة مساء.. الشارع مكتظ بالمارة بشكل كبير، السيارات تصطف على جانبي الشارع، هناك بعض الأنوار المنطفئة وأخرى مقادة بشكل عشوائي متروك للقدر ولرئاسة الحي، حيث تفتح الأنوار أمام المباني التي يقطنها شخص مهم وتطفئ في المكان الآخر إلى ما شاء الله.

تتجه السيدة التي هبطت من السيارة إلى زقاق داخلي بين المبنيين القائمين، واتجهت ناحية اليسار حيث مدخل أحد المباني، دخلت المبنى حيث المدخل مكسوٌ بألواح رخامية بيضاء كبيرة وسلالم رخامية من نفس النوع، في أعلى سلالم المدخل يوجد مصعد خشبي بباب وقوائم حديدية محيطة به، يلتف حوله سلم دائري يتجه للأعلى، صعدت السيدة السلالم متجهةً إلى المصعد، دخلت إلى المصعد.. ضغطت الزر الموصل إلى الدور الثاني.

عندما وصلت إلى الدور الثاني فتحت الباب ونظرت إلى اليمين.. اتجهت إلى أحد الأبواب الموجود بجانبه لافتة مكتوب عليها "عزت المحمدي" محامي بالاستئناف العالي ومجلس الدولة، دخلت من الباب متجهة إلى غرفة المكتب الخاصة بعزت متخطيةً كل الجالسين، ومتخطيةً مدير مكتبه الذي نهض مسرعًا خلفها يسألها:

- رايحة فين يا ست هانم..؟ يا فندم..!" كان رجلًا كبيرًا في السن، قصير القامة، هزيل الجسد، ولكنها لم تلتفت إليه، وفتحت الباب لتجد عزت المحمدي جالس خلف مكتبه وأحد زبائنه أمامه، عندما التفت إلى الباب ووجدها الهانم نهض سريعًا إليها من خلف مكتبه، واتجه إليها ولوح لزكي مدير مكتبه وقال له:

- روح جيب قهوة للهانم بسرعة.. قهوتها على الريحة.. بسرعة" ونظر إلى الجالس أمام مكتبه فاعتذر له قائلًا:

- ممكن تستناني بره شوية؟ فقام الرجل متجهًا إلى الباب وعلى وجهه علامات امتعاض من الموقف الذي ينمّ عن قلة تقدير بشكل عام، ولكن الموقف الذي وقع فيه عزت المحمدي لا يحسده عليه أحد في هذه الأثناء.

اتجهت الهانم إلى الأريكة الواقعة إلى يمين الباب وجلست عليها، وأخرجت من شنطة يدها علبة سجائرها، وأخرجت إحدى السجائر ووضعتها بين شفتيها، انطلق عزت مسرعًا ليشعل لها السيجارة، فنظرت لعزت وأخرجت شيء من شنطتها ورمته على الطاولة.. وقالت:

- عزت يا محمدي.. أنت امته هتتعلم تشوف شغلك صح؟ إيه ده بالظبط ؟؟ أنا معرفش أعتمد عليك في حاجة وتطلع قدها؟

- أنا.. أنا.. أنا.

- أنت هتقعد تنأنلي.. خبر في جرنال كبير بعنوان " كم دفعت عائلة الشوربجي لإخفاء الخبر؟". وفي التفاصيل جايبين إننا دفعنا فلوس علشان محدش يعرف الخبر، وإننا بنستخدم نفوذنا ومين "عطية السواح " ده كمان؟

- والله يا هانم ما أعرف!

- يعني إيه متعرفش؟ أنت مستني آجي أسألك وتقولي معرفش مدورتش ليه؟

- ما لو حضرتك تهدي بس أنا هفهم حضرتك.

- قول وبسرعة عشان أنا على آخري.

- أنا سألت على مين "عطيه السواح "، قالولي محدش يعرف مين اللي حط المقال ده في وسط الجرنال زي ما تقولي يا فندم اسم مستعار.

- طيب وفين الكلب اللي اسمه "فوزي عبد المجيد"؟

- ما هو أنا سألت رجالتنا من فوق لتحت كلهم ردوا عليا نفس الرد..

- يعني إيه محدش عارف مين اللي كاتب الكلام الزبالة ده يا عزت؟ في حاجة اسمها إن جريدة الدولة محدش عارف مين اللي بيكتب فيها مقال واخد نصف صفحة؟

- أكيد الكلام ده ميدخلش على عقل عيل صغير يا هانم، بس ممكن أقولك إن تقريبًا في حد من فوق، يعني زي ما تقولي كده مش عايزك

تتحركي فياللي أنت عايزة تعمليه يا هانم، عايزك تقفلي على موضوع الباشا.

- يعني إيه يا عزت؟

- يعني يا دارما دخلك شر.

- مش فهماك يا عزت.

هنا تحرك عزت إلى الخلف من الكرسي الجالس عليه، وأرجع نظارته إلى الخلف وصمت يفكر قليلًا، ثم اتجه إلى الأمام قليلًا وكأنه سيخبرها سرًا قائلًا:

- بصي يا هانم أنا مكنتش عايز أقولك كده من زمان.. بس أنا شايف إن حضرتك مقدامكيش غير حل من الاتنين.. يا تقعدي في البلد وتستمتعي بثروة الباشا وتعيشي وتبعدي عن فكرة الانتقام ده خالص، علشان يا هانم الناس اللي فوق زعلانين من كلامك وإنهم السبب إن الباشا مات، وكمان كذا حد من البهوات كانوا طمعانين تبيعي ليهم شركات من شركات الباشا وأنت فاجئتيهم إنك بعتيها لمستثمرين خلايجة.

- عزت منتا عارف إنهم كانوا هيبيخسوا بيها الأرض.

- عارف يا مدام بس ده حال بلدنا.

- والحل الثاني؟؟

- والله يا هانم ميفرقش كتير عن الأولاني.. سافري للبيه الصغير بريطانيا، أنت قولتيلي إنك دخلتيه مدرسة حلوة هناك. وأنا هنا يا هانم بديرليكي واهتم بباقي الثروة اللي متباعتش لسه، متقلقيش.. بس ده الحل المناسب من وجهة نظري ومن الأخبار اللي بتوصلني.

هنا وقفت الهانم وبدى عليها التوتر والقلق ونظرت لعزت نظرة بعدم اكتراث واتجهت إلى الباب في خطوات هادئة بشكل لا يتناسب مع توترها، وعند الباب توقفت ونظرت لعزت الذي كان وصل إلى خلفها وقالت له:

- قولهم مرات كمال الشوربجي مبتخافش يا عزت.. وأنت حدد عايز تبقا معايا أو انهي تعاملنا تمامًا مع بعض يا عزت. ونقلت وجهها للأمام وسمعت عزت الذي كان يهرول ورائها في المكتب قائلًا:

- أنا معاكي يا هانم طبعًا معاكي متقلقيش.

(5)

مر الوقت بطيء جدًا في المصعد.. أثناء هبوطه من الأدوار العلوية إلى الدور الأرضي.. لم يكن نادر يدري ولا يفهم ما حدث بالضبط، فقط يتذكر ذلك النادل الذي جاءه بمفتاح أحد غرف الفندق.. وكانت هذه إشارة له بأن ذلك الشخص يريد مقابلته، وأنه انطلق خارجًا من البار، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ هو لا يتذكر إلا أشياء بخصوص دكتور كولين وفراعنة وأشياء من هذا القبيل، كم تأخر من الوقت لا يتذكر بالظبط.. في تلك الأثناء التفت إلى ساعته.. لم يمر الكثير فقط نصف ساعة ولكن كيف هيء له أنها ساعات.. بل أيام.. إنه بالتأكيد المخدر الموجود في الويسكي.. هكذا قال نادر لنفسه قبل أن يفكر في كيفية تبرير غيابه لشيرين وأصدقائه.

وصل المصعد للدور الأرضي.. البهو مزدحم جدًا بسبب هذا الافتتاح الكبير للبار وتواجد فنانين ورجال مهمين في الدولة.. تحرك نادر إلى جهة البار حيث يقع إلى اليسار من المصعد.. في أثناء توجهه إلى البار لاحظ رجال شرطة متوجهين إلى المصعد.. بالتأكيد قدموا للبلاغ المقدم بوفاة فوزي عبد المجيد.. هذا ما دار في ذهن نادر الذي أسرع الخطى في طريقه إلى البار، وفي تلك الأثناء زادت ضربات قلبه وبدأت نقاط العرق تتساقط على جبينه، ولكنه اصطنع الهدوء قبل دخوله للبار، وعدل من هندامه أمام المرآة الموجودة في الممر، وسحب نفس عميق وأخرجه عدت مرات قبل.. أن يدخل متجهًا إلى الطاولة التي يجلس

عليها أصدقاءه... عندما وصل.. نظرت له شيرين وأشاحت بوجهها إلى الجهة الأخرى.. فنظرت له شاهيناز وأشارت له برأسها أن هناك مشكلة.. فجلس نادر بجانب شيرين التي لم تعره انتباهًا وقطبت جبينها وكأنها تركز في ذلك العرض الروسي الراقص الذي يعرض على أرضية الرقص الهرمية، اقترب نادر منها قائلًا:

- مالك؟
- مفيش يا نادر.
- لأ فيه..

التفت له شيرين قائلةً:

- ممكن تفهمني كنت فين ده كله؟ أو ممكن تفهمني بشكل أوضح مين العميل اللي مهتم بيك قوي كده لدرجة إنه يحجزلك أوضة ويديلك الحرية في دعوة أي عدد في حفلة كبيرة زي دي..؟

- عميل يا شيرين.. بيننا شغل، وقريب أسهم كان شاريها عن طريقي كسبت كثير فحب يكافئني ممكن.. أو أي شيء.. معرفش أكيد مش هسأل حد أنت بتعزمني ليه؟!

• نادر أنت بتكذب.. باين قوي عليك.. مين الست اللي كنت معاها؟ عينيك مزغللة وتايه من ساعت ما رجعت.. إيه مبتشبعش؟

• أنتِ مش فاهمة حاجة، الموضوع ملوش علاقة باللي في دماغك، بس الويسكي اللي شربته لما دخلنا جايبلي دوخة غريبة!!

• نادر كلنا شربنا ويسكي لما دخلنا.. ده ويسكي عالي قوي يا نادر بيه، وأنت أدرى طبعًا.

• شيرين حبيبتي صدقيني. أنا والله ما في حاجة من اللي في دماغك ده خالص، وأنا روحت أرجع الكارت واتأخرت عشان محدش عايز ياخده مني، العميل ده مديهم أوامر إن محدش يستلم مني الكارت.. بس.

• اسمه إيه العميل ده يا نادر؟

• أسمه ؟؟!!

• آه اسمه إيه؟

• اسمه جوزيف السنيورة.

• وده منين إن شاء الله؟

- من لبنان.. لبنان يا شيرين.

- ماشي يا نادر هعديهالك براحتي المرة ده.

هنا قطعت شاهيناز النقاش الحاد بينهم مخاطبة نادر:

- ما تيجي ترقصني يا نادر؟ فنظرت لها شيرين وضحكت لأسلوبها في طلب الرقص بطريقة بلدي، فنهض نادر واقترب منها وانحنى إليها قائلًا:

- اتفضلي يا شاهيناز هانم لما أشوف آخرتها معاكِ أنتِ وصاحبتك.

الفصل الثامن

(1)

تصعد سلالم المبنى مرتدية جيبتها القصيرة وقميص رصاصي رائع يظهر بعض مفاتنها ويلامس جسدها في روعة. تصل إلى باب مكتبها وتدلف من الباب إلى الداخل. نظرت إلى السكرتيرة مها، وقالت:

- ما تشوفوا حد يصلح الزفت ده! مش كل يوم هطلع السلم مشي يا مها.. انتوا بتشتغلوا إيه بجد؟؟ لو مش عارفين تصلحوا أسانسير! فهزت مها رأسها قائلة:

- حاضر يا مدام شيرين. فحدجتها شيرين بنظرة حادة، وكادت تقتلها على كلمة "مدام" التي خرجت من فمها الآن، فشيرين تكره هذا اللقب الذي بقي لها من زواج مبكر بأحد أقربائها انتهى بطلاق سريع.. لم يستمر الزواج سوى ثلاث شهور فقط.. كم تكره النساء أصلًا فكرة مناداتهم بكلمة "مدام " في مجتمع شرقي كمجتمعنا، فهي كلمة تظهر حالتك الجنسية وليست للاحترام المتبادل بين الأفراد، ما أنقذ مها في ذلك الصباح ذلك الخبر المتصدر الصفحة الأولى على الجريدة الموضوعة على مكتب الاستقبال "انتحار رئيس تحرير جريدة كبيرة بعد ليلة جنسية فاشلة". وقعت من شيرين حقيبه يدها وجذبت الجريدة قائلة لمها:

- إيه ده؟ فهزت مها كتفيها بأنها لا تعرف، قالت شيرين:

- آسفة، أنا نسيت إنك عادة متعرفيش حاجة. وبدأت في قراءة الخبر.

"بعد ليلة حمراء فاشلة في أحد الفنادق الشهيرة "ف.س" قام رئيس تحرير جريدة كبيرة "ف.ع" وأحد رجال السياسة البارزين بالانتحار بعد ليله حمراء فاشلة، وذلك مما ظهر من معاينة رئيس مباحث الجيزة، الذي اتجه لمعاينة موقع الجريمة، فتبين وجود أقراص فياجرا وحمالة صدر أنثوية ملقاة على الأرض، غير معروف هوية صاحبتها، والتي جاري البحث عنها لمعرفة تفاصيل وقوع الجريمة التي تظهر في المعاينة المبدأية أنها انتحار لفشل في أداء العلاقة الجنسية.. وقد تمت الوفاة بعد قيام المتوفي بقطع شرايين يديه في الحمام، واستمر النزيف حتى الوفاة.." أغلقت شيرين الجريدة وانحنت لسحب حقيبة يدها في سرعة وتشنج بديا عليها، اتجهت إلى داخل مكتبها، وفي الطريق أخرجت هاتفها المحمول واستدعت رقم نادر واتصلت به، كانت الساعه تشير إلى التاسعة.. "أكيد نادر صاحي" هكذا قالت شيرين بعد سماعها جرس الهاتف يغلق في أول مرة..عاودت الاتصال مرة ثانية.. وقبل أن ينتهي الجرس.. ظهر صوت نادر من الطرف الآخر.

- نادر قدامك جرنال؟
- جرنال إيه على الصبح ده؟ مفيش صباح الخير يا حبيبي؟
- نادر عندك جرنال ولا لأ؟

- آه أكيد الـ "officeboy" جاب الجرايد الصبح هلاقيها على الترابيزة.. ثانية..

- طيب بسرعة اقرأ الجرايد وشوف المصيبة.

- طيب ثانية يا نكدية.. آه.. أهوه.. خلاص وصلت للجرنال.. ثانية بقا.. اكتشاف منجم ذهب في كوم امبو. هو ده الخبر؟ ولا قصدك خبر غرق السفينة الكورية؟

- نادر أنت بتهزر؟ فوزي عبد المجيد مات.. انتحر.

وقع الخبر على أذني نادر بدون أدنى إحساس أو تأثر يذكر، فهو خبر ينتظر منذ أيام صدوره في الجرائد.. فبالنسبة له الأمر متأخر.. قال لشيرين:

- فوزي عبد المجيد مين؟

- نادر هتهبلني على الصبح، فوق كده وافهمني.. فوزي عبد المجيد اللي عرفتك عليه، لقوه منتحر امبارح. وتخيل فين؟ في الفندق اللي كنا فيه!!

- إيه ده بجد؟ الله يرحمه.. وإيه سبب الانتحار بقا؟

• معرفش بيقولوا تقريبًا كان جايب واحدة ومعرفش!

هنا أطلق نادر ضحكة عالية وقال لشيرين:

- يعني الراجل مات فاشل في الآخر في تأديه عمله كراجل.. وبعدين عادي 30% من أسباب الانتحار في العالم جنسية، يعني الراجل مات مميز.. بس أنتِ ليه زعلانة قوي كده ومدية الموضوع أكبر من همه؟ أفتكر إنك كنتي مبتطيقهوش.

• نادر مهما كان أنا أعرفه من وأنا صغيرة، ويعتبر صاحب أبويا، سيبك من ده كله لسه شيفاه قريب في كالتشيوا معاك.. متخيل إنك تقابل حد وبعديها تسمع خبر أنه مات!!

في تلك اللحظة جاء لنادر هاتف آخر على الخط الثاني.. نظر نادر إليه "بدون رقم" كان نادر ينتظر هذا التليفون بفارغ الصبر، اعتذر لشيرين وأخبرها أنه سيهاتفها مرة أخرى، ولكنه مشغول بهاتف ضروري على الخط الثاني، وأنهى المحادثة:

- يحبك يا بيبي. وضغط زر الرد على الخط الثاني..

• ألو إزيك؟ أكيد قرأت الأخبار، وصحيح.. أتمنى أن ليلة إمبارح تكون عجبتك.. الحفلة دي من أحسن الحفلات اللي اتعملت في مصر في الفترة اللي فاتت.

• كان نادر ينتظر مقاطعته، ولكن شيء ما منعه.. إنها الأفكار وشعوره الداخلي أن الموضوع لم يعد خيال أو مجرد مزاح من البعض.. الموضوع أصبح بحاجة لحذر، من يتعامل معه قادر على فعل الكثير وهو في حمايته الآن من تلك الجريمة.. كم هو عبقري، وفاة بأثر الانتحار.. الجاني لا أحد.. يجب أن أكمل طريق بدأته مع هذا الرجل أيًا كان ذلك الطريق، أم ماذا أفعل؟ كانت هذه أفكار تدور في عقل نادر.. قبل أن يأتي الصوت مخاطبًا إياه.

• هما أربعة قتلوا أبوك.. ممكن تقول كانوا صحابه وحواليه دائمًا أو تحت طوعه زي ما بيقولوا.. أبوك كان رجل أعمال كبير وسياسي محسوب على النظام بشكل كبير، لكن النظام دائمًا عامل زي الثعبان، بيغير جلده كل فترة من غير ما حد يحس، بينسلخ في هدوء ومن غير تأوّه، فجأة بييجي عليك نظام جديد من مكان ما، أنت عمرك ما بتكون واخد بالك منه، ده يا نادر الارتقاء الطبيعي.. أبوك بقا مقبلش الارتقاء ده.. اتطلب منه بهدوء البعد عن السياسة، الطلب جه من فوق.. ولكنه عافر، صارع طواحين الهواء، وكثير كانوا طمعانين في ثروته و"البيزنس بتاعه"، ولما قرار إن حد يتشال من الصورة يجي.. والشخص ده مينفذش ألف واحد بيساعدوا النظام في ده من غير ما يلوث إيديه بقطرة دم واحدة.. كل اللي بيحصل إنه بيتغاضى عن الأخطاء دي لفاعلها وبيعمل مش شايفها، وده اللي حصل لأبوك، اتقتل ومحدش اهتم بمعرفة سبب قتله، النظام ودا وشه الناحية الثانية.

• فوزي عبد المجيد مكنش ليه دعوة بقتل أبوك، بس كان ليه علاقة كبيرة بإن عيلتك تدخل ثلاجة الموتى أحياء، لما والدتك راحت واتفقت معاه على إنه يبطل يكتب عن انتحار والدك.. طمع أكثر.. وقعد يدور على اللي ممكن يشتري الخبر ده بفلوس أكثر.. "زوجة رجل مهم تسكت الصحافة الحرة عن خبر انتحار زوجها"، وعشان يفضل الدعم جايله من ناحيتين بدأ في نشر الخبر في جريدة كبيرة باسم مستعار، النظام عمل عبيط، الناس اللي فوق كانوا عايزين كده.. عائلة الشوربجي بقت مصدر إزعاج.. وهو لعب دور البريء لآخر لحظة، وساعات كثير لعب دور إنه مش هامه وبلغ محامي عيلتكوا إنه مبقاش عايز فلوس طالما الموضوع اتكشف واتعرف الاتفاق اللي بينهم.. فوزي عبد المجيد كان الطعنة الأخيرة في جسد عائلتكم المتهاوية.

• هنا قاطعه نادر قائلًا:

• بس أنت ليه بعت لي صورته أول واحد في الظرف المرة اللي فاتت وبعت بيانات عنه؟ بعد ما قفلت معاك لقيت في ظرف أصغر جوه، وفي معلومات عنه، وكتبت لي إن ده البداية، وإن الراجل ده ليه علاقه بقتل أبويا، ليه مسيبتوش؟؟ ليه نقتل شخص مقتلش؟؟

• لأن اللي بيخون يا نادر ألعن ميت مرة من اللي بيقتل، اللي بيخون بيقتل كل يوم.. عمومًا هو كان شخص وسخ ولازم يتقضي عليه.

• أنت مين ..؟؟ وليه بتساعدني في حاجة متخصكش؟

- ومين قالك متخصنيش؟ مصلحتنا واحدة.

- أنا عارف أنا عايز إيه، ومعرفش أنت عايز إيه..؟؟

- هتعرف في الوقت المحدد.

- وامته الوقت المحدد..؟؟

- لما تخلص من تارسابه أبوك ليك.

- وافرض منفذتش اللي أنت عايزه؟

- خلاص مسألة قرارك انتهت من ساعة ما قررت إنك تنتقم، ودلوقتي افتح الدرج اللي جمبك هتلاقي اسم تاني.. وتفاصيل.. ركز المرة دي.. الموضوع ميخوفش، أنا دائمًا حواليك.

- أنت مين..؟

- هتعرف في الوقت اللي يسمح ليك إنك تعرف.. وسلملي على حبيبتك.. أفتكر إنها كانت مبسوطة امبارح في كالسيوس.. اعتذر ليها إننا خدناك منها امبارح.. باي.

- أغلق المتصل الهاتف. شحبت ملامح نادر قليلًا وبدا أنه يفكر في شيء ما قبل أن ينظر للدرج، مد يده لفتحه قبل أن تأتي له خاطرة

ما.. رفع نادر هاتفه.. وهو يفكر في اسم خطر بباله فجأة.. ظل يحرك في قائمة الأصدقاء حتى وقعت عينه على الاسم.. محمد زكي شاكر قسم شرطة الجيزة، فضغط نادر عليه للاتصال.. رن الجرس قليلًا قبل أن يطل صوت شخص مستعجل وفي حالة عصبية ظاهرة.

- أيوه مين؟؟

- معاك نادر الشوربجي، كنت قابلتك مرة في فندق "لاجونا" في الساحل السنة اللي فاتت.. أنا نادر بتاع البورصة.

- مش فاكر بصراحة يا نادر باشا بس اؤمر.

- لازم أفكرك لأن طلبي كبير حبه.. فاكر فوج اللبنانيات اللي كانوا جايين افتتاح "مراسي"؟؟

- "ناتالي" الشقرا..؟

- أيوه بالظبط.

- إزيك يا ندووره؟ والله وحشتني، آسف الموبيل مغيره والدنيا مقلوبة عندنا، واحد مات في فندق انهارده وقالبين دماغنا عليه، مش كفاية إنه مات منتحر عشان بتاع موفقش.. المهم اؤمرني.. ورقبتي سدادة.

- أنا متصل بيك في حاجة قريبة من الفندق.. برضه.

- إيه يا باشا أنت شغال صحفي؟

- لأ في بار فتح هناك وعايز أعرف مالك البار ده لو ينفع، ولو اتصلت بالفندق محدش هيوصلني..

- دي بقا محتاجة سؤال حد من حبايبنا في السياحة، متقلقش الخبر هيبقا عندك على بكرة بالكثير، أخلص بس من الهبل اللي عندي وأنجزك، ولا أنت مستعجل؟

هنا تصنع نادر عدم أهمية الأمر وقال له:

- لأ مش مستعجل، بس اهتملي بالموضوع، وأشوفك قريب بقا.

- خلاص يا نادر باشا أنت تؤمر.. سلام.

- سلام.

أغلق نادر الهاتف وسرح قليلًا.. قبل أن ينقل عينه إلى الدرج ويسحبه ليجد ملف أصفر مختوم كالعادة. فقال بصوت مرتفع قليلًا:

"الناس دي بتوصلي إزاي؟؟"

(2)

جلس على مكتبه يطرق بقلمه بشكل متتالٍ، يعلو الصوت قليلًا ويخفت ثانية. سيجارته المطفأة في فمه.. يتأمل الغرفة واضعًا قدميه على طاولة صغيرة بجانب مكتبه في قسم شرطة الجيزة.

المكتب ذو أثاث بسيط، دواليب تملأ الغرفة، ومكتب بسيط في المنتصف، تستند عليه لوحة صغيرة مكتوب عليها نقيب فؤاد الهواري، يوجد إلى يسار الباب كرسي وأريكة بينهما طاولة قصيرة، يوجد عليها مطفئة سجائر مملوءة بأعقاب السجائر من ليلة أمس، حيث أنه لم يذهب إلى بيته منذ تلقوا اتصالًا من أحد العاملات في فندق الفور سيزون عن وجود جثة في أحد الغرف، وأنه "غرقان في دمه" كما قالت، فانتقل هو وقوة إلى الفندق ليجدوا جثة المدعو فوزي عبد المجيد ممددة في "بانيو الحمام" ودمائه شبه مصفاة في صرف الحمام "البلاعة"، لم تتبق إلا آثار بسيطة للدماء.

كان فؤاد الهواري، ذلك الشاب متوسط الطول، النحيف نسبيًا سوى من بعض العضلات التي تعطيه شكلًا جيدًا، ذو العينين السوداوين والشعر الأسود الغامق الكثيف، يعاني من بعض أعراض الاكتئاب مؤخرًا بسبب خلافات زوجية أدت لانفصاله عن زوجته، والتي أثرت بالسلب على عمله بالتأكيد، سمع طرق على باب الغرفة، نظر فؤاد

جهة الباب قائلًا "اتفضل" واعتدل في وضعية جلوسه، دخل محمد شاكر، أحد ضباط المباحث في القسم وأصدقاء فؤاد المقربين، قائلًا:

- إيه يا عم العسكري قالي إنك مانع حد يدخل عليك، مالك كده ومضلم الدنيا على نفسك؟ افتح الشباك كده وفرفش يا ببلاوي فرفش، وبعدين أنت سجارتك مطفية ليه؟؟ نظر له فؤاد وابتسم قائلًا:

- عايز إيه يا غلس؟؟ وبعدين بحاول أبطل سجاير.

- لأ عادي، بفكر أطلع مارينا خميس وجمعة.

- مارينا إيه؟ أنت بتهزر؟!

- يا عم والله منا اللي بهزر، أنت اللي مش معانا أصلًا، واحد ميت أول امبارح وحضرتك قافلي أوضتك ومانع حد يكلمك، والصحفيين حسسوني إني ولا تامر حسني، وبفكر أجيب مدير أعمال من كتر الاتصالات، إيه؟ أول مرة حد ينتحر يعني؟ قال بيقولك أصله صحفي كبير، أهلًا يا عم الصحفي، أهم الصحافة دول اللي خاربين البلد يا فؤاد.

- هو منتحرش.

- إيه؟ مين اللي منتحرش..؟؟

- هو اللي اسمه.. ثم قام واعتدل ناظرًا في الورق أمامه، فوزي عبد المجيد ده منتحرش

- منتحرش إزاي؟ يعني أنت نفسك اللي قفشت شريط "الفياجرا" من جيبه، و"البرا " بتاعت البت من جمب السرير.. والبت شكلها كانت جمل يا عم البرا مقاس "D38"، وأنت عارف إن دي قصة انتحار طبيعية جدًا بتحصل كل يومين، ربنا يسترها علينا وميوقعناش في الموقف ابن الكلب ده، أنت عامل إيه صحيح مع مراتك؟

- أنت عارف يا محمد أهي "البرا" ده اللي شككتني في الحوار أصلًا..

- أنت بتهزر صح؟

- لأ مبهزرش هيا مش "البرا" بس، هيا كذا حاجة من ضمنهم الموضوع ده، وعشان عارفك بتحب الأباحة قولت ابتدي ليك بيه.

- لأ فهمني بقا..؟؟

- بص يا سيدي هبتدي ليك بالأباحة بتاعتك..انت قولت نفس جملتك ده واحنا بنمسح موقع الجريمة، لما روحت الكنترول روم أشوف التسجيلات، خدت بالي إن اللي خرج من الأوضة دي آخر حد واحدة ست جسمها صغير، حبتها قليلة يعني، المقاس ده مستحيل يبقا بتاعها . قاطعه محمد ضاحكًا قائلًا:

- يا عم ايش دراك؟ العلم الحديث مخلاش حاجة، وبعدين ده أكل عيشها.. يعني أكيد مهتمه بنفسها.

- اتقل الموضوع ده مش الأساسي، بس خلاني أركز في كام حاجة ثانية.. لما سألت على حجز الأوضة باسم مين؟ قالوا لي إنها باسم شخص غير "فوزي عبد المجيد"، شخص تاني اسمه.. ثانية كده.. "جوزيف السنيوره" ده اسم لبناني، دورت على قوائم القدوم لمصر من لبنان مفيش أثر.

- طب ما ممكن جاي من بلد ثانية!

- سألت برضه وهيردوا عليا بعد يومين، لكن الموضوع بياخد وقت، بس أنا برضه ده مشغلش بالي قوي.. لأني لما سألتهم قالولي إن الحجز تم عن طريق التليفون والفلوس اتدفعت بالكريدت.

- طب والمفتاح هو استلمه امتى؟

- محدش فاكر لأن الدنيا كانت زحمة آخر يومين، لأن في باركان بيفتتح في الفندق، وهو فرع لمجموعة بارات كبيرة عالمية، وكان مدعو ناس كثير وزحمة ومحدش فاكر بالظبط هو استلم امتى المفتاح.

- صحيح فكرني أسألك على حاجة بخصوص البار ده، بس قولي الأول الأوضة اتحجزت امتى يا فؤاد؟؟

- الأوضة اتحجزت قبل الحادثة بيومين، ومحدش يعرف مين اللي خد المفتاح، وحاولنا ندور في فيديو الرسيبشن، طلع في عطل في الكاميرات بتاعت الرسيبشن.

- ممكن يبقا عطل مقصود..؟؟

- ليه لأ..؟ بس سيبك من ده كله.. في حاجة تانية.. الدم بتاع المتوفي والجثة فيها حاجة مش طبيعية، بس معرفش إيه بالظبط، وعشان كده طلبت تقرير الطب الشرعي، الدم ميلحقش يخلص يا محمد عقبال ما وصلنا الدم كان اتصفى وكأن مقصود إن دمه كله ينزل في بلاعة الحمام.

- تفتكر اتقتل؟

- مقدرش أحدد لسه، لما يوصلني تقرير الطب الشرعي هقدر أحدد بالظبط، بكس شكوكي أكيدة.. مع إني كلام في سرك عايز الموضوع يتقفل انتحار، أنا دماغي مش ناقصة الهبل ده كله.. التقرير اللي قدامي عنه إنه راجل زبالة أصلًا، وعلاقاته بالبنات الصغيرة معروفة للجميع، ده غير إنه وسخ في شغله وتاريخه زبالة.. يعني ربنا بيخلص من ناس في ناس.

- احنا نقفل القسم ونروح بقا يا فؤاد بالمنظر ده. وضحك ووقف متجهًا إلى الباب، ثم التفت قائلًا لفؤاد:

- ركز في شغلك ومتشغلش نفسك بمشاكلك مع مراتك، وملناش علاقه بالراجل ده سمعته زبالة ولا لأ. احنا نشوف شغلنا يا فؤاد، أنت طول عمرك أشطر ظابط في أي مكان خدمت فيه. متضيعش ده كله في كلام عبيط. نظر له فؤاد رافعًا رأسه قائلًا:

- ابقا كلم أختك يا محمد وقولها ترجع البيت، هيا وحشاني بجد. ضحك محمد وأردف قائلًا قبل رحيله:

- أنا غلطان إني جوزتكم لبعض.. توب علينا يارب من الشغلانة دي. وقبل أن تخطوا قدماه خارج الغرفة عاد أدراجه ونظر إلى فؤاد قائلًا:

- صحيح ابقا اعرفلي البار اللي اتفتح في الفور سيزون مين المالك بتاعه ضروري. - اشمعنى؟

- خدمة لواحد صاحبي يا عم. ثم أغلق الباب وخرج، وعم الصمت في الغرفة المظلمة مرة أخرى إلا من نور اشتعال السيجارة.

(3)

أشرف نبيل الجمل.. صاحب توكيل السيارات المشهور، وصاحب مجموعة من القرى السياحية داخل وخارج مصر، رئيس حزب سياسي، يعمل في تجارة السلاح بطريقة شبه رسمية، فهو يستورد الأسلحة بطريقة رسمية ولكنه يمرر الكثير معاها بطريقة غير شرعية، له علاقة قوية بالنظام، له أملاك كثيرة في كل مصر، ولكن أغلب تواجده في قصره على طريق مصر - إسكندرية الصحراوي، كثير الإطلالات على التلفزيون، وبالأخص لأنه يمتلك قناة فضائية كبيرة، كان هذا ملخص ما ورد في صفحات المظروف الأصفر الذي وجده نادر في الدرج، بالإضافة لصور لأشرف الجمل، أرجع نادر ظهره إلى الوراء وشهق قبل أن ينفخ هواءه في سماء الغرفة مصدومًا من الاسم الموجود في المظروف.

أشرف الجمل كان شريك كمال الشوربجي في شركة سياحة في الماضي قبل وفاته، ويعتبر أكثر المستفيدين من وفاة كمال في ذلك الوقت، حيث كانت فاتحة خير عليه، حيث أنه اشترى نصيب كمال في الشركة، أصبحت جمالكوا للسياحة بعد ذلك مجموعة أشرف الجمل السياحية، إحدى أكبر شركات السياحة في مصر، مرورًا بذلك التاريخ كان أشرف الجمل يتوسع في اتجاهات أخرى سياسيًا واقتصاديًا، بالأخص أنه تقرب من أولي الأمر كثيرًا، وارتبط بهم وبمصالحهم المالية، ويقال أنه على علاقة وثيقة بأحد أبناء الرئيس السابق.

جاءت في الظرف الملقى أمام نادر على الطاولة تفاصيل كثيرة عن حياة أشرف الجمل، وعلاقته بوالد نادر، وكيف أنه دبر مع آخرين وصول أحد القتلة من إحدى دول الاتحاد السوفيتي، وكانت المهمة سهلة جدًا. دخل إلى "الفيلا" في وقت لم يتواجد فيه أحد. كانت والدة نادر ونادر قد خرجا من المنزل، أخت نادر الصغيرة لم تكن سوى طفلة في عمر السنة ونصف نائمة في غرفتها، الخادمة كانت في المطبخ، والبستاني كان يسقي الأزهار في حديقة المنزل. دخل القاتل من الباب الرئيسي متجهًا إلى الدور الأول، ومنها إلي الغرفة الموجودة أمام السلم، حيث يجلس كمال الشوربجي عادة لينهي بعض الأوراق وللقراءة. وصل إلى الغرفة بهدوء، ودخل إليها دون أن يشعر كمال الشوربجي، حيث كان في تلك اللحظة -كعادته- يجلس للقراءة مطلًا بوجهه على الحديقة الخلفية للمنزل حتى يحل الليل، حيث كانت مضاءة بأنوار خافتة تشعره بالراحة النفسية، ويستمع إلى أم كلثوم وصوتها الخارج من الجرامافون القديم الموضوع بجانب مكتبه، دخل إلى الغرفة في هدوء تام، واقترب من كمال الشوربجي بخفة، غير أن كمال الشوربجي لاحظ انعكاس ما على زجاج النافذة فاستدار سريعًا، باغته القاتل بحقنة مملوءة "بالسارين" وضعها في رقبته، بدأت بالاختلاط بدمائه، وما هي إلا لحظات وكان قد فارق الحياة. ولكن الخطة الموضوعة كانت تستلزم أن يموت كمال الشوربجي منتحرًا لتصبح سمعة عائلة الشوربجي في التراب، ومن هنا يصبح من الأسهل اقتلاع ثروته بعد أن تبدأ الجرائد في الحديث عن انتحاره جراء أزمات مالية طاحنة، كان

مقدرًا لتلك الضربة أن تجعل من الطبيعي أن تعرض شركاته للبيع بأرخص الأسعار، وهذا ما وقفت والدة نادر أمامه بكل الطرق الممكنة، وبالأموال الطائلة، كي تمنع سريان هذه الأخبار عبر الصحافة، وهو ما جعلها تسرع في بيع الشركات لمستثمرين عرب كانت لكمال الشوربجي علاقة وطيدة بهم منذ أن سافر في السبعينات كمهندس إلى إحدى دول الخليج، وهو الطريق الذي أتى منه برأس المال لبدايته في القاهرة في بداية الثمانينات، كان لابد أن تكتمل الخطة.. وذلك ما جعل ذلك القاتل يسحب كمال الشوربجي إلى وسط الغرفة، ثم سدد مسدسه إلى رأس كمال، وأطلق رصاصة لتخترق رأسه وتنطلق الدماء في كل مكان، ثم وضع المسدس في يديه وخرج تاركًا الجثة تنزف دمائها ورحل.

بعد أن لف نادر سيجارته نظر مرة أخرى إلى الأوراق في الظرف فوجد كارت ومكتوب تحته عصام العجمي، ومكتوب في خلفية الكارت كلمة "هيساعدك"، نظر نادر إلى تلك التفاصيل ثم حك أحد حاجبيه بيديه وتأمل الاسم قليلًا وبدأ في ترديده بصوت مرتفع، كان نادر في حالة تشوش، كيف سيصل إلى ذلك الجمل؟ وكيف سيساعده ذلك الرجل في الوصول؟ من ذلك الرجل؟ ولماذا يكمل في ذلك الطريق دون أن يعلم آخره؟ ودون أن يعلم لماذا يساعده ذلك الرجل من الأساس؟ هو يقول أنه يريد شيء ما.. ما هذا الشيء الذي يكلفه مساعدة في قتل أناس انتقامًا لشخص آخر؟ كثير من الأفكار تدور في عقل نادر وهو

يستمع إلى صوت لمسه على شاشة الهاتف متصلًا بعصام العجمي، ثم يستمع إلى رنين الهاتف الآخر حتى ظهر له صوت من الطرف الثان.

- ألو.. مين معايا؟
- أنا نادر الشوربجي.
- أهلًا بيك.. ازاي أقدر أخدمك؟
- أنت عصام العجمي صح؟
- أيوه أنا.. مظبوط.. أنا عارف أنت عايز إيه.
- طيب إزاي هتقدر تساعدني؟
- إزاي دي مينفعش تتقال في التليفون.. قابلني بعد ساعة قدام فندق أم كلثوم في الزمالك.
- هعرفك إزاي..؟؟
- أنا هعرفك.. متقلقش.. سلام.
- سلام.

*****

وصل نادر إلى حيث كان الاتفاق بينه وبين عصام الجمعي، ووقف بسيارته تحت الفندق في الانتظار، الساعة اقتربت من الواحدة، وقلبه زادت نبضاته، والعرق بدأ يتساقط على جبينه. فكر في الاتصال وإلغاء الموعد، كما فكر في الرحيل دون اتصال، الوضع برمته أصبح مقلقًا بالنسبه له، ولكن شيء ما يجعله غير قادر على العودة من ذلك الطريق، لقد بدأه بالفعل وأصبح جزء منه، في أثناء تفكيره قطع ذلك التفكير صوت طرقات على زجاج السيارة، اعتقد نادر أن مصدره يد إحدى الفتيات الصغيرات اللاتي تطلبن مساعدة، فلم ينظر نادر تجاهها، فقط وضع يديه في جيبه بطريقة عشوائية وأخرج بعض الجنيهات وفتح شباك السيارة ومد يده ليعطيها المال، ولكنه سمع صوت يقول:"نادر الشوربجي"، فالتفت نادر تجاه الصوت، فإذا به رجل قصير أقرع يرتدي بذلة مكتملة.. دعاه للنزول.. ففتح نادر الباب وهبط من السيارة بعد أن رجع عصام إلى الوراء قليلًا.

وقفا متواجهين، مد نادر يديه بالسلام فسلم عليه عصام وقال له عصام:

- تعالى نتمشى على الكورنيش شوية. فعبرا الشارع وبدأ في السير، السماء صافية مليئة بالنجوم، والشارع شبه مظلم إلا من أنوار السيارات والقهاوي المتراصة في الجهة الأخرى من الشارع، وأضواء المراكب التي تسير بهدوء على صفحة النيل.. نظر له عصام قائلًا:

- أنا عارف أنت عايز توصل للجمل ليه، عندي معلومات كاملة عن الموضوع، أنا هساعدك توصل وأنت عليك الباقي.. بس خليك عارف إن آخر اللي أنت رايح ليه مش دائمًا هيبقا كويس. أنت بتلعب مع ناس كبيرة، لو نفعت مرة ممكن متنفعش في أي لحظة وأمرك يتعرف، ساعتها أنت لوحدك. محدش هيكون معاك. فخليك دائمًا حذر.. اللي تعمله اعمله صح، مفيش جريمة كاملة.. بس في جريمة تخليهم يدوروا في مكان تاني بعيد عنك، دائمًا خلي تفكيرك إزاي تبعد عن نفسك أي شبهة.

- إزاي يعني؟

- أزاي ده هسيبها ليك أنت تقدرها، أنا بس هقولك على النقطة العامية في كل مرة.. اعتبرني عرابك لحد ما توصل لآخر نقطة.. دائمًا هوجهك فين تقدر تلاقي الأشخاص دول، فين نقطة ضعفهم، وأنت عليك الباقي.

- مين التانيين..؟؟

- معرفش.. أنا زيك بالظبط، معرفش حاجة غير الاسم لما أنت تعرفه.

- أمال إزاي هتساعدني؟

- هساعدك إني أوصلك للأشخاص دول بأسهل طريقة، لما يكون الأشخاص دول فأكثر الأماكن ضعف وانكسار.

- وإزاي ناس زي ده ممكن تبقا ضعيفة أو منكسرة؟؟

- أنت بتسأل كتير.. بس هقولك، الواحد بيكون في أضعف صوره لما بيمشي ورا غريزته، أيًا كانت غريزته.. إحنا بشر وكلنا لينا نقاط ضعف.. أنا شغلتي أعرفلك نقطة ضعفهم.

- أنت بتشتغل إيه؟

- ملكش دعوة.

- أوصل إزاي لأشرف الجمل؟؟

- أشرف الجمل ليه زوجة متجوزها عرفي بيتها في العنوان ده.. لما بيروح ليها بيروح من غير حراسة، البواب اللي هناك راجل صعيدي صاحب كِيف، من بعد العشا بيكون سافر خلاص، أنت عارف البانجو بقا، المهم هو بيكون هناك اتنين وأربع، الأنسب يوم الاتنين، بيوصل هناك الساعة واحدة بالليل عادةً، أنت هتطلع معاه في الأسانسير، وأنت عليك الباقي بقا.

- اشمعنى أنا..؟

- معرفش. يمكن علشان عندك دافع للانتقام.

- طيب هشوفك تاني إزاي؟

- مش هتشوفني إلا لما تحتاجني تاني.. وعلى فكرة أشرف الجمل عنده القلب، خليك حنين عليه، سلام. ارجع لعربيتك أنت بقا. أنا ماشي علطول.

- طيب...

- مفيش أسئلة تاني بقا.. أنا مستعجل.

وقفت سيارة في تلك الأثناء إلى جانب الطريق، واتجه لها عصام وهَمّ أن يركبها قبل أن يقول لنادر:

- يلا امشي بسرعة، الكهربا بتقطع كتيرالأيام دي.. امشي قبل ما تقطع عليك. ثم ضحك وركب السيارة التي رحلت سريعًا.. ووقف نادر متأملًا في النيل مفكرًا في كلام هذا العصام.. قبل أن يعود أدراجه لسيارته.

(4)

سمع صوت طرقات على باب الغرفة.. فتح فؤاد الهواري عينيه واعتدل في جلسته على الأريكة الموجودة في مكتبه في قسم الجيزة، حكَّ شعر رأسه قبل أن تمر يداه على وجه محاولًا الاستفاقة، هو لم ينم منذ مدة، استمر الطرق فقال بصوت عالٍ:

- حاضر.. حاضر.. إيه الدنيا طارت؟ فتح الباب ليجده محمد شاكر، تأمله قليلًا من أعلى لأسفل فوجد هناك ظرفًا في يديه فقال له:

- ادخل أنت واقف ليه؟ رد عليه محمد بأنه يغلق بجسده الباب، اعتذر فؤاد واتجه إلى دورة المياه المتصلة بغرفته في القسم، دخل محمد شاكر وجلس على كرسي المكتب، وأشعل عامود من الدخان، وسحبه بعمق وشبق وكأنه يحصل على طاقة ما منه ليكمل حياته، خرج فؤاد من دورة المياه وفي يديه منشفة الوجه، ألقاها على الأريكة الموجودة بجانب الحمام، نظر إلى محمد مرة أخرى بامتعاض وملل، حيث أنه أيقظه من نومه الذي لم يدم سوى لثلاث ساعات، يبادره محمد بالقول:

- مالك يا عم بتبصلي كده؟

- لأ عادي إيه اللي في إيدك ده؟

- سيجارة، تاخد؟

- محمد مش قصدي أكيد على السيجارة، أنا قصدي على الظرف، وبعدين أنت بتشرب سيجارة حشيش في قسم شرطة الله يجحمك يا شيخ!

- يا عم ده سيجارة واحدة، وبعدين هو في حد هيقبض عليا يعني، وده ظرف بعته المعمل، وهتتفاجئ لما تقراه، فوق كده وخدلك نفس علشان تعرف تقرأ بمزاج.

- هات الظرف.

مد فؤاد يديه ناحية محمد الذي أعطاه الظرف، فتح فؤاد الظرف وجلس يقلب في أوراقه مرة تلو الأخرى، بدأ لون وجهه بالتغير، وعيناه بدت أكثر تركيزًا، أصبح يقرأ الكلمات بهدوء كلمة كلمة، ثم يعيدها مرة أخرى بسرعة، كان يريد أن يجد أي شيء خاطئ في هذه الأوراق التي أمامه، ولكنه لم يجد، جاء التقرير كالتالي:"إن المدعو فوزي عبد المجيد قد أقدم على الانتحار عن طريق قطع شرايين اليد اليمنى، مما أدى لتوقف القلب قبل أن يفارق الحياة نتيجة انخفاض معدل الدم في الجسم، كما وجد بدم الضحية نسبة من أحد العقارات المنشطة جنسيًا" اعتدل فؤاد إلى الوارء ورفع نظره إلى محمد قائلًا له:

- هات نَفَس من اللي بتشربه ده، فمد محمد يديه إليه قائلًا:

- أكيد بعد الكلام ده لازم تشرب، وأهي القضية اتقفلت لوحدها يا عم من غير ما تتعب نفسك، وكده كده المريسة قالي اقفلوا عليها بقا طالما مش جايبة همها.

سحب فؤاد نفس عميق وأخرجه لفضاء الغرفة، وجلس يطالع هروب الدخان تجاه شعاع النور القادم من النافذة، وكأنه يسير في مسار معلوم له، هاربٌ من تلك الغرفة الكئيبة، وهارب منه هو شخصيًا ومن آلامه الدفينة، علّه هو أيضًا يستطيع الهروب مع هذا الدخان من كل مشاكله، هنا قاطعه محمد شاكر قائلًا:

- يا كابتن فؤاد معايا؟ ندخل الجثة المشرحة بقا ونقفل على الليلة دي؟ ولا لسه حابب تلغوص إيدك شوية فيها؟ تأمله فؤاد قائلًا:

- دخلها.. كده كده مش هيفرق مات إزاي، أهه مات وخلاص، محدش بيزعل في البلد على السياسين.. كويس انه مش فنانة لبنانية كانت دماغنا وجعتنا. فضحك محمد حتى فرت دمعة من عينه، ثم هدأ ووقف في الغرفة يتمشى ويكلم نفسه، ويكلم فؤاد أيضًا قائلًا:

- بس أنت شايف إيه الراجل ده انتحر ولا اتقتل ...؟

فسحب فؤاد نفسًا عميقًا من سماء الغرفة ولفظ زفيرًا قويًا، وهز رأسه قائلًا:

- معرفش أنا كنت شاكك لأن دي شغلتي بس التقرير جه أسرع مننا كلنا، وبيهد كل تصوراتي عن الموضوع، بس عمومًا اقفل على القصة دي لحد ما يظهر لها جديد ولو حصل نبقا نطلب طلب ونفتحها تاني.

- خلاص علم وينفذ يا فؤاد باشا.

وتحرك ناحية الباب راحلًا عن فؤاد، تاركًا إياه في قبره الواسع نسبيًا المسمى غرفة في قسم شرطة، ولكن فؤاد نده عليه قبل أن يخرج من الباب قائلًا له:

- صحيح يا محمد سألت لك على البار اللي في الفور سيزون اسمه "كالسيوس" صح؟ فهز محمد رأسه بالإيجاب، سحب فؤاد ورقة من أمامه على المكتب ومد يده إلى محمد قائلًا:

- دي المعلومات اللي قدرت ألمها. نظر محمد إلى الورقة وقرأ بصوت عالي ما فيها "مجموعة مستثمرين، على رأسهم شركة سياحية قابضة ذات اسم تجاري AZ" هنا قاطعه فؤاد قائلًا:

- ومعرفتش أجيب أكثر من كده بصراحة لأن المستثمرين أكثر من واحد، وأغلبهم مش مصري والشركة القابضة دي برضه مستثمرين كثير مش لشخص واحد، ما أنت عارف الشركات بقت كلها شركات بتضارب في البورصة، وأسهم وأفراد ورؤساء مجلس إدارة، السوق اتغير عن اللي كنا نعرفه زمان.

فهز محمد رأسه قائلًا:

- كده حلو قوي أصلًا. ثم اتجه إلى الباب وأغلقه من خلفه تاركًا فؤاد غارق في مشاكله التي تلتهمه ببطئ.

(5)

وصل نادر إلى العنوان المكتوب في الورقة التي أعطاها إياه عصام العجمي، كانت الساعة تشير إلى الثانية عشر والنصف، نزل من سيارته ووقف مستندًا إليها، سحب علبة سجائره الفضية ليجد فيها آخر سيجارة تبغ تحتضر في تلك العلبة، سحبها ووضعها في فمه وأشعلها، الشارع متفرع من شارع رئيسي كبير في منطقة المهندسين، كثيف الأشجار، البناية رقم 6 التي يقف أمامها نادر حديثه البناء وذلك يظهر على واجهتها الجديدة عن بقية المنطقة، كانت ملامح التوتر بادية جدًا على نادر الذي وللمرة الثانية يقدم على فعل لا يعرف ما هي عاقبته، ولا يعرف لماذا هو في الأساس يسير على خطى يرسمها له شخص آخر للانتقام لوالده، لماذا لم يتركه هذا الشخص مرتاح البال دون أن يخبره بهذه الحقيقة؟ كان أفضل له أن يجهلها.

ولكنه في نفس الوقت يشعر نادر بأن هناك شيء ما يدفعه لهذا الطريق دون تأنيب ضمير تجاه ذلك الفوزي عبد المجيد اللزج، أو ذلك الجمل الذي تكفي فقط الأوراق التي جائته في الظرف أن تقدمه لحبل المشنقة أكثر من مرة، في عدة جرائم أقلها السرقة والنهب وأكبرها تجارة السلاح، ولكنه في نفس الوقت ليس قاتلًا لكي يتورط بهذه السهولة في قتل هؤلاء أو في قتل آخرين.

بدأت قطرات العرق تنساب بشكل تلقائي على جبين نادر، والسيجارة ألقت ما فيها من رماد التبغ دون أن يأخذ نفسًا واحدًا، هنا استفاق نادر من غيبوبة أفكاره، محاولًا التركيز، ومخاطبًا نفسه بصوت هامس:"ليه مركبش العربية وأمشي؟ ويا دار ما دخلك شر، أبويا كده كده مات، انتقامي مش هيرجعه، وأنا مليش أي غرض في انتقام، خلاص يولعوا بجاز"، ألقى نادر السيجارة المنتهيه من فمه وحاول الحركة ولكنه لم يستطع، وكأن قدماه مثبتتان بقالب خرساني كبير، إنه الدافع الخفي للاستمرار للاشيء سوى لمعرفة الطرف الآخر من النهر حتى لو كانت النتيجة مجهولة، الشغف البشري الباعث على البقاء، هنا قرر نادر أن يحاول الهدوء والتفكير في شيء آخر غير مهمته في هذه الليلة، حاول تشتيت تفكيره، وتذكر مكالمة محمد شاكر ظابط الشرطة.. وكيف دارت..

- نادر بيه، ازيك يا باشا.

- محمد بيه ازيك أنت؟ إن شاء الله تكون بخير.

- لأ الحمد لله بخير قوي الدنيا هديت شوية عن اليومين اللي فاتوا، كل القنوات هديت بقا شوية عن قصة انتحار فوزي عبد المجيد ده خلاص، ما أنت عارف بلدنا والتوك شو كل يوم خبر جديد وقصة جديدة، بيزنس يا نادر بيه وأنت أدرى بقا بالبيزنس.

- هو فوزي عبد المجيد مات ازاي؟

- والله يا نادر بيه كل الخيوط بتودينا لأنه مات منتحر، بس في شكوك دائمًا مع أي قضيه فيها دم ودي شغلتنا. بس شكوك لا تفضي لشيء عمومًا تقرير الطب الشرعي طلع فلة. صاحبنا انتحر.. تقريبًا طلع مبيعرفش.

- مصيبة قصة مبيعرفش دي، دي بقت ولا كأنها موضة.

- ربنا يبعدها عنا يا نادر بيه.. أنت عارف الواحد ملوش غير مصلحته من غيرها ولا شيء.

- صح أكيد.

- ندخل في المفيد بقا.. موضوع البار اللي سألتني عليه، هو مجموعة مستثمرين أجانب على مصريين خرمنط كده، على رأسهم شركة منتجعات سياحية وقرى سياحية، الكلام ده أنت عارفه، الشركة دي اسمها التجاريAZ.. أنا معرفش ده بقا بتاعت مين لأنها برضه مجلس إدارة وكذا شخص.

- متعرفش تجبلي أسامي..؟؟

- والله هحاول على قد ما أقدر وربنا يسهل، وأنت كمان حاول من عندك، تقريبًا الشركة دي بتضارب في البورصة.

- خلاص حلو قوي كده، أنا من عندي هدور برضه، تسلم يا محمد باشا.

- على إيه يا نادر بيه.. كان نفسي أساعد أكثر بس أنت عارف مشغلنا الأيام ده. الدنيا علطول مقلوبة.

- لأ كده حلو قوي يا محمد بيه.. أسيبك بقا سلام.

- سلام.

أعاد نادر هذه المكالمة في رأسه متأملًا في تفاصيلها، وبالأخص أن قضية فوزي مغلقة، هذا يعني أن وضعه سليم، يبقى أن يعرف تفاصيل عن هذه الشركة صاحبة البار عله يصل لأي خيط لذلك الشخص صاحب هذه الاتصالات كلها، وسبب أزمته الحالية.. وسبب مغامرته الغريبة، في تلك الأثناء وصلت سيارة مرسيدس توقفت أسفل البناية السكنية، ونزل منها شخص كبير في السن وضخم البنية، يشبه التجار ولكنه يرتدي حلّة فتعطيه هيبة غريبة، يضع كوفية زرقاء حول رقبته، ويتجه صاعدًا إلى باب العمارة المرتفع بسبع سلمات عن الأرض إلى أن يصل لبهو المدخل، هنا أسرع نادر عابرًا الشارع إلى الجهة الأخرى متجهًا إلى البهو، وصل إلى المصعد في اللحظة الأخيرة قبل أن يغلق الباب، يا لهذه الأفكار التي كادت أن تضيع هذه الفرصة سحب نادر

باب المصعد ليجد ذلك الجمل مطأطأ الرأس ينظر في هاتفه، دخل نادر ووقف بجانبه دون أن ينظر له الجمل ولو نظرة واحدة، وكأنه غير موجود، أشرف الجمل بطبعه شخص متكبر ويكره البشر كلهم، فهو يشعر أنه شخص ذو مكانة كبيرة ولا يصلح للتعامل مع العامة بأي شكل من الأشكال، إلا في أضيق الحدود، وأضيقها عادةً مرتبط بالانتخابات النيابية.

وصل المصعد إلا ما بين الدور السادس والسابع وهنا قطع النور فجأة، وحدث أن اهتز المصعد على أثر الانقطاع وعمل المكابح الأتوماتيكية، هنا زفر الجمل قائلًا:

- أبو الغباء! إزاي برج جديد الشقة فيه بالشيء الفلاني الأسانسير فيه يقف لما الكهرباء تتقطع؟ والله لخرب بيوتهم ولاد الكلب النصابين دول. فرد نادر بهدوء قائلًا: ..

- هما برضه اللي ولاد كلب؟ هنا نظر له أشرف الجمل في عتمة الأسانسير وضوء خافت من الموبيل قائلًا:

- أفندم أنت بتقول حاجة؟

- بقولك هما برضه اللي ولاد كلب؟؟

- قصدك إيه يعني؟؟

- والله مقصدش حاجة بس اللي على راسه بطحة..
- أنت بتوجهلي أنا الكلام ده..؟ أنت متعرفش أنا مين؟؟
- ويمكن عشان أعرف أنت مين فبقولك كده.

هنا حاول أشرف الجمل أن لا يتعدى على نادر.. فقط حاول أن يعلم ملامحه بالإضاءة المتوفرة من الهاتف، حيث رفعه إلى الأعلى ليرى وجه المتحدث، وعندما اقترب من وجه نادر ذلك الضوء.. نظر له في عينيه قائلًا:

- نادر الشوربجي.. أنا نادرالشوربجي، ابن كمال الشوربجي، تفتكر الاسم ده يا أشرف بيه؟؟ هنا انتابت أشرف الجمل حالة من الصدمة والإنكار، وأشاح بوجهه إلى الأمام قائلًا بصوت خافت:

- مفتكرش أعرف حد بالاسم ده!! فرد نادر:

- قتلتوه ليه؟؟
- قتلنا مين يا مجنون أنت؟ أنت هتلبسني قضية؟ وبعدين أنت عايز إيه مني؟؟ أنت جاي هنا ليه؟؟؟ على فكرة لو لمستني أنت بتجيب لنفسك مصيبة, أنت متعرفش أنا مين ولا إيه؟؟

كان أشرف الجمل يقول كلماته في حزم مختلط بتوسل وضعف، ولكنه يحاول تغلفيه بهيبة وهمية، فالكل أمام الموت ضعفاء وليس لهم أمل يذكر، ورائحة الموت تملأ ذلك الفراغ الصغير.

- بقولك قتلتوه ليه؟؟

- أنا والله.. أصل أنت متفهمش.. بص يا ابني، احنا نخرج من هنا وأنا هفهمك كل حاجة.. أصل أنت مش فاهم.. ولسه صغير.. أنا مقتلتوش.. ولا لي علاقة.. دول هما اللي قتلوه.

- هما مين؟؟

- بلاش تعرف أحسن يا ابني.. أنت من عمر ولادي وأخاف عليك.. الموضوع قديم وخلاص انتقامك هيفيد بايه؟ هتقضي على مستقبلك.

هنا ضحك نادر قائلًا:

- أنت خايف على مستقبلي للدرجة دي؟ أحب أقولك اطمن، متخافش أنا كده كده مستقبلي حلو قوي، يعني قتلك أو قتل غيرك مش هيفرق كثير. قالها نادر بشكل لم يتصور هو نفسه أن يقولها به، لعله أحب اللعبة، أو لعله هوى الانتقام، هو لا يعرف وليس هناك وقت ليعرف أي شيء،هنا أعاد نادر سؤاله مرة أخرى..

- مين اللي قتله..؟ انفد بجلدك وقولي.

- أنا لو قلتلك أنت مش هتستفاد حاجة، لأنهم ناس كبيرة وأنت صغير.

- اللي خلاني أوصلك هيخليني أوصلهم.

- مفتكرش يا نادر.

- أنا أفتكر.

- أنت عايز إيه بس؟ سيبك من قصة الانتقام ده.. أنت أكيد مش جاي تقتلني.

كان هناك مسدس مصوب على بطن أشرف الجمل، هو لم يراه ولكنه يشعر به يغوص في أحشائه.

- أنا مش عايز. أنا عايز روحك وروحهم وبس.

حاول أشرف الجمل الحركة بسرعة، ولكن نادر دفعه إلى زاوية المصعد وقال له:

- أنت مجنون بتحاول تهرب فين في الزنقة ده؟

هنا كان أشرف الجمل يزداد تعرقًا، ويزداد لهاثه بشكل أكبر، وكأنه خنزير يلفظ أنفاسه الأخيرة وسط قدر كبير من القمامة، وبدأت أوصاله في الارتخاء كثور قطعت شرايين أطرافه قبل أن يجثو عليه

الجزار ليذبح رقبته، فتخرج تلك النافورة المبهجة من الدماء، آه من بهجة القتل، فللقتل أيضًا بهجة وإدمان لم يخبرها إلا من مر بها.

وقع أشرف الجمل على الأرض فنزل نادر إليه واقترب منه يسمع لهاسه وأقبل على أذنيه قائلًا:

- أنا قولتلك تقولي مين، وأنت اللي مقولتش بسرعة، هما كده كده جايين، وأنا كده كده كنت هموتك، بس كنت حابب إنك تموت بالراحة، وأنت بتتسلى، عارف دكتور التخدير لما بيقولك عد من واحد لعشرة؟ أنا بقا كنت بخليك تعد من واحد لعشرة بطريقتي.

هنا عاد النور، وتحرك المصعد إلى الأعلى حتى وصل إلى الدور التاسع، فخرج نادر بعد أن ضغط زر الدور الثاني عشر، وسحب زر التوقف، وجثة أشرف الجمل ملقاة على أرض المصعد في حالة جيدة وطازجة، نظر له نادر نظرة أخيرة قبل أن يغلق المصعد ويتحرك المصعد لأعلى، نزل نادر على السلالم حتى وصل إلى البهو، ليجد البواب واقفًا فيه، لم يتردد نادر وأكمل سيره، ولم يوقفه البواب، فقد كان واقفًا مشدوهًا في وسط البهو وكأنه تمثال جرانيتي لآلهة البوابين عند المصريين القدماء، وصل نادر إلى سيارته وانطلق سريعًا، وهو مبتسم بشكل هستيري غريب، وكأنه نتاج لصدمة ما، ولكنه سعيد على غير عادته هذه المرة، يمكن لذلك أن يكون تأثير الأدرنالين المفرط الذي يذوب الآن في خلاياه جراء هذه الليلة، وهذا القتل الرحيم السهل.

الفصل التاسع

(1)

وصل إلى منزله في العجوزة، ركن سيارته تحت المبنى القديم نسبيًا، ألقى التحية على أصحاب المحلات أسفل المنزل، ودارت أحاديث سريعة ومقتضبة عن أشياء كثيرة، منها الصحة والوضع الأمني وقصة الصحفي المنتحر، وهل صحيح أنه مات بسبب الفياجرا أم أنها إشاعات؟ سأله عم سعيد الكهربائي في توجس وريبة:

- إيه يا فؤاد بيه هو بصحيح الفياجرا بتموت الأيام دي؟ المَرَة بقالها من ساعة ما سمعت الخبر محرجة عليا أدخلها البيت.. طب هو مفيش حاجة ثانية غير الفياجرا دي تمشي المصلحة وما بتموتش؟ ضحك فؤاد وهز رأسه قائلًا:

- يا عم سعيد فياجرا إيه اللي بتموت؟ ما أنت زي الفل أهه! القصة كلها إنه انتحر، خلي أنت بالك من نفسك والدنيا هتبقا زي الفل، ومتقطعش الفياجرا لتتنكس وتلتحر مش ناقصين بلاوي الله يخليك. هز عم سعيد كتفيه ورفع عينيه للسماء قائلًا:

- الحمد لله طمنت قلبي.

نظر فؤاد إلى أعلى ناحية شرفة بيته فوجدها مفتوحة، فعلم أن سلمى قد عادت إلى المنزل، فاعتذر من أصحاب المحلات وصعد إلى الأعلى، منطلقًا على سلم منزله حتى وصل إلى الدور الثالث في ثوانٍ معدودة،

وضع المفتاح في الباب ودخل بهدوء إلى الصالة، حيث وجد سلمى شاكر زوجته جالسةً تشاهد التلفزيون، وعندما رأته أغلقت التلفزيون ومشت إلى ممر مؤدي لغرفتها.

سلمى شاكر فتاة عشرينية، ممتلئة الجسد قليلًا، بيضاء اللون متوسطة الطول، لها جسد رائع في طلته، ولها عيني قطط رائعة التفاصيل بشكل لافت، تعرف فؤاد عليها في أحد الأفراح التي دعاه إليها محمد صديقه وأخوها، كانت سلمى قد أنهت دراستها الثانوية ولكنها فائرة القوام لا يظهر عليها السن الصغير، تقدم لخطبتها وسرعان ما تم الزواج بعد أن قبلت هي بفؤاد كعريس، ضابط شرطة وسيم، تتمناه هي كفتاة في سنها، واتفقا على أن تكمل دراستها، ولكنها تكاسلت بعد الزواج، ولم تعد ملتزمة بالجامعة، ارتبطت سلمى بفؤاد جدًا، ولكن ظل هناك شيء ما يحول أن يصلا لتوافق بشكل كبير، أرجعته والدتها لتأخر الحمل لأكثر من سنتين، في الوقت الذي كانت فيه سلمى ترى أن هناك هوة كبيرة تزداد بينهما، إلى أن وصلت إلى شجار كبير قبل شهر ونصف، عندما ألمح فؤاد إليها بأنه في قلبه ريبة، وسألها صراحةً إن كان هناك شخص آخر في حياتها، وأنه قادر على تفهم الوضع فهي ما زالت صغيرة، وقريناتها ما زلن في الجامعة وهذا وارد!! في ذلك الوقت تركت سلمى المنزل بعد أن دعته بالمجنون، وحلفت على ألا تعود مرة أخرى، طوال هذه الفترة لم يتوقف فؤاد عن المحاولة، ولكن باءت جميعها بالفشل، حتى تدخل أخوها الذي تحبه

كثيرًا سلمى في الموضوع، وأقنعها أن تعود على الرغم من عدم معرفته بالقصة وسبب الخلاف. ولكنها لحبها أخيها قررت العودة على مضض، وفي صباح اليوم اتصل محمد بفؤاد وأخبره أن:"سلمى خلاص في البيت".

لحق فؤاد بسلمى إلى غرفتهما، دخل فوجدها تجلس أمام المرآة وتضع بعض الكريمات على يديها، فوقف إلى خلفها واضعًا يديه على كتفيها، فهزت سلمى كتفيها ولم تنظر حتى لعينيه، وقالت بحزم:

- أنا رجعت بس علشان مكسرش كلمة محمد أخويا، اللي لو كنت قولتله إنك بتطعن في شرف أخته مكنش رجعهالك، بس أنا بنت ناس ومحبتش أعمل مشاكل. نظر فؤاد للأرض ونفخ في هدوء، ثم رفع رأسه بعد أن جلس على السرير المواجه للمرآة، وقال في حنق:

- سلمى أنا بقالي كثير حاسس منك ببرود، أنتِ مبقتيش زي زمان، سلمى اللي مليانة حنية وشهوة تجاهي. بقيتي لوح ثلج مجرد لعبة بقضي معاها وقت بدون ما تحس، بقيتي تفريغ طاقة وشهوة مش مراتي، أنا معرفش جرالنا إيه، أنا يا بنت الحلال بحبك ومش عايز أظلمك، ده كان كل قصدي، أنا حاسس إنك مش مستريحة، مبقيتيش سلمى اللي كنا بنسهر طول الليل ومبنهداش ولا بنتهد.

نظرت سلمى إلى المرأة حيث تنعكس صورته، وتنهدنت بهدوء وقالت:

- أنا عارفة إني مش زي الأول فعلًا، مبقتش بحس بحاجات كثير، بس أنت لو تعرف إني بعشقك مكنتش تقول كده، أنا يمكن ما اتجوزتكش عن حب بس اتجوزتك عن احترام وثقة، دول حاجة كبيرة قوي عندي.. يمكن زهقت.. يمكن عايزة أخلف.

قاطعها هنا فؤاد قائلًا:

- ما أنا قولتلك نروح للدكتور أكثر من مرة.

- أنا مش عايزة أخلف عن طريق دكاترة، عايزة أخلف منك كده زي ما إحنا.. أنا محبش حد يدخل ما بينا حتى في أبسط الأمور.. ممكن تعتبرني هايفة.. بس أنا عايزة أخلف منك في الوقت اللي ربنا يريده، أحاول معاك وتحاول معايا مرة ورا الثانية لحد ما ربنا يرزقنا، أنا عايزه حنية منك يا فؤاد، أنا اللي فيا ده كله ابتدا مع نظرات أمك واخواتك ليا إني ناقصة حاجة علشان مخلفتش، وحسيت ده منك في فترات، أنا عارفة إنه مش قصدك، بس أنا كمان بشر وبحس، يمكن غلطي إني سيبت الشعور ده يكبر جوايا وكان لازم أوقفه عند حده، بس فشلت، لازم كل واحد يعترف بغلطه في العلاق علشان تمشي، وأنا بحبك ومحتجالك، كل ست بتحتاج حنية في وقت معين ولو مخدتهاش بتبقى مجنونة، أيوه احنا مجانين، بس بنحبكم والله. وترقرقت عيني سلمى بالدموع.

هنا اقترب فؤاد منها وجثا على ركبتيه، واحتضنها إلى صدره، ومسح من على خدها تلك الدموع وقبلها على رأسها بحنو بالغ، فارتمت سلمى إلى صدره وقالت في صوت مخنوق:

- أنا تعبانة بجد وزهقت، ومبقتش قادرة إن نظرات الناس إننا بنواجه مشكلة، إحنا معندناش مشكلة يا فؤاد والله، احنا كنا مبسوطين جدًا. احتضن فؤاد وجهها ونظر إلى عينيها التي تحاشت النظر إليه، وقال لها:

- سيبك من الناس ملكيش دعوه بيهم، أنا بحبك وعايزك، وربنا يرزقنا لما يريد، متفكريش تاني في الموضوع ده ولو حد كلمك أنا هصده، أنا عارف إننا معندناش مشكلة الموضوع كله موضوع وقت.

نظرت هنا سلمى لعيني فؤاد واقتربت منه حتى لامست شفتاها شفتيه، وقالت له:

- بحبك وحشتني، ثم لثمته بقبلة طويلة، تقبلها فؤاد وكأنه يحتضن شفتيها بشفتيه، جذبها إليه بهدوء، وارتميا على أرض الغرفة، كانت شفتيهما ما زالتا ملتصقتين دون أن يتفارقا للحظة، إنه الاشتياق الذي يذيب أي خلاف في ثوانٍ، وكأنه سيل من المياه يمر بأرض صخرية، مهما كانت قوتها ستنهار يوم ما أمام الماء، وسينهار الخلاف دائما أمام الشوق، فقط علينا أن نبحث عنه في أغوار نفوسنا الخربة.

كانت سلمى ترتدي قميص نوم أبيض شفاف "بروب" نوم طويل، لم تكن من عادتها أن ترتدي حمالات صدر في المنزل، مما كان كفيلًا بظهور نتوئين بلون الكرز البري، يبرزان على استحياء وشوق أسفل قميصها الشفاف، لتتلمس بصدر فؤاد فيضمها إليه أكثر دون هوادة، كاد أن يكسر أضلعها بقوة احتضانه إليها مرة بعد الأخرى، وهي تصدح بتأوهات متتالية، وتنفث من داخلها أنفاس متقطعة بها حرارة لا يستطيع المرء تجاهلها، كانت هي بحاجة إليه، وهو أيضًا يفتقدها بشكل كبير، باتا ليلتهما هذه متقاربين ملتصقين عاريي الجسد، يتأملها وتتأمله، ويتحسسها وتتحسسه، كانا يعيدان اكتشاف بعضهما البعض مرة أخرى، فكم من المشاكل تترك لنا فرصة جديدة للبدايات لأمور توقعنا أنها انتهت دون رجعة، كقلب حبيب مثلًا.

(2)

يجلس على أريكة الصالة يقلب في التلفزيون شمالًا ويمينًا، المكان حوله ممتلئ بعلب البيرة وزجاجات "id" الفارغة في كل مكان، لا يقف على الطاولة إلا 3 زجاجات إحداهم "gold label" والأخرتان "platinum"، تقفان شامختان احترامًا لهما ولدورهما القوي في تسكين أفكاره بعد محاولات حثيثة باءت جميعها بالفشل.

لحيته طويلة قليلًا عن طبيعتها الدائمة، يظهر عليه عدم النوم لفترات طويلة، وقد يكون السبب هو ذلك الكم الهائل من الشرب لأيام متتالية، الأخبار كلها تتحدث منذ أسبوع عن تلك الأزمة القلبية التي وافت أحد أكبر رجال الأعمال أشرف الجمل، والتي أرجعها بعضهم لانقطاع التيار الكهربي في المصعد أثناء تواجد أشرف الجمل فيه، والذي كان في زيارة لأحد عيادات الأسنان في هذا المبنى السكني.

منذ تلك المدة لم تصل لنادر أي محادثة هاتفية من ذلك الشخص، وعاود نادر الاتصال مرارًا وتكرارًا بعصام العجمي ولكن لا مجيب، إلا في اليومين الأخيرين يرد شخص مخبرًا نادر بأن يكف عن معاكسة زوجته، صوت آخر غير صوت عصام، وشخص يتحدث بجدية، أين هؤلاء جميعًا؟ رحلوا؟ أهو حلم ما واستيقظ منه؟ أم هو كابوس آخر من تلك الكوابيس التي كانت تراوده في صغره؟ الأمر مريب حقًا، طوال هذه المدة تلقى نادر الكثير من الاتصالات من شاهيناز وشيرين ومن

آخرين، تلقى حتى تليفون من محمد شاكر ولكن لا أحد يجيب، التزم نادر الانزواء طوال هذه المدة. فقط يشرب ويتابع الأخبار علّ خبر جديد يطرأ. أو علّ الأخبار تأتي بأن لا شيء جرى ذلك اليوم في الفندق ولا في مبنى المهندسين، فتعود الحياة سهلة وكسابق عهدها، في الصباح عمل متواصل، وفي المساء سهر في كالتشيوا، ذلك المكان الأثر المحتضن الأكبر لنادر، هو يشعر أنه جزء من المكان بكل تفاصيله، الآن لم يذهب إليه منذ تلك الليلة.

لماذا قتلته؟ ولماذا علينا أن نقتل أي شخص كان راغبين في انتقام ما؟ لماذا لا نترك ذلك للوقت؟ فهو كفيل بأن يأتي لنا بحقوقنا، لكن.. ماذا لو كنا نحن أبناء الوقت ونحن من ولدنا الزمن لنأتي بحقوق كانت لآخرين، لعل فوزي عبد المجيد فعل شيء لشخص آخر، لعله قتل.. لعله خان عهد ما.. وأنا أريد حقًا ما لشخص آخر غيري لم يستطع ولم يقف معه القدر ليأتي بحقه، عليّ أنا الطلقة التي تخرج من مسدس (بلوي سي زد 75) تشيكي الصنع، تخرج من سلاح هربه أشرف الجمل لداخل مصر، اخترقت أحشاء أحد الأشخاص كان يمر في أحد الأيام في طريقه لمنزله حاملًا بـ3 جنيهات خبز لعائلته، ليسقط على الأرض ميتًا دون رحمة لتكمل تلك الطلقة دورتها لتخترق قلب أشرف الجمل، فيرتاح ذلك الميت في قبره، ولكن لماذا أنا؟ لماذا اختارني القدر لآتي بحقوق آخرين؟ ومن يأتِ لي بحقي أنا لو أنني بالفعل قدر لآخرين؟ آهٍ من هذه الأفكار السيئة السمعة التي تتحرش بعقلي الذي لا يأبه لهذا

العالم كله، دكتور كولين! أين أنت أيها الرجل العجوز. لماذا ملأت رأسي بأساطير آلهة يحاربون مرارًا وتكرارًا للانتقام؟ هذه أفعال آلهة ونحن بشر، وأنا بالذات لم يخطر ببالي يومًا أن أنتقم حتى من ذلك الطفل السمين الذي لم يكن ليراني حتى يبدأ السباب والضرب دون سبب؛ سوى أنه لا يحب العرب ويحتقرهم. لماذا يحتقر الإنجليز العرب؟ نحن لا نزعج أحد سوى أنفسنا! لماذا لم تخبرني والدتي طوال تلك الفترة عن والدي وقصته؟ لماذا خافت أن تخبرني هذه السيدة القوية؟ أكانت ترى فيّ ذلك الطفل المشاغب الساعي لأخذ الثأر؟ أو أنه خوفها من ذلك العرق الصعيدي الذي أتاني من ناحيتها؟ حفيدة بكوات الصعيد، هي نفسها على ما أعتقد تحب الانتقام أكثر مني شخصيًا. الانتقام عمومًا صفة أنثوية على ما أعتقد، أو صفة تزرعها فينا النساء. حورس لم يكن ليثأر لوالده سوى لأن أوزريس حاربت من أجل ذلك، ولكنني لست حورس.

هنا ضحك نادر ضحكة مكتومة، ثم أردف في التفكير ثانية:"ولكن والدتي أوزريس".

قطع ذلك الصمت المصاحب لإضاءات متحركة داخل الغرفة -بسبب التلفزيون المفتوح فقط لملئ الفراغ- صوت طقطقة الباب، فانتبه نادر فزعًا وتحرك بسرعة من مكانه حاملًا إحدى الزجاجات في يده للدفاع عن النفس في حالة الخطر، هكذا أمره عقله بهذه الفكرة، ثم توقف للحظات حيث فوجئ بشيرين واقفةً عند الباب، نظر إلى الأرض كولد

صغير ثم حرك وجهه ناحية الأريكة مرة أخرى وذهب إليها وجلس، سحبت شيرين المفتاح من قفل الباب واتجهت إلى نادر وقدماها تتصادم مع علب بيرة في كل مكان حتى وصلت إلى الكرسي المقارب للأريكة، فنفضت عنه العلب الفارغة وجلست، فتحت حقيبة يدها وسحبت سيجارة ومدت يدها لنادر الذي اعتذر قائلًا:

- أنتِ عارفة مبشربش سجاير من دي. أشعلت شيرين السيجارة وسحبت نفس عميق ونفخته بقوة، يختلط بالهواء المحبوس في هذه الصالة منذ مدة، واعتدلت في جلستها ورفعت إحدى قدميها فوق الأخرى، وقالت بهدوء مفتعل:

- إيه يا نادر فينك؟ أسبوع كامل ولا حس ولا خبر ولا حتى سؤال، طب رد على تليفونك قدامك أهه.. مفتكرش إن في شيء يخليك متردش، اتصلت بشغلك قالوا مبيجيش، محدش يعرف عنك حاجة، ممكن أعرف في إيه؟ كصديقة بلاش كحبيبتك، يمكن عندك تحفظات على حبيبتك دي!

كان نادر يفرك يديه ببعضهما في حركة انفعالية بسيطة، وينظر للطاولة الملقى عليها جرنال مكتوب عليه بالخط العريض: "وفاة غول السياحة المصري أشرف الجمل"، ثم نقل نظره ناحية شيرين قائلًا بهدوء:

- مفيش كنت عايز أقعد لوحدي شوية. حاسس إني مضغوط شوية.

- أنا سبب الضغط؟ لو أنا متحملش هم. أنا مش عيلة صغيرة يا نادر، عادي جدًا ممكن تقولي إنك عايزنا منكملش، أنا أصلًا حاسة إنك بقالك فترة في حد تاني.

- حد تاني إيه يا شيرين؟ أنتِ مش فاهمة حاجة خالص.

- نادر يوم الفندق، وأيام تانية كتير، مش هعدلك يعني، أنت بقيت علطول بتبعد وغريب، عنيك مليانة كلام ومبتنطقش، حتى شاهيناز خدت بالها وسألتني أكثر من مرة، وقولتلها معرفش، ودلوقتي جاي تقولي عادي.

هز نادر رأسه ونفخ هواء محملًا بثاني أكسيد الكربون في الغرفة وكأنها بحاجة للمزيد منه، ثم أردف في القول:

- الموضوع مش زي ما في بالك خالص، الموضوع صعب أشرحه ليكي يا شيرين، بس أنا مبخونكيش صدقيني، أنا بحبك وأنتِ عارفة ده كويس، بس صعب أشرحلك مالي بسهولة.

- نادر لو صعب تشرحلي يبقا احنا بعاد عن بعض، ولو احنا بعاد يبقا أنت مبتحبنيش. نادر أنا مش عيلة صغيرة هتضحك عليها

بكلمتين، أنا واحدة بمشي شركات وناس قدك مرتين بإشارة مني، من غير ما يفتحوا بُقهم، مش شيرين العمري اللي هتضحك عليها بكلمتين يا نادر وهيا هتقولك خلاص.

هنا اقترب نادر منها حتى أصبح وكأنه يجلس أمامها مباشرةً، أمسك يديها وهمس بصوت خافت:

• أنا والله بحبك وبعشقك ومليش غيرك، أنا بس مخنوق ومش عارف أنطق باللي جوايا، سامحيني واعرفي إني عمري ما كذبت عليكي، بس أنا بجد معنديش كلام يا شيرين، استحمليني.

وهنا أقدم نادر على أن يقبلها، ولكنها وقفت فجأة حاملةً حقيبتها واتجهت إلى باب الشقة قائلةً:

- أنا عارفاك كويس يا نادر، وأكبر دليل إني أعرفك إني كنت متأكدة إنك في الشقة دي لأنك محتاجلي، بس في شيء منعك تكلمني أنا معرفوش، أنت مبتكذبش عليا وعمرك ما عملتها، وأنا عارفة إنك فعلًا معندكش كلام تقوله ليا، بس في شيء مخبيه، وأنا مهما حصل يا نادر ست وبخاف، وخوفي ليكون في ست ثانية في حياتك ولكن خايف تهرب ليها، وخوفك ده اللي عامل فيك كده، أنا عايزاك يمكن أكثر منك، وكان ممكن أبوسك للصبح وأغتصبك كمان، بس قلبي مطاوعنيش لأنه بجد مكسور من غيابك الفترة دي كلها من غير ما تسأل، والست مننا جسمها مبيحسش لو قلبها زعلان.

ثم تنهدت وقالت وهي ترحل:

- يا ريت تقوم تحلق ذقنك وتنظف نفسك وترجع نادر، وأنت عارف مكاني ومكاننا كلنا، هتلاقينا سهرانين انهارده هناك، ياريت أشوف نادر الشوربجي ولو على الأقل صاحبي اللي بحترمه. ورحلت وأغلقت الباب من خلفها، لم يتسع لنادر الوقت للتفكير في ذلك الحديث الذي دار بينهما، حيث رن هاتف نادر بذلك الاسم المجهول "بدون رقم "، فأسرع نادر بالرد وكأنه ينتظر شيء ما، وكأنه على لقاء حصري مع القدر اليوم.

(3)

كان يجلس منتظرًا في غرفة واسعة تضيئها أشعة الشمس القادمة من النافذة، مكتب عليه حاسب إلكتروي وتمثال متوسط الارتفاع لأحد الآلهة الرومانية احتّلا منتصف الغرفة. التمثال لفتاة رقيقة عارية الصدر.

حوض زهور به نبتة طويلة احتلّ الزاوية البعيدة أضفى بعض الحياة على الغرفة الصامتة الخانقة، ألوان الحوائط فاتحة ولكنها -لسبب ما- غير مريحة.

علم بريطاني ضخم يملأ الزاوية الأخرى.

فتاة ثلاثينية شقراء تجلس إلى المكتب، الآنسة مريام سيرلي، تضع نظارة لتبدو أكبر سنًا وأكثر وقارًا، ترتدي سترة سوداء عليها شعار مدرسة "كليف". تلك عادة المدرسة الصارمة، لابد للجميع من ارتداء ملابس عليها الشعار الملكي، الأسدان يحملان تاج فوقه أول حرفين من "كليف". كانت منهكمة جدًا في العمل، وتظهر عليها علامات الجدية، أو هكذا يبدو عليها، يرن هاتف مكتبها فتمد يدها إليه وترفعه وتنصت للمتصل، ثم تغلق السماعة وترفع رأسها لذلك العجوز الجالس إلى الكرسي البعيد والملاصق للحائط، تدعوه إلى دخول مكتب السيدة ماري كلير، مديرة المدرسة، قام الرجل بهدوء مناسب لسنه، هز رأسه محييًا ميريام سيرلي، ثم توجه إلى باب الغرفة، الباب كبير له مصراعين

أبيضا اللون، به مربعات زجاجية غير شفافة. طرق طرقتين على الباب ثم فتحه متوجهًا إلى الداخل، وقفت السيدة ماري كلير محييةً إياه قائلة:

- أهلًا بيك دكتور كولين، كيف صحتك الآن؟ سمعت أنك كنت تعاني من أزمة صحية. هز دكتور كولين رأسه بالإيجاب قائلًا:

- بعض من ما تركه الزمن فينا المرض، ماذا الذي نستطيع فعله؟ كلما تقدمنا للأمام كلما انتهينا، هذه قصة الحياة الأبدية.

• لماذ كل هذا التشاؤم دكتور كولين؟ أنا أعرف أنك شديد التفاؤل دائمًا.

• ومن قال لك أنني متشائم؟ أنا فقط أسرد لكِ بعض من الحقائق، ولكننا هكذا دائمًا لا نحب الحقائق، ونقول أنها تشاؤم.

حركت السيدة ماري نظارتها، ثم أردفت قائلة:

• لا عليك دكتور كولين، كلماتي ليست بغرض مضايقتك، ولكنها فقط لفتح سبل الحديث معك.

• أنا لا أتضايق سيدة ماري، أنتِ تعلمين ذلك عني، لا شيء يستحق المضايقة.

مدد دكتور كولين جسده على الكرسي ونظر لها قائلًا:

- لماذا دعيتني إلى مكتبك على أي حال؟

- أنت تعلم لماذا دعيتك إلى مكتبي دكتور!

- لا، لا أعلم في حقيقه الأمر.

- لقد جئت بك إلى هنا للاستفسار منك عن الطالب نادر الشوربجي..

- ولماذا أنا بالذات الذي تريدين سؤاله عن نادر؟ اسألي أي من مدرسيه الأخرون.

- دكتور كولين! لماذا تتعبني دائمًا؟ أنت تعلم أن نادر لا يحب أن يتعامل إلا معك، هو طفل ذكي، وعلاماته جيدة، وبالذات في المواد التي تدرسها، هو تلميذك الوفي، ولكنه قليل الكلام قد يكون لا يتكلم ليحسب البعض أنه أخرس، الطلبة يرتابون منه، فهو لا يلعب مع أقرانه، ولا يشاطرهم نشاطاتهم، هل صادفت يومًا ولدًا يختار من فصول النشاط المدرسي نشاط المكتبة والقراءة؟ كم لك في المدرسة؟ كم طالب مروا عليك دكتور كولين؟ لا أحد! إلا ذلك الطفل منذ 8 سنوات.

• ولكن لا تنكري أنه أصبح الآن عبقري، وله شأن كبير.

• أنا لا أنكر، ولكنه أيضًا ليس دليل على شيء، أنا لا أريد أن أكذب عليك دكتور كولين، المدرسين والطلبة كلهم مستاؤون منه، حتى دكتورة الصحة النفسية لم تعد تجد طريقة للتعامل معه، هو دائمًا ما يسألها عن أشياء كثيرة ولا يتحدث، فقط يسأل.

• هل تجاوبه عن أسئلته؟

• لا أعلم.

• أنا أعلم. هي لا تستطيع أن تجاريه وتجاوبه عن أي من أسئلته لأنها غبية، هو أذكى منها.

• دكتور كولين! أنا لا أسمح لك أن تهين زميلة لك في مكتبي.

• وأنا لا أسمح لكِ أن تهيني تلميذي في مكتبك.

تنفست السيدة ماري، ثم خلعت نظارتها ورفعت رأسها لدكتور كولين، وقالت:

- هو تلميذي أنا أيضًا، وأنا قلقة عليه.

• لا تتعبي نفسك. هو يفوقك ذكاءً سيدة ماري، هل هذا ما يقلقك؟

- سيد كولين! لا أسمح لك!!

- أنا أمزح، ولكني فقط أريد أن أؤكد لكِ أنه طبيعي جدًا، ولكنه ليس كأقرانه لأنه مميز عنهم، ألم أقل لكِ في بداية حديثنا أننا نكره الحقائق؟ فقط نريد الكذب، فقط نريد لطفل مثل نادر أن يصبح مثل البقية، بنفس الغباء، بنفس الوجوه البليدة، أنا أعلم أنك تستغربين ذلك العربي الذكي النبيه، أنتِ تتوقعين أن يكون مثل باقي الأطفال العرب في المدرسة.

- دكتور كولين! للمرة الأخيرة أحذرك، أنتِ تتهمني بالعنصرية.

وقف دكتور كولين في انفعال قائلًا:

- أنا لا أتهم أحدًا، أنت من تصنعين المشاكل من لا شيء؟ نادر طبيعي وأنا أعلم أنك تريدين إرجاعه إلى القاهرة، ويجب أن أقر أنه غير مرغوب فيه لأنني مسؤول عنه بحكم النشاط، وسنوات التدريس، وقِدَمي كمدرس، ولكن لا تحلمي بذلك.

ارتدت السيدة ماري نظاراتها، ووضعت رأسها في الأوراق قائلةً:

- المقابلة انتهت دكتور. فهمّ فالرحيل حتى وصل إلى الباب فسمع صوتها في غضب قائلًا:

- وسأعيد ذلك الغريب إلى وطنه قريبًا.

(4)

عاد نادر بظهره إلى الوراء في ذهول ظهر جليًا على ملامحه من هذه المحادثة المتأخرة عن موعدها أسبوعًا، أو هكذا توقع هو أن تأتيه، يوجد على الطاولة المواجهة له ظرف أصفر جديد مختوم بذلك الختم المميز، حمامة غريبة، أكثر شبهًا بالصقر، حمامة غير وديعة بالمرة، لا تحمل أي من أغصان الزيتون، فقط تحمل دائمًا أخبار غير سعيدة، دائمًا ما تزف بلونها الأحمر موعدًا جديدًا لدم يراق، هل ذلك الشمع مختلط نوعًا ما بدماء أو تعويذة سحرية تستجلب مزيدًا من الجثث؟ لا أحد يعلم.

جاءت المكالمة غريبة في أجزاء كثيرة لم يفهمها نادر، وتحتاج منه إعادة ترتيب للأحداث منذ آخر مرة اتصل فيها ذلك الغريب، يعيد نادر المكالمة في رأسه للمرة العاشرة ليجد أي شيء يبرر له بعض ما جاء فيها، ولكنه لا يجد أي شيء سوى أنه في منتصف طريق لا رجعة فيه إلا على جثته هو، ومن يريد أن يعود على جثته إلى مكان..؟

- ألو إزيك؟؟ أنت فين؟؟

- صوتك هادي المرة دي يا نادر، وبعدين من امتى في مواعيد لاتصالي؟ أنا بتصل بيك لما الوقت يكون مناسب.

• يعني إيه مناسب؟ ومناسب بالنسبة لمين؟ أنت متصلتش من بعد ما أشرف الجمل مات بأسبوع، مفيش حد معايا.

• ومين قالك إنك معاك حد يا نادر؟

• أمال أنت إيه؟

• أنا بوجهك من بعيد لبعيد، مساعدتي ليك بتخلص بالمعلومات اللي بديهالك، أكتر من كده أنا مش موجود، ده تارك أنت مش تار حد تاني.

صمت نادر قليلًا مستغربًا الكلام، ثم أردف قائلًا:

• خلاص وأنا مش عايز أكمل في القصة دي طالما مش فاهم حاجة منها، أنت مين وعايز إيه وبتساعدني ليه؟ طالما مش فاهم يبقا بلاش أصلًا، القصة كلها..

• وأنت يهمك أنا مين وبساعدك ليه في إيه؟ وبعدين قلت ليك قبل كده أنا فاعل خير، وعندي مصلحة هطلبها منك لما أخلص مساعدتي ليك، الموضوع بسيط جدًا، وبعدين معادش بمزاجك ترجع في اللي أنت مشيت فيه، الطريق في حالتك سكة واحدة مفيهاش رجوع يا نادر بيه يا شوربجي.

- بس أنا عايز أفهم..

- وليه لازم تفهم؟ أنت كده مستريح أكثر على فكرة، بتنتقم لأبوك بإيدك وأنت حاطط رجل على رجل، أنت بتوصل للي قتلوا أبوك بدون أي عناء، مش ممكن تعتبر ده مساعدة كمان؟ وبعدين تعالى أقولك حاجة، أنا مش سايبك لوحدك، أنا بساعدك في حاجات كثير، قطع الكهرباء مثلًا، فيديوهاتك في الفندق، الجثة في كالتشيوا، احنا علطول حواليك ومحدش هيقدر يوصلك متقلقش، أنت بس ركز في اللي أنت بتعمله.

- طب أنت ليه بتخليني أنا اللي أقتلهم طالما قادر توصل ليهم بسهولة؟

- بطل أسئلة ساذجة يا نادر، أنت أعقل من كده، ليه أحارب في حرب مش بتاعتي؟ أنت عندك سبب تنتقم، أنا معنديش، اعتبرني بساعدك ترجع حقك.

- بس أنا مش مطمن.

- إنك تطمن مش حلو علشانك، طول ما الإنسان خايف بيكون أحسن له.

- طيب ليه عصام العجمي ده مردش عليا بعد ما أشرف الجمل مات؟

- مين عصام العجمي أصلًا؟

- الراجل اللي لاقيت اسمه ورقمه جوه الظرف، وقولتلي هيساعدني.

- نادر أنت كويس؟ أنت تقريبًا موت أشرف الجمل أثر عليك. عمومًا أنا متأكد إنك هتبقا كويس، افتح الباب هتلاقي الظرف على عتبة الشقة، كل حاجة هتحتاجها فيه، وأنت عارف الباقي.

- يعني إيه متعرفش مين عصام العجمي؟ أنت اللي خلتني أكلمه! وهو اللي قالي هلاقي الجمل فين وأمته وأزاي هوصله؟!

هنا أغلق المتصل الخط، وألقى نادر الهاتف إلى جانبه مستغربًا ومتفاجئًا من أن ذلك المتصل لا يعرف عصام العجمي، فلو لم يعرفه هو من يعرفه غيره؟

أفاق نادر من هذه الغيبوبة المؤقتة، نظر تجاه الظرف الذي لم يفتحه حتى الآن، قام من مكانه متجهًا إلى المطبخ، فتح الثلاجة بحثًا عن علبة بيرة ولكنه لم يجد أي منها، فقام بإحضار بعض من الثلج في كوب، واتجه إلى الصالة مرة أخرى ورمى بجسده على الأريكة بعد أن وضع

الكوب المملوء بالثلج على الطاولة، على رغم من الحرية التي صاحبته بعد انتهاء المكالمة، ولكن هناك شيء ما يسعده ويشعره بفرحة هو نفسه لا يعرف سببها، كم هو غريب تكوين الإنسان، خليط من المشاعر المعقدة من كل شيء يكون في حالة حنق ثم سعادة في أقل من ثانية، إنها دائمًا الهرمونات، مد نادر يديه إلى زجاجة "platinum" وفتحها وألقى ببعض ما فيها في جوفه من الزجاجة مباشرةً، ثم سكب في الكوب المملوء بالثلج حتى امتلأ وكأنه يشرب أحد المشروبات الغازية، ثم سحب الظرف وعاد به للوراء وفتحه على مهل وكأنه يفتح هدية ما جاءه بها أحد أصدقائه، سحب الورق في هدوء متأملًا إياه، بحث عن الاسم كمن يبحث4 عن رقم حظه في ورقة اليانصيب، حتى وجده، هو نوعًا ما يعرفه، أو شاهده مرة ما في إحدى حفلات المجتمع.

محمد سليمان الألفي، أحد أكبر المستثمرين المصريين في مجال البترول، يمتلك أكثر من تسع حفارات داخل وخارج مصر، سافر بعض الوقت إلى جنوب أفريقيا في بداية التسعينات، وعاد وهو يمتلك حفارين، وسرعان ما توسع في العمل عن طريق علاقاته القوية برجال الدولة، هو شخص لا يحب الظهور الإعلامي، فلا يذكر أن له أي حديث إذاعي أو تلفزيوني أو مقال حواري في أي من الصحف المصرية، هو لا يفضل أن يطل اسمه بأي شكل من الأشكال، فهو يفضل وضعه هكذا في الظل، فهو رجل المهمات الخاصة والسرية، وهذا ما دعاه لأن يعمل دائمًا في السر دون أن يهتم بحب أضواء الشهرة المحملة

بالمشاكل دائمًا، كان سليمان الألفي يمول الكثير من المؤتمرات الشعبية للحزب الوطني، ولكن لم يسبق له أن حضر أي منها، كان سليمان الألفي صديق دراسة قديم لكمال الشوربجي, نشأ معه في منطقة بين السرايات، والتحقا بالجامعة في نفس العام، كان كأخ كبير لكمال الشوربجي حيث كان الألفي أكبر بسنتين، وكانت شخصيته بشكل ما أقوى بين أقرانه، ولكن "البيزنس" والسلطة في بعض الأوقات يلزمان الشخص بأن يضع العواطف جانبًا، كمال الشوربجي أخطأ عندما شعر أنه يستطيع رفض عرض الشراكة مع أحد أبناء الرئيس بسهولة، وأن الموضوع سيمر مرور الكرام، هو بالتأكيد لن يمر، فالكثير من الرجال يريدون التقرب من رأس السلطة ولو أريقت بعض الدماء، وكان الألفي هو الطريق الأسهل للقضاء على الشوربجي، حيث أنه الصديق الأقرب إليه ويعلم عنه كل تفاصيل حياته.

أنهى نادر ما جاء في الظرف حتى آخر كلمة، ولكنه لم يجد بطاقة لعصام العجمي، ذلك القصير، في الظرف، من سيساعده هذه المرة في الوصول لسليمان الألفي؟ الأمر يبدو مستحيلًا حتى مع هذه المعلومات التي جائت في خاتمة الظرف.

أمسك نادر بصورة سليمان الألفي متأملًا فيها بتركيز، ولكنه ابتسم فجأة وكأن شيئًا ما خطر بباله، ثم وقف فجأةً وتحرك إلى غرفته ليرتدي ملابسه، متجهًا إلى شخص ما يعتقد أنه يستطيع مساعدته نوعًا ما، ثم يذهب لكالتشيوا حتى لا تغضب شيرين منه.

(5)

- وشك منور.

ألقاها محمد شاكر مازحًا مع فؤاد الهواري وهو يدخل من باب القسم، حيث كان محمد خارجًا من أحد المكاتب في الدور السفلي، ضحك فؤاد، ولكنه حاول أن يضبط نفسه سريعًا، فقال:

- اخرس خالص لحد ما نطلع فوق يا محمد بيه، وانطلقا عبر السلم الموجود في آخر الممر، صعدا إلى الأعلى، مشيا قليلًا في ممر طويل ينتهي بغرفة فؤاد الهواري آخر غرفة إلى اليمين، وقف العسكري تحيةً لفؤاد الهواري قائلًا:

- حمد لله على السلامة يا باشا. رد قائلًا:

- الله يسلمك يا سيد، هاتلي كوباية شاي. هنا قال محمد شاكر:

- وأنا كمان يا سيد. فرد فؤاد قائلًا:

- متجبلوش حاجة يا سيد. وفتح سيد الباب لفؤاد الهواري، فدلف إلى الداخل فؤاد ومحمد، ذهب فؤاد إلى خلف المكتب في حين جلس محمد أمام المكتب وأخرج علبة سجائره وسحب منها سيجارة تبغ وناول أخرى إلى فؤاد، أشعل سيجارته ومد يده إلى فؤاد ليشعل له هو الآخر سيجارته.

نظر محمد ناحية فؤاد ضاحكًا، قال له فؤاد:

- اخلص عايز تقول إيه؟ فرد محمد:

- أنا؟ مين قال إني عايز أقول حاجة؟

- أنت قاعد قدام ظابط مباحث، يعني أعرف إمتى عايز تقول إيه، وإمتى معندكش كلام.

- لأ أصل يعني سيبت الدنيا تضرب تقلب، وخدت أجازة أسبوع ولا في بالك، أنت ما صدقت تقرير الطب الشرعي بتاع فوزي عبد المجيد جه وخلاص سلمت ليه واقتنعت؟

- مش الفكرة، بس أنا لسبب ما حاسس إنه يستحق اللي حصله هو واللي زيه.

- من امته واحنا بنحاسب يا فؤاد؟!

- أنا مقولتش إني بحاسب حد، بس عندك أي خيط يودينا لسكة غير اللي قولتلك عليها دي؟؟

- لأ معنديش.

- اتصالحت أنت وسلمى؟

- وبقينا زي الفل الحمد لله، شكرًا يا محمد إنك رجعتها.

- بتشكرني على إيه؟ أنت صاحبي وهيا أختي ده واجبي، بس متزعلهاش تاني، سلمى طيبة بس لسه صغيرة وأنت عارف ده كويس.

- لأ خلاص مفيش زعل تاني إن شاء الله.

هنا طرق باب الغرفة، فأذن فؤاد الهواري للطارق بالدخول، دخل سيد يحمل صينية عليها كوبين من الشاي، فضحك فؤاد قائلًا:

- برضه جبتله شاي يا سيد؟ أنت بتخالف التعليمات يا عسكري؟ فرد سيد:

- أرجعه يا باشا خلاص. فهز فؤاد رأسه ضاحكًا وأشار إليه بأن يضع الصينية على الطاولة، استأذن للخروج، رفع محمد كوب الشاي وشرب منه ثم سحب نفس من سيجارته والتفت ناحية فؤاد قائلًا:

- سمعت أنت حوار أشرف الجمل اللي مات في الأسانسير ده؟

- آه سمعت، بيقولوا أزمة قلبية.

- بيقولوا كده, بس غريبة قوي يا أخي كلهم بيقعوا فجأة ورا بعض.

- يا عم يمكن يتعظ غيرهم ويمنعوا شرهم عن الناس.

- مفتكرش يا فؤاد الفلوس بتعمي الناس.

- بس أنت شايفها عادية كده؟

- قصدك إيه؟ شبهة جنائية يعني؟

- معرفش، كل الأخبار بتقول إنه هبوط عادي في الدورة الدموية نتيجة بقائه فترة كبيرة في الأسانسير، وتقريبًا جتله أزمة ومات.

- يبقا زي ما مكتوب لو في حاجة كنا عرفنا، هو مين اللي شغال في القسم هناك في المهندسين؟ شريف الكومي لسه هناك؟!

- آه تقريبًا.

- خلاص يا عم يبقا متقلقش، شريف الكومي واعي ومفيش حاجة بتعدي عليه.

- أنا قولت كده برضه.

- صحيح على ذكر القواضي، وأنا في الأجازة اتصل بيا واحد من الجوازات بيقولي إن محدش دخل البلد باسم أخينا اللبناني، واتصلت بالفندق أقولهم ازاي يعملوا حجز لحد من غير ما يعرفوا معلومات

عنه، قعدوا يتحججوا بميت حجة أهيف من بعض، بس اديت لمدير الفندق اللي فيه النصيب. تلاقيه عنده تبول لا إرادي دلوقتي.

- إيه ده وسلمى سابتك تشتغل في البيت؟

- لأ كانت نايمة الصبح، وأنا خلصت المكالمتين دول في السريع، علشان متقولش إني في البيت ومش شايف شغلي يا عم محمد.

- يا باشا هو أنا أقدر، يلا أسيبك بقا وأروح أشوف شغلي.

وقف محمد متأهبًا للخروج، ولكنه جلس مرةً أخرى وعلى وجهه علامات التفكير، ثم نظر ناحية فؤاد الذي كان مستغربًا إياه، مما دعاه ليقول له:

- مالك يا محمد؟ فرد محمد قائلًا:

- أنا أفتكرت إيه اللي مخليني مستغرب حوار أشرف الجمل ده.

- إيه خير إن شاء الله؟

- أصل أنا مستغرب إن برج زي برج الأمير اللي لسه مبني جديد وسعر الشقة فيه الشيء الفلاني ميكنش في أسانسير مش متوصل بمولد كهرباء خاص يوصلك لدورك حتى لو الكهرباء مقطوعة.

- وأنت أيش عرفك أصلًا بالموضوع ده؟ وليه لازم يبقا فيها يعني؟

- فؤاد الشقة هناك في البرج معدية الـ8 مليون.

- إيه؟ أنت بتهزر!

- وههزر ليه في حاجة زي دي؟ بس بجد ده محيرني جدًا.

- يا عم ولا يحيرك ولا حاجة، أنت عارف الحرامية كتير في بلدنا، والحرامي بيقع مع الحرامي، تلاقيهم جايبين أسانسير أي كلام.

- على قولتك فعلًا، تلاقيهم جايبين أسانسير أي كلام، يلا أنا ماشي بقا.

- يا ريت علشان ورايا شغل كثير وأنت معطلني.

- طيب يا فؤاد، أنا اللي غلطان إني رجعتلك سلمى.

- اطلع بره.

خرج محمد من الغرفة، وبعد أن أغلق الباب نظر فؤاد للباب وقال بصوت مرتفع:

- 8 مليون يا كفرة؟ 8 مليون؟

الفصل العاشر

(1)

يصل نادر إلى أحد المباني الإدارية الموجودة في التجمع الخامس، يهبط من سيارته يرفع عينه إلى الأعلى ليلمع في عينيه حرفين بارزين في واجهة المبنى، مكتوب أسفلهما "الشركة العربية الأمريكية للخدمات البترولية"، يرتدي نادر نظارته الشمسية ويهز رأسه قائلًا:

- يا رب ألاقيه فوق، ويحرق التكنولجيا اللي بتضيع الأرقام من الموبايلات، تحرك نادر بهدوء ولكن بحماس نوعًا ما إلى العنوان والشخص الراغب في مقابلته، هشام فهمي مدير قسم التسويق في الشركة،التي تعتبر من أكبر الشركات في الخدمات البترولية في العالم، يصل نادر إلى مكتب الاستقبال ليجد تلك الحسناء مصرية الملامح خلف المكتب، يسألها عن هشام فهمي، فتخبره بصوت ناعم عذب:

- ميستر هشام فهمي مدير الشركة لازم تقبله بمعاد يا فندم. فيهز نادر رأسه ويخلع نظارته مع ابتسامة بسيطة وأسلوب مهذب تعود عليه في عمله قائلًا:

- أنا ممكن أستنى لو ينفع تكلمي مكتبه وتبلغيه إن نادر الشوربجي موجود تحت، أنا صديق قديم له، بلغي مكتبه بس أنا متأكد من ده. وأخرج نادر من جيب بدلته بطاقة تعريف شخصية ووضعها أمامها بهدوء قائلًا لها:

- حلو استايل شعرك ده، أنت كنت جامعة أمريكية شكلك كده. فهزت رأسها قائلة:

- لا أنا الألمانية. فهز كتفيه قائلًا، وأظهر ملامح استغراب قائلًا:

- غريبة! أنا كنت فاكر إن بنات جامعتي أحلى بنات في مصر، فابتسمت بخجل ظاهر، وأردف نادر قائلًا:

- أنا هستنى هناك. وأشار إلى زاوية الانتظار.

الشركة من الداخل حالها كأغلب الشركات الأجنبية في مصر في السنوات الأخيرة، تلك الشركات التي تخلق نوعًا من الطبقة الاجتماعية الفوق متوسطة، في ظل انتهاء عهد الطبقة المتوسطة، يخلق نوع جديد من الطبقات ليست هي الأغنى، ولكنها شيء ما يضمن البقاء والحدود، شركات مليئة بالمتحدثين بالإنجليزية طلاب الجامعات الخاصة المترامية في المدن الجديدة، الجميع يرتدي حُلل كاملة، مظهرهم الرائع شبيه بالإعلانات التلفزيونية، مباني بواجهات زجاجية كبيرة، لها دلالة عملية على أن أعمالكم منجزة دون أي شوائب، نحن في خدمتكم ومعكم، ليس لدينا ما نخفيه عنكم، فأنتم العملاء المميزون في الشركات المميزة، على العكس تمامًا من مبانينا الحكومية القائمة في مباني خرسانية نوافذها شبيهة جدًا بنوافذ السجون، لا ترسل إلا دلالة واحدة:"الداخل مفقود والخارج مولود".

يتجه نادر إلى الزاوية البعيدة بعد أن حصل على رقم إلكتروني يضيء عندما ينتهي طلب العميل من مكتب الاستقبال، يوجد على أحد أحواض النباتات علامة لمنع التدخين ولكنها صغيرة جدًا, أعطى ذلك لنادر فرصة جيدة لإخراج كيس التبغ ولف سيجارة سريعة ليوم غريب، وما أجمل التبغ في الأيام الغريبة، هو في الأساس خلق لذلك.. أو هكذا يشعر نادر دائمًا، فلولا الأيام الغريبة والأمور المستعصية فلا فائدة للتبغ، أشعل نادر السيجارة وبدأ في سحب أنفاس النيكوتين بشراهة واستمتاع إلى أن رأى أحد رجال الأمن يتجه إليه بسرعة، لم يكترث نادر وأدار وجهه للناحية الأخرى واستمر في التدخين وكأن شيئًا لم يكن، وصل رجل الأمن قائلًا في عصبية:

- يا فندم التدخين ممنوع، نظر نادر باستغراب، وقال:

- إيه ده بجد؟ أنا مشفتش أي علامة تدل على إنه ممنوع في أي مكان. هنا أشار الرجل إلى حوض الزهور قائلًا

- أهيه يا باشا، فرد نادر قائلًا:

- بذمتك دي حد يشوفها؟ هاتوا واحدة أكبر وبعدين تبقوا كلموا الناس. فهز الرجل رأسه بالإيجاب قائلًا:

- تمام يا فندم، بس حضرتك اطفي السيجارة دلوقتي. في هذه الأثناء رن الرقم الإلكتروني، فقام نادر وسحب نفسه الأخير ورمى عقب السجائر المتبقي على الأرض واتجه ناحية مكتب الاستقبال.

- مستر هشام بيقول لحضرتك اتفضل.. شكلك صديقه جدًا لأن ده مبيحصلش في الغالب مع أي حد. فابتسم نادر قائلًا:

- هشام صاحبي جدًا من زمان. فوقفت الفتاو قائلةً"

- تحب أوصل حضرتك للمكتب؟ فأخبرها:

- بالتأكيد أكون سعيد جدًا. اتجها إلى المصعد الموجود ناحية مكتب الاستقبال على اليمين حيث يقع السلم الرئيسي إلى الخلف منه، ضغطت الفتاة على زر المصعد طالبًا إياه.

وهما في المصعد نظرت الفتاة إلى نادر قائلة على فكرة التدخين ممنوع وشوفتك وأنت بتبص على حوض الزهور. لم يكترث نادر بالموضوع واكتفى بالابتسام، وصل نادر إلى غرفة هشام فهمي، هنا التفت للفتاة قائلًا:

- خلاص كلميني نتقابل يوم. فنظرت له وقالت:

- لأ، كلمني أنت. وأعطته الكارت الخاص به مرة ثانية مدون عليه رقمها واسمها، زينة. نظر نادر للكارت وألقى ابتسامة ودلف إلى داخل الغرفة.

وقفت السكرتيرة قائلة:

- مستر نادر.. مستر هشام في انتظارك. وأشارت إلى الباب، دخل نادر عبر الباب ليجد هشام جالسًا على مكتبه ينجز بعض الأعمال، أصلع الرأس، قوي البنية، له بطن منتفخة، قام متجهًا إلى نادر واحتضنه، وبدأ كل منهما في الحديث عن شوقه للآخر وكيف أنهما منذ مدة لم يلتقيا، ثم سرعان ما قال هشام لنادر:

- بس إيه المفاجأة الحلوة دي؟

- مفيش كنت قريب هنا لمحت مكان مقر شركتكم الجديدة، دخلت أسأل على مدير التسويق هشام فهمي طلع بقا هو المدير فرحتلك والله يا إتش.

- الحمد لله حصل شوية لخبطة في الشركة كده والحمد لله أنا عملت اللي عليا، فرع الشركة الرئيسي أو زي ما تقول الشريك الأمريكاني قال هشام يبقا مدير، والحمد لله زي ما أنت شايف، بس استنى ومتاخدنيش في دوكة تشرب إيه؟

- لأ والله مش قادر يا هشام.

دار بين نادر وهشام حديث مطول عن ما جرى آخر ثلاث سنوات في حياتهما، واستغرب فهمي أن نادر لم يتزوج شيرين حتى الآن، تحدثا عن وضع البلد وعن آخر الأحداث، وعن وفاة أشرف الجمل، وعن كل شيء حتى قاطعه نادر قائلًا:

- صحيح.. تعرف سليمان الألفي؟

- محمد سليمان الألفي بتاع البترول؟ آه أعرفه طبعًا ده الغول يا معلم مين ميعرفوش؟

- ليك تعامل معاه؟؟

- هو شخصيًا لأ، بس شركتنا بتتعامل مع شركاته جوه وبره مصر.

- إزاي أوصله؟

- وأنت عايزه في إيه ده يا عم؟ ابعد عنه ده خالص.

- شغل لو عملته معاه أطلع فووق قووي وهيساعدني كثير.

- بص هو صعب أوصلك له، بس هحاول ألاقي سكة، مع إنه مستحيل بجد، هو مبيقعدش جوه مصر أصلًا.

- طب والعمل؟

- معرفش هدورلك على سكة.

ثم صمت فهمي قليلًا وقلب بين أوراقه قائلًا:

- تصدق أنت ابن حلال! في حفلة قريبة شركته دعتنا ليها، عادة بيكون موجود، بس بدور على الدعوة كانت هنا علشان أعرف المعاد ثانية كده. ثم رفع الهاتف وهاتف السكرتيرة، وبعد أن أغلق الهاتف نظر له قائلًا:

- آخر الأسبوع يوم الخميس. فرد نادر:

- ده بعد بكره يعني.

- إيه ده بجد؟ الواحد من كتر المشاغل مبقاش مركز في أيام الأسبوع بقت كلها شبه بعض، والله يا نادر ساعات بنزل شغل الجمعة.

- ربنا يكون في العون يا هشام.

- خلاص كلمني وعلى معادنا بعد بكرة.

- طب هات رقم تليفونك لأن التليفونات القديمة كلها راحت من عندي.

فمد هشام يديه إلى المكتب وسحب كارت شخصي، وكتب عليه من الخلف رقمه الخاص وأعطاه لنادر.

خرج نادر من باب المصعد في الدور الأول ومر على مكتب الاستقبال الواقع ناحية اليسار منه. نظر إلى زينة فابتسمت له وابتسم، وأشارت له بيدها بأن يهاتفها. التفت إلى الجهة الأخرى ليجد علامة كبيرة لمنع التدخين قد وضعت ناحية صالونات الانتظار، فخرج من باب الشركة وهو يردد

- الناس ده خلقها بقا ضيق قوي.

(2)

- هاتلي واحد مارتيني خوخ يا أشرف.

نظر له أشرف وهو يحضر الكأس ويقوم ببعض الحركات البهلوانية بزجاجات الخمور في الهواء، كنوع من أنواع الترفيه للعميل. ثم أردف قائلًا:

- إيه يا نادر بيه جاي بدري إنهارده، مش بعاده يعني، ده لسه ساعتين ثلاثة على بال ما الشباب يجوا والمكان يدزحم بالناس. حرك نادر الكرسي الدوار ناظرًا للمكان فارغ تمامًا إلا من بعض العاملين هنا وهناك، ينظفون المكان ويهتمون بجميع التفاصيل ككل ليلة، ثم نظر إلى أشرف قائلًا:

- عادي لقيت مش ورايا حاجة قولت أعدي عليكم، وأدهم مدكور هيعدي بعد شوية. ضحك أشرف ولكنه كتم ضحكته ونظر للأرض وهو يلمع أحد الكؤوس، فقال له نادر:

- مالك يا أشرف كاتم ضحكتك ليه؟!

- عادي يا باشا أصل أنت وأدهم يعني.. وصمت فأردف نادر قائلًا:

- أنا عارف قصدك بيننا مشاكل وخناقات من زمان، بس يا راجل يا طيب على رأي المثل ساعة المصالح النفوس بتتصالح.

هنا ابتسم أشرف في الوقت الذي كان يضع أمام نادر كأس المارتيني، ثم قال:

- اسمحلي يعني بس حضرتك مبتتسامحش، ملامحك بتقول كده، أنت مش من الأشخاص المؤمنة بالغفران والتسامح، أنت عدوك بيفضل عدوك، ممكن تستغرب كلامي بس أنا سنين شغال في بارات من أصغر وأحقر بارات لأكبر بارات، أنا سافرت بره واشتغلت هناك سنين، وصحبة الكاس عودتني أشوف الناس بشكل تاني، يمكن أكثر ما هما بيشوفوا نفسهم، لأن أغلب الناس لما بتشرب يا أستاذ نادر بتبقا على حقيقتها.

رفع نادر الكأس إلى فمه وأنزله، وشرع يشعل سيجارة كان قد لفها في وقت سابق، ثم قال:

- أنت شايفني ازاي بقا يا أشرف؟

• حضرتك شخص من بره هادي ومنضبط في انفعالاتك، بس جواك حاجة دائمًا مخبيها، في جواك جزء ناقص بتدور عليه, جواك اثنين، واحد فيه شر ملوش آخر والثاني خير، بس المشكلة الخير في طبيعتك قشرة خارجية، متزعلش مني مقصدش إنك شخص شرير، وأنت عارف ده كويس، بس فيك حاجة بتخليك دائمًا عايز تنتقم من أي حد يتعرضلك أو يقلل منك، مبتسمحش حد دائمًا عندك حرب

بتخوضها جوه نفسك، عارف يا نادر بيه الجري ورا الانتقام مبيوصلش لشيء، غير إنك بتخسر نفسك.

صمت نادر قليلًا، ثم ضحك بطريقة هستيرية، ثم هدأ ونظر ناحية أشرف وخرج منه صوت مختلف تمامًا، وكأن المتحدث ليس نادر، قائلًا:

- طب ولو أنت خسرت نفسك من زمان؟

في هذه الأثناء دخل أدهم شقيق شاهايناز مدكور، فتحرك نادر ناحية طاولة في آخر الصالة، وتحرك أدهم بدوره إلى نفس الجهة، نظر له نادر قائلًا:

- اقعد يا أدهم، تشرب إيه؟

- أشرف عارف أنا بشرب إيه وهيجبلي دلوقتي.. أنت عايز إيه؟

- أنت عارف أنا عايز إيه؟

- صعب يا نادر.. اللي بيجبلي طلبك مفتكرش عنده تاني. أنت بتحتاجه في إيه؟؟

- هيفرق معاك؟ أنت بتجبلي طلبي وبتاخد طلبك.

تململ أدهم قليلًا من طريقة نادر، ثم قال:

- بس زي ما قولتلك صعب.

- مفيش شيء صعب عليك، عايز تزود السعر؟

- مقصدش كده يا نادر، أنا مش محتاج فلوس وأنت عارف.

- عارف بس ده بيزنس.

- طيب اديني فرصة هكلمه تاني، الفكرة إنه مبيجبوش أصلًا، المرة اللي فاتت جابهولك مخصوص.

- اللي يجيب حاجة مخصوص بيجيب منها حبة كمان للي طلب، لأنه عارف انه هيطلب تاني.

- هتحتاج امته طلبك.

- بكره زي دلوقتي.

- صعب.

- حاول.

- خلاص سيبها عليا وأنا هحاول أجيلك منه تاني.

- شكرًا.

في هذه الأثناء يقوم أدهم راحلًا وهو يقلب في هاتفه، رفعه إلى أذنه ليجري حديثًا ما، مر الوقت سريعًا، وبدأ المكان في الازدحام، حتى وصلت شيرين وشاهيناز وجميع أصدقائهم، الوضع لم يكن ودي بين نادر وشيرين، هي تتجنب النظر إليه، وشاهيناز تحاول أن تجد طريقة ما ليجمعهما حديث واحد، حاولت كثيرًا إلى أن بدأ الكلام بينهما ولكن بحذر ثنائي قتلة محترفين في اتجاههم لهدف ما.

- هتفضلي متضايقة كثير..؟!

- أنا مبتضايقش يا نادر.. براحتك أنت حر في حياتك.

- أنتِ حياتي.

- أنت مصدق نفسك يا نادر؟

- آه مصدق جدًا وأنت مصدقاني، أنا عندي شوية لخبطة، هتتحل ونبقا كويسين علطول.

- أنا معرفش مالك، إزاي بتقول بتحبني وأنت حتى مش عايز تقولي مالك؟؟

- لأن مش كل حاجة بتتحكي.

- أنا حبيبتك وبتخبي عليا.

- لأنك حبيبتي عايزك تبعدي عن كل حاجة تخص حياتي في الفترة دي.

- نادر أنت بتعمل حاجة غلط.

- أنت بتسألي السؤال ده هيفرق معاكي؟ هو إيه في حياتنا صح؟

- قولي لو أقدر أساعدك.

- تساعديني بطريقتي إنك تتفهمي بُعدي وأي حاجة بتحصلي الفترة دي.

- مأقنعتنيش.

- شيرين مفيش ست بتقتنع بكلام راجل.. يا حبيبتي.

- سيبني أفكر.

- التفكير في كلامي ملوش لازمة.. اسمعي مني علشان نوصل لمكان نبتدي في صح.. من غير أي مشاكل.

- خلاص تمام يا نادر بس افتكر إني موجودة لو احتاجتني.

- عارف إنك موجودة دائمًا علشاني.

انتهى الطرفين من الحديث وعادا للحديث مع الجميع والشرب وتبادل أخبار السوق.. حتى جاء موعد الرحيل.. فخرج الجميع من كالتشيوا واتجهوا إلى سيارتهم.

مشى نادر قليلًا إلى أن وصل للمكان المصفوفة فيه سيارته، وصل إلى باب السيارة، وفتحه ودخل إلى السيارة وأدار المحرك، وقبل أن تتحرك السيارة، فتح الباب في الجانب الآخر فنظر نادر بخوف وفزع، فرأى ذلك الشخص القصير الأصلع، عصام العجمي، وبعد أن ألقى عليه بعض السباب للطريقة التي دخل بها إلى السيارة، قابله عصام بهدوء تام، وصمت حتى انتهى من سبابه، فنظر له عصام قائلًا:

- خلصت شتيمة؟ ده بدل ما تعزمني على كيلو كباب حلاوة موت الجمل؟ فنظر له نادر قائلًا:

- أنتم هتشتغلوني يا ولاد الكلب؟ أنا أقول للزفت اللي بيكلمني عصام العجمي يقولي مين عصام العجمي؟ وأنت فجأة تظهرلي وعادي جدًا ولا كأن في عندك مشكلة.

- أنت بتتعب نفسك ليه بأسئلة ملهاش لازمة؟

- كلكوا بتقولولي نفس الجملة، أمال مين اللي لازم يسأل لو مليش حق في ده.

- أنا يا عم فاعل خير.. ملكش دعوة بقا بساعدك تبع مين؟ وليه؟

- طب ليه هو قالي إنه ميعرفكش.

- هو مين يا نادر بيه؟!

- هو يا عم أنت اللي بيكلمني، نظر له عصام باستغراب ثم قال:

- متشغلش بالك بقا بالكلام ده يا أستاذ نادر وخلينا في المهم.

- إيه المهم.

- المهم سليمان الألفي.

- وأنت عرفت منين طالما بتقول إنك متعرفش اللي بيكلمني.

• أنا معرفش حد غيرك يا نادر بيه.

• أنت مين طيب..؟؟

• أنا عصام العجمي يا بيه.

• طب أنت مين بتشتغل إيه؟

• برضه بتسأل أسئلة كثير ملهاش لازمة.. اسمعني دلوقتي.. سليمان الألفي عادةً مبيحضرش حفلاته لحد آخرها.

• وأنت عرفت منين إنه بيحضر لحفلة؟؟

أشعل عصام سيجارة وفتح الشباك لاستنشاق الهواء ثم أردف قائلًا:

• بص يا بيه سؤال واحد كمان وهسيبك وامشي.

هنا صمت نادر ولم يتكلم وأطرق مستمعًا لعصام..

• سليمان الألفي بيعمل حفلته في فيلا على طريق مصر إسكندرية. الحفلة بتتعمل في حديقه الفيلا. سليمان الألفي بيحضر جزء منها وبعدين بيطلع مكتبه لحد ما تخلص الحفلة لأنه مبيحبش التواجد في وسط الناس، أنت بقا هتطلع مكتبه.. محدش بيطلع معاه فوق.

• أكيد في أمن.

• الأمن مبيمنعش حد يدخل الفيلا، محدش بيروح الحفلة غير بدعاوي، والدعاوي مبتروحش لأي حد فبيكونوا مآمنين إن محدش خطر.

• وأنا هجيب منين الدعوة؟؟

• نادر بيه على عصام برضه؟ أمال أنت روحت لصاحبك بتاع البترول ليه؟ هشام فهمي.

وهنا فتح عصام الباب ونزل من السيارة، ثم أطل بوجهه قائلًا متضحكش عليا تاني يا نادر بيه، علشان هتحتاجني كثير.

• لو عايزك أجيبك منين؟

• أنا اللي هجيلك يا باشا، متتعبش نفسك.

(3)

تقف سيارة نادر أمام بوابة حديدية ضخمة متصلة بسور عملاق مليء بالزخرفات ومضاء على طوله، يقلب في شاشة هاتفه باحثًا عن رقم هشام فهمي، صديقه ومدير شركة الخدمات البترولية الكبيرة، حتى وجده مرر إصبعه على الرقم، صدرت صوت لجرس الهاتف مرة ثانية حتى صدر صوت من الطرف الآخر، قال نادر

- أنت فين يا هشام؟ رد عليه قائلًا:

- أنا خلاص داخل عليك. أغلق نادر هاتفه، وما هي إلا لحظات حتى وصلت سيارة هشام فهمي.

دخل نادر عبر بوابة القصر الكبير كان القصر يبعد عن البوابة المسافة الكافية لأن ترى القصر بهيئته الكاملة، قصر كبير مليء بالأنوار في كل مكان، مبني على الطراز الأندلسي، تصميمه آسر لكل من يراه، تحيط به حديقة كبيرة من كل مكان بها أشجار مرتفعه ونخيل، يوجد إلى الأمام منها مسرح كبير معلق عليه أنوار براقة وزحام واضح، اتجه نادر وهشام تبعًا للإرشادات إلى موقف القصر، سلما سيارتهما لأحد العاملين المسؤلين عن ركن السيارات، وترجلا من سيارتهما، ألقى كل منهما السلام على الآخر واتجها إلى مكان الحفل.

المكان مزدحم للغاية بعلية المجتمع في جميع المجالات، وذلك يظهر من ملابس كل المدعوين سواء رجال أو نساء، ألقى هشام فهمي التحية على بعض المدعوين ودار بعض الكلام هنا وهناك، في تلك الأثناء كانت عينا نادر تدوران في المكان بحثًا عن سليمان الألفي ولكن لم يصدف أن رآه في وسط هذا الازدحام، اتجه كلٌ من نادر وهشام إلى البار وطلبا مشروب، ووقفا على أحد الأطرف نظر هشام إلى الجمع من بعيد قائلًا:

- انهارده زحمة قوي عن كل مرة.

- أنا حاسس فعلًا إن الدنيا زحمة جدًا.

- غريبة! عادةً مبيعزموش العدد ده، بس يمكن علشان بقالهم فترة مفيش حفلات فعزموا ناس كثير، بس الغريبة إن محمد الألفي مظهرش لحد دلوقتي.

هنا سمعهم رجل البار فرد قائلًا:

- تقريبًا هو هيتأخر شوية، ده اللي سمعته من الأمن، لأنه جاي من المطار على هنا علطول، أصله كان في أسبانيا.

فنظر نادر وهشام إليه وابتسما شكرًا له على هذه المعلومة القيمة.

عادا للحديث حول عمل نادر وأخبار أسهم البورصة ووضع البلد، ثم عادا مرة أخرى إلى وسط الجمع، في هذه اللحظات وصلت سيارة محمد سليمان الألفي، نزل منها رجل كبير في السن ولكن له جسد صحي نوعًا ما، بدأ الناس في التوجه إليه واحدً تلو الآخر للسلام والتحية، انتظر هشام ونادر حتى هدأ الناس حول سليمان فتوجها إليه.

ألقى هشام التحية عليه ثم عرف الألفي على نادر، وتبادلا حديثًا طويلًا نسبيًا حول بعض الأعمال وحول سوق البترول عالميًا، كان هشام فهمي على علاقة جيدة بالألفي، وكان بين شركاتهم حجم عمل كبير، استأذن هشام فهمي من محمد الألفي طالبًا منه موعد خاص لصديقه نادر لعرض بعض الأعمال عليه، هز الألفي رأسه موافقًا وأخبره بأن يأخذ موعدًا من سكرتيرته خلال الأيام القادمة لأنه سيسافر قريبًا إلى إحدى الدول العربية، ثم سيتجه إلى لندن.

شكره هشام فهمي وابتعد هو ونادر بعد أن أخذ نادر موعده من السكرتيرة الإنجليزية التي لا تتركه في أي مكان.

رحل كل من نادر وهشام إلى وسط الزحام، ولكن عيني نادر لم تتركا الألفي للحظة، حتى تاه عن الأنظار، في هذه اللحظة علم نادر أنها لحظة البدء، أخبر هشام بأنه ذاهب للحمام، واتجه إلى مبتغاه، دخل

عبر باب الفيلا حيث وجد عليه رجلا أمن يقفان ببزاتهما يرسلان ابتسامات للجميع، خاطبه أحدهما قائلًا:

- عايز الحمام؟ فرد نادر قائلًا:

- آه. فأشار له بأنه في الأمام إلى اليمين، دخل نادر إلى القصر، كان كبير جدًا من الداخل مليء بالأنتيكات في كل مكان، ويظهر على أثاثه البذخ، اتجه نادر إلى الحمام، في أثناء ذهابه كانت عيناه تبحث عن السلم في كل مكان حتى وجده في الداخل، سلم كبير شرقي منقسم إلى سلمين يتجه كل منها إلى الأعلى، ولكن يقف أسفلهما بعض الأشخاص، لم يقدر نادر على تبين هل هم من العاملين أم الحراسة أم مدعوون عاديون حيث يرتدي الجميع البزات الرسمية، وصل نادر إلى الحمام ولكنه لاحظ وجود مصعد في إحدى الزوايا البعيدة نسبيًا، أو هكذا هيء له، دخل نادر إلى الحمام، وقف أمام المرآة الكبيرة، وتقدم ناحية صنبور المياه ذو المقابض الذهبية، أدار أحدها فبدأ الماء بالاندفاع، مد يده وملأهما بالماء وغسل وجهه الذي قد بدأ في الانصهار بفعل التوتر، أغلق الصنبور ونظر نظرة أخيرة إلى نفسه واستعدل من مظهره، وانطلق خارجًا إلى مبتغاه، وصل إلى حيث خيل إليه أنه مصعد، وبالفعل وجد زرًا إلى أحد الجوانب، ضغط عليه.. وصل المصعد إلى الطابق الأرضي ودلف نادر إلى داخله، وانطلق إلى الدور الأول حيث مكتب سليمان الألفي، خرج نادر على حذر متأملًا المكان، خوفًا من وجود أحد في الجوار، ولكن المكان هادئ بشكل مريب.

ممر طويل مظلم إلا من إضاءات بسيطة قادمة من فتحات مربعة في الحوائط، الممر به بعض المرايا والأنتيكات المعلقة على الحوائط في كل مكان، يوجد كرسيان ذهبيان في إحدى الزوايا القريبة من المصعد، بينهما طاولة قصيرة القوائم، تقدم نادر إلى حيث يظهر نور من إحدى الغرف في آخر الممر، تقدم بحذر وهدوء وخوف لم يشعر بهما في المرات السابقة التي كانت أسهل نسبيًا من هذه المرة، ولكن لا مكان للرجوع للخلف، فقط التقدم بهدوء للقدر المكتوب.

وصل نادر إلى الغرفة حيث يأتي الضوء، كان الباب مفتوح قليلًا فتأمل نادر داخل الغرفة قبل الدخول، فلاحظ خوائها من أي شخص، فتح نادر الباب ودلف إلى داخل الغرفة، الغرفة واسعة.. بها مكتب كبير.. ومكتبة بها كتب كبيرة ذات أغلفة جلدية سميكة من الواضح أنها للزينة، يوجد صالون كبير داخل الغرفة مكون من أريكة وأربع كراسي بينهما طاولة كبيرة، يوجد إلى الناحية اليسرى مدفأة عملاقة يوجد بالقرب منها طاولة عليها بعض أنواع الخمور، وصل نادر إلى منتصف الغرفه باحثًا عن مبتغاه، باحثًا عن سليمان الألفي، ولكنه لم يجد أحد، الغرفة خاوية تمامًا، شعر نادر للحظات بخيبة الأمل وأن الوضع أصبح أكثر تعقيدًا، ولكن ما عساه أن يفعل، إنها الأقدار، وما زال في عمر الألفي بقية يعيشها في وسط هذا الثراء الفاحش.

قرر نادر مغادرة الغرفة بسرعة فوجوده لا داعي له في هذا المكان، التفّ نادر للخروج وإذا بسليمان الألفي واقفًا خلفه مباشرةً، هنا

تسمر نادر وكأن أحد قد صب عليه نهر النيل كاملًا حتى آخر قطرة، وقف مشدوهًا لا ينطق، ابتسم سليمان الألفي وذهب ناحية الطاولة الموجود عليها زجاجات البراندون والويسكي، والتفت ناحية نادر المتسمر في وسط الغرفة قائلًا له تشرب حاجة؟ لم يجبه نادر ولا بكلمة، صب كأسين من الويسكي واتجه ناحية نادر فناوله أحدهما، فأخذه نادر في صمت، اتجه سليمان إلى أحد الكراسي حتى وصل إلى إحداها وجلس، ثم أردف قائلًا:

- أنت شايف إنك تطلع لحد هنا ده شيء عادي؟ أنا عارف إنك شاب ومتحمس وأكيد عايز تتكلم في بيزنس ممكن يفيدك، وأنا كنت زيك في شبابي عندي نفس الجرأة ونفس النشاط اللي عندك، بس دلوقتي كبرت وبقيت بكره المتطفلين. كان نادر في هذه الأثناء بدأ في الإفاقة من صدمته واتجه بهدوء إلى كرسي قريب من سليمان وجلس عليه، ونظر ناحيته بهدوء متأملًا إياه، ثم رفع الكأس ناحية فمه وشربه دفعةً واحدة، ثم قال له:

- تشرب كاس تاني؟ لم يتردد سليمان الألفي وناوله الكأس، هنا قام نادر واتجه إلى الطاولة حيث تتراص الزجاجات وقوالب الثلج، صب له وصب سليمان كأسين وعاد، فناوله أحدهما، وجلس إلى أحد الكراسي ثم قال:

- أنت جبت ثروتك دي كلها منين؟ اشتغلت وتعبت ولا سرقت؟

- حتى في السرقه في تعب وإجهاد، في حرامي كل طموحه عشرة جنيه وفي حرامي طموحه ميت ألف، وفي حرامي مليون، كل واحد بيتعب بشكل معين، اوعى تفتكر إن في شيء بيجي بالساهل، زيك كده، في تحت ربعمية شخص تقريبًا أنت الوحيد اللي جاتلك الشجاعة تطلع هنا لأن عندك طموح إنك تغامر علشان توصل على ما أعتقد، شكلك بيقول كده.

- يعني أنت حرامي؟؟

- أفتكر إن واحد زيك في البيزنس والسوق عارف إن مفيش حاجة اسمها حرامي، في حاجة اسمها عقلك شغال، وتقدر تكسب. .ثم رفع الكأس إلى فمه وشرب قليلًا مما فيه، ثم أردف قائلًا:

- - أنا هديلك فرصة تعرض عليا الشغل اللي أنت جاي فيه، ودي فرصة مبتحصلش غير مرة في المليون على فكرة.

- ومين قالك إني جاي في شغل..؟؟

كان سليمان ينزل الكأس للمرة الثانية من فهمه حين صدمه قول نادر، فالتفت إليه قائلًا.

- أمال أنت جاي ليه؟

عيب لما يكون واحد زيك بخبرتك الطويلة في الدنيا متعرفش أنا
ـاي ليه؟ أنا سمعت كثير عن ذكائك وإنك رجل دماغك توزن بلد.

فهمتك.. بس ليه؟

أنت متعرفش ليه.. يمكن لأنك عملت حاجات كثير تخليك
ـعرفش ليه ممكن حد يقتلك؟ للدرجادي جرايمك كثير؟

أنت ممكن تشوفها جرائم.. أنا بشوفها كانت ضروريات.

ضروريات تقتل ناس.

ضروريات توصل لأهداف وبالحظ بيجي ناس في النص. أنا عارف
ـ مش ذنبهم بس ده قدرهم. بس أحب أعرف أنت جاي بتنتقم ولا
ـت جاي قدر ليا زي ما أنا كنت قدر لناس ثانيين.

أنا الاثنين على ما أعتقد. بس أنت مستسلم كده ليه؟؟

لأن اللي وصل لسني وفي مكاني شاف موت كثير. وبقا عارف شكله
ـارف النهاية.

بدأ سليمان في التعرق بشدة والسعال، وبدأ وجهه أكثر صفرة من الطبيعي، ولكنه ما زال بحالة يستطيع معها الإدراك والفهم، ووجه لنادر حديثه مبتسم الوجه:

- مش ناوي تقول لواحد ميت أنت بتقتله ليه؟

- أنا اسمي نادر كمال الشوربجي، ابن كمال الشوربجي، الاسم ده مبيفكركش بحاجة.

- كمال الشوربجي كان صاحبي زمان قبل ما يموت في الثمانينات.

كان الكلام بدأ في الخروج بصعوبة من فم سليمان الألفي الذي وقع الكأس من يديه، وهو يقول في رمقه الأخير:

- بس برضه أنت بتقتلني ليه؟

- لأنك قتلت أبويا، الموضوع بسيط جدًا يا سليمان بيه.

- أنا مقتلتش حد.. كمال كان صاحبي.

- مش عيب واحد بيموت يكذب.

- قول لنفسك الكلام ده، ليه واحد بيموت هيكذب عليك؟

قالها سليمان وكانت آخر ما تفوه به. انتابت نادر قشعريرة في جسده مع آخر ما تفوه به سليمان.

- ازاي مقتلتش أبويا..؟ ذهب إليه محركًا جسده بكلتا يديه قائلًا:

- إزاي مقتلتش أبويا؟ انطق إزاي؟ أمال مين قتله؟

في تلك الأثناء سمع نادر صوت خطوات أقدام خارج الغرفة. فتحرك باحثًا عن مكان للهرب قبل أن تصل تلك الخطوات المقتربة من الغرفة.

- اليوم ده مش هيعدي على خير. هكذا ردد نادر وهو ينتقل إلى غرفة الاجتماعات القريبة المطلة على الغرفة الكبيرة من خلال باب جانبي كان نادر قد لاحظه أثناء حديثه مع سليمان.

(4)

جلس إلى كرسيه الهزاز مشعلًا غليونه واضعًا كتاب ما على قدميه، يرتدي نظارته الحمراء القوائم، يرفع فجأة رأسه للأعلى.. يخلع نظارت القراءة ويخاطب نادر قائلًا: - أنت يا قاهري، فينظر له نادر، ذلك الطفل الجالس إلى كتاب ما وقلم وورقة ينهي واجبًا يوميًا من واجبات المدرسة المنهكة، قائلًا له:

- ماذا تريد يا دكتور كولين؟ نظر له كولين بتأمل واضح ثم أردف قائلًا:

- أتتذكر ذلك البارون البلجيكي الذي حدثتك عنه وعن قصره الذي أنشأه في منطقة هيليوبلس؟

نظر نادر لدكتور كولين قائلًا:

- هل أنت متأكد أنك أخبرتني شيئًت عن ذلك الرجل البارون؟

تململ دكتور كولين ثم أردف قائلًا:

- أه سامحني يا صديقي إنه السن، بدأ يترك أثره على عقلي المنهك، المهم هناك شيء ما استوقفني في قصة ذلك القصر المهجور بعد موت صاحبه.

- وما هي هذه القصة يا دكتور ؟؟

- أولًا أريد أن أخبرك عن ذلك البارون البلجيكي، البارون إمبان "إدوارد إمبان" الذي قدم إلى مصر في نهاية القرن التاسع عشر على متن إحدى سفنه التي رست في قناة السويس، وعندما هبط إلى مصر أغرم بها وقرر أن يعيش بها ما تبقى من حياته، بل ووصل به الأمر إلى حد أنه قرر أن يدفن في مصر. طلب البارون إمبان أن يحصل على أرض في منطقه صحراوية تقع بين القاهرة والسويس وقرر إنشاء قصر يصبح حديث الجميع في هذه البلد الرائعة، ولكن الموضوع لم يكن بتلك السهولة. بعد بحث طويل وجد البارون ضالته على يد المعماري "ألكسندر مارسيل" صاحب هذا التصميم البديع الجامع بين العمارة الأوربية وبين العمارة الهندوسية، ولكن لم يكن ذلك فقط ما يميز القصر. بل إن أكثر ما يميز القصر هو برجه الغربي المرتكز على قاعدة تدور به مع حركة الشمس فلا تغيب عنه الشمس طوال النهار. هذه الفكرة المبهرة والمميزة في ذلك الوقت فاقت روعت وجهاته بما فيها تماثيل لأفيال عملاقة تحمل شرفات المبنى، وتنانين خرافية تطالعك في كل مكان، فأنت إذا اقتربت منها دائمًا ما تلحظ أنها تتبعك بنظرها، إلى تلك التماثيل الخاصة بآلة هندوسية تعزف الناي ولها عدة أذرع في رمزية عن صفات الإله، كان للبرج سلم خشبي حلزوني رائع يأخذك لدور السطح، ولكن ليست هذه القصة التي أود أن أطلعك عليها في الأساس.؟؟

- إذًا ما هي القصة؟ على الرغم من أن هذه القصة ممتعة أيضًا.

• القصة هي الانتقام يا نادر، أتعلم يا صديقي أن حتى الأرواح تنتقم لأصحابها؟ خلف هذه الروعه يا نادر المحيطة بالقصر كان هناك ألم دائم لساكنيه، ألم في النفوس على الرغم من حياة البذخ الظاهرة للعيان، البارون إمبان ولد بإعاقة في قدمه اليمنى صاحبته حتى الكبر مما أضفى عليه بعض الصفات القاسية في طبعه، حيث لم يكن ودودًا في التعامل مع الآخرين ، ويذكر أنه عندما كان يسير في إحدى المرات في حديقة القصر وقع مغشيًا عليه، وجلس كلبه ينبح طوال الليل ولكن لا يقترب أحد من البارون إلا بأوامره، لذا ترك ملقى في الساحة حتى طلع النهار ونهض من مكانه، كان للبارون تصرفات أكثر غرابة من ذلك، فقد حرم على أمه وأخته هيلانة أن يقتربا من الغرفة الوردية الموجودة في السرداب والتي تربط بين القصر وبين قبر البارون في كنيسة البازيلكا، مما ترك في قلوبهم نوعًا من الألم من ذلك الابن والأخ، ولكن أكثر القصص إيلامًا هي قصة وفاة هيلانة أخت البارون التي كانت في طريقها لسطح القصر في أحد الأيام قبل المغرب بقليل، فتحرك البرج في حركته الدائرية حول قاعدته الدوارة فسقطت في السرداب وصرخت كثيرًا، ولكن لم ينجدها أحد، فلم يسمعها سوى البارون الذي عجز عن الوصول لها بسرعة لعجز قدميه عن الحركة بسرعة فلم يستطع إنقاذها، أتعرف يا نادر أن ذلك البرج منذ ذلك اليوم لم يدر مرة أخرى، ولو لمرة، لقد توقف تمامًا عن الدوران، هل هذه مصادفة؟! أنا لا أعتقد ذلك، هناك بعض العلماء لا يؤمنون بهذه القوى الخفية للأرواح المعذبة ولكن هل تستطيع أن تتجاهل هذه

المصادفة بسهولة، وتضع قدم على الأخرى قائلاً أنك غير مقتنع وفقط، لا أعتقد ذلك، بل إني أذهب أكثر إلى فرضية أن هذا القصر لفظ البشر جميعًا ولم يعد باستطاعته إيواء آخرين بعد وفاة البارون، أرواح هذه الأسرة لم تستطع ترك هذا القصر بسهولة، فكلها كانت تحمل ألمًا بشريًا خالصًا، وبعد موتها فرغت للانتقام من كل مَن يقترب من عالمهم الصغير في قصرهم الهادئ.

• دكتور كولين، لماذا تحدثني بهذه القصة الآن؟ أنا أعرفك منذ طفولتي هناك شيء ما وراء كلامك؟!

• ما أريد قوله يا نادر أن الإنسان في كل صوره قوي حتى عندما يصبح رفات بشرية يظل لروحه دور في أخذ حقها وثأرها إن كانت حقًا تريد ذلك، الله خلقنا أقوياء، ولكننا نحب الضعف لأنه أكثر راحة لنا.

نظر له نادر متأملًا إياه ثم قال:

- فقط؟؟!! هذا ما تريد قوله؟

• نادر أنت ولد ذكي ولن أستطيع أن أخدعك أكثر من ذلك، أنا أعلم أنك ستكشف أمري وستصلك الأخبار قريبًا، السيدة ماري قررت أن تعيدك إلى أرض وطنك قريبًا جدًا، ابتسم نادر قائلًا:

• هذا ما كنت أنتظره منذ مدة.. يا دكتور.. هذا ما كنت أنتظره.

(5)

صوت طرقات على باب الغرفة. يرفع فؤاد الهواري رأسه ناحية الباب قائلًا:

- ادخل. يفتح محمد شاكر الباب ويدلف إلى الداخل سريعًا، تظهر عليه علامات القلق وكتمان شيء ما والتوتر، ينظر له فؤاد قائلًا:

- من امتى بتخبط على الباب وأنت داخل؟ متعودتش عليك محترم.

- معرفش بقا يا فؤاد في خبر جالي مخلي راسي تلف.

- مالك خير إيه..؟؟

- جالي من شوية واحد طلب مقابلتي، لما دخل عليا لاقيته شاب في عمرنا كده وعرفلي نفسه، هو دكتور في البحث الجنائي، ووضحلي إنه وهو بيفحص دم فوزي عبد المجيد لاقى مادة سميّة اسمها السيالين، المادة دي أنا فاكر عنها شوية معلومات من أيام الكلية، كانت بتستخدمها المخابرات الأمريكيه لقتل أهداف بعينها. ماده سائلة ملهاش طعم ولا لون، شوية منها قادرة توقع ثور في خمس دقائق.

- وده ممكن تستخدم إزاي؟

• ممكن باللمس، وممكن تتبخر في الغرفة، وممكن في أي شيء بيتشرب.. الموضوع بسيط في استخدامها بس محتاج حذر.

• يعني فوزي عبد المجيد في شبهة جنائية في موته.

• آه بالظبط كده.

حك فؤاد رأسه بالقلم ونظر ناحية محمد قائلًا:

- خلاص هنفتح التحقيق تاني ونشوف هيوصلنا لأيه.

• الموضوع أكبر من فوزي.. أنت سمعت قريب عن موت سليمان الألفي.. اللي لاقوه واقع في أوضة مكتبه في قصره على طريق مصر - إسكندرية؟؟

• الراجل ده بتاع البترول صح؟؟

• هو بعينه.. الراجل ده السكرتيرة بتاعته شكت إن ممكن جاله تسمم بفعل أي مشروب من اللي شربهم، وعليه تم برضه فحص الدم ولقوا الماده ده في دمه.

• عندنا قاتل بيلف عليهم ويصطادهم.

• بس ليه..؟ إيه علاقت فوزي عبد المجيد بسليمان الألفي يا فؤاد؟؟

- معرفش بس طالما في أداة واحدة يبقا الشخص واحد، وقاصد إنه دائمًا يشغلنا ويخلينا نروح لبعيد، بس ليه البحث الجنائي مطلعش تقاريره كده؟؟

- الدكتور اللي جالي بيقولي جتلهم أوامر من فوق إن الموضوع ميستهلش ويقفلوا على القصص دي كلها البلد مش مستحملة.

- والدكتور ده الوحيد اللي عنده أمانة وحب يعرفنا، مش ممكن صاحبك ده محدوف علينا وعايز ياخدنا في سكة ثانية ويشغلنا عن حاجة معينة.

- مممم، معرفش بس كلامه يستحق التفكير يا فؤاد، وهو عندي في المكتب ممكن أروح أجيبه.. بتفكر في إيه؟؟!!

- فاكر الجمل.. أشرف الجمل، ليه ميبقاش هو كمان اتقتل والموضوع مش مجرد توقف في عضلة القلب..؟

- أنت ليه جه في بالك الشخص ده دلوقتي؟

- لأن موت الأشخاص ده بيجي ورا بعضه بشكل يخلق القلق، بس طالما معندناش شكوك غير شوية قلق يبقا مكنش لينا نتكلم، بس بما إن عندنا معلومة ممكن نبني عليها كثير.. بس الأول هاتلي الدكتور ده لما نشوف حكايته.

تحرك محمد شاكر مسرعًا إلى غرفته، ولم تفت دقائق إلا وكان قد عاد لاهثًا لغرفة فؤاد، فنظر له فؤاد قائلًا:

- ملقتش الدكتور.. قال للعسكري عندك إنه رايح الحمام ومرجعش؟؟

- بالظبط كده.. بس سهل هنسأل عليه في البحث الجنائي.

- متتعبش نفسك افتح التحقيق تاني، واطلب الجثث تتشرح مع إني عارف إن أهاليهم هيعترضوا ومحدش هيساعدنا من اللي فوق، بس نبقا عملنا اللي علينا، ولو على الأقل مكسبناش يبقا محدش استغفلنا.

- الموضوع صعب؟!!

- فوق ما تتخيل، بس لو حتى مرضيوش أنا أعرف أجيب تحاليل دمهم من المستشفيات اللي اتنقلوا ليها، اضربلنا بقا شوية أوامر نيابة بقا علشان منقعدش سنة عقبال ما يوافقولنا، وشوفلي المادة ده مين بيدخلها مصر.. وبتدخل إزاي أصلًا.

- يا باشا مادة إيه؟ المادة دي مستحيل تدخل أصلًا، ده سلاح كيماوي معرفش مين ابن الكلب ده اللي دخلها.

- في بلدنا ولاد الكلب كثير يا محمد بيه.

الفصل الحادي عشر

(1)

- آخر مرة كنت هتروح فيها.

- ربنا ستر.

- كان لازم تبقا أسرع من كده.. لو وقعت محدش هينقذك.

- أنت موجود.

- قولتلك قبل كده أنا مش في الحسبة دي كلها، ده موضوع يخصك أنت وبس.

- بس أنت مش هتسبني، أنا متأكد من اللي بعد كده.

- طريقتك اختلفت وبقيت مستعجل على القتل.

- لأ مستعجل أخلص.

- زهقت مني.

- لأ قرفت من نفسي.

- وعايز تكمل؟

- مفيش رجوع، أي شيء بتوصل لنصه لو مكملتوش يبقا بتقضي على نفسك وأنا معنديش سبب يخليني أقضي على نفسي.

- بقيت أذكى.

- لأ بقيت متبلد المشاعر أكثر، القتل بيجمد القلب تقريبًا.

- اتعلمت إيه من اللي قتلتهم؟؟

- إن الإنسان ساعة الموت ضعيف.. لأنه دائمًا عنده حسابات مفتوحة ولسه مقفلهاش.

- بتحب شيرين؟؟

- إيه دخل شيرين بموضوعنا؟

- سؤال عادي!!

- أفتكر إجابته متهمكش، شيرين بره كلامنا، أي حد يخصني بره كلمنا.

- قولتلك بقيت أشجع.

- لأ بقيت فاهم أكثر أنا بعمل إيه.

- اللي جاي أسهل.
- كل اللي قبل كده كان سهل.
- عجبك القتل..؟؟
- اللي بيقتل مرة بيتعود وأنا قتلت ثلاثة بقا عندي مناعة.
- بتحب شيرين؟؟
- فين الملف؟
- مع حبيبتك.
- حبيبتي مين؟؟
- شيرين.. أنت عندك غيرها؟
- أنت ابن كلب.. ووسخ.
- في تابلوه العربية.. باي.. وهتندم على اللي قلته ده.
- أنت بجد ابن كلب ووسخ، أنت ابن زانية.

كان الهاتف قد أغلق من الطرف الآخر، ولكن نادر لم يفرغ بعد من سب ذلك الشخص، تنبه نادر على صوته المرتفع الذي جعل كل العملاء وزملائه في العمل ينظرون ناحية غرفته الزجاجية. وقف نادر متجهًا إلى واجهة مكتبه وأغلقه بالستائر وقد بدا على وجهه الحنق الشديد. رفع هاتفه وحاول السيطرة على نفسه وتدارك الموقف محدثًا شيرين، رن الهاتف عدة مرات ولم يرد أحد، عاود الاتصال مرارًا وتكرارًا ولكن في كل مرة لا يجيب أحد، لم يسع نادر إلا أن هرع خارجًا من مكتبه متجهًا إلى وسط البلد حيث مقر شركتها، هي بالتأكيد هناك في ذلك الوقت.

المسافة بعيدة ما بين القرية الذكية ووسط البلد، كل الأفكار دارت في ذهن نادر وهو يقطع الكيلومترات وتقف السيارة به في الزحام، ويواصل الاتصال بها أكثر من مرة ولكن لا جدوى فلا مجيب، هل وجدت الملف الأصفر، شيرين عادة ما تستخدم تابلوه السيارة كثيرًا، تضع فيه بعض زجاجات العطر المفضلة لديها، كما أنها تضع علبة سجائرها فيها لأنها حتى الآن لا تحب أن تدخل المنزل وعلبة السجائر معها في حقيبتها، هي ترى أنه في ذلك احترامًا لأهلها، كانت الأفكار تدور دورتها الطبيعية في عقله بسرعة ألف كيلو متر في النصف ساعة.

اقترب نادر إلى حيث شركة شيرين في وسط البلد، ما هو إلا شارعين مزدحمين والبحث عن موقف للسيارة وحل الأمر بالتأكيد، سيجدها ويخبرها أنه يريد شيئًا ما من سيارتها، يتحجج بأي شيء، سيقول مثلًا

إن سيارته بلا استبن ويريد منها استبن سيارتها، شيرين لن تصدقه، هو يعلم ذلك، ولكنه سيتعامل ببرود تام مع ذلك الأمر،، هل هناك حل آخر؟

يصعد على درج ذلك المبنى القديم في وسط البلد، حيث السلالم تظهر عليها عوامل الزمن، المصعد متعطل كالعادة، وكيف له أن لا يعطل؟ عمره أقدم من بعض الدول الوليدة، وصل نادر لباب الشركة، دلف إلى الداخل متجهًا لغرفه شيرين، ولكن توقف على صوت السكرتيرة، مدام شيرين مش موجودة يا نادر بيه.

- هيا فين؟؟

- متصلتش من الصبح وكلمتها مبتردش يا نادر بيه. هنا فقد نادر السيطرة على نفسه وعلى صوته وصرخ:

- يعني إيه مديرة مكتبها ومتعرفيش هيا فين؟؟

- ده مش شغلتي يا نادر بيه، وأنا مش المديرة علشان أسألها هيا فين وبتروح فين، أنا موظفة عندها، حضرتك اللي ليك الحق في ده مش أنا.

قالتها متهكمةً على نادر وكأنها ألقت إليه بكرة مشتعلة، وهو يقف أمامها مصدومًا غير قادر على الكلام.

هنا ظهر صوت في الخلفية قائلًا:

- إيه؟ صوتكوا واصل للشارع.. أنتِ مخصوم منّك يومين علشان تعرفي تتكلمي تاني بصوت هادي، نادر تعالا ندخل جوه.

دخل نادر إلى غرفة مكتب شيرين، اتجهت إلى مكتبها وجلست خلفه في هدوء مشعلةً سيجارة قد أخرجتها من علبة موجودة في حقيبتها، هنا وقع قلب نادر في قدميه، وقد علم أن أمره قد فضح، فجلس أمامها صامتًا منتظرًا أن تفتح الموضوع، يجلس كذبيحة تقطر دمًا وتلعن الكون كانت طامعةً في مكسب قريب قبل أن تنتهي حياتها..حتى لمح شيء يستحق السؤال.

- شيرين ده مارلبورو.. أنت مش بتشربي بيرلمنت.

- آه بس مش موجودة في الكشك اللي تحت وجيت متأخرة زي ما أنت شايف وده اللي لاقيته، العلبة خلصت امبارح، آخر سيجارة شربتها قبل ما أوصل البيت.

هنا تنفس نادر الصعداء وقال لها:

- هاتي مفتاح عربيتك.

- عايزه ليه؟ أنت إيه اللي جابك هنا الصبح أصلًا، أو السؤال الصح إيه اللي جابك هنا أصلًا، أنت مبتعديش عليا في الشغل كثير؟؟

- جاي أصبح عليكي.

- ومفتاح العربية جزء من الصباح.

- هسرقها.

- تعملها.هههههههههههه

- واطية.

- واطية بس أحافظ على عربيتي.

- هاتي المفتاح.

- أي حاجة هتقل هبلغ الشرطة.

- واللي يزيد.

- نقسمه مع بعض يا جميل.

أخذ نادر المفتاح وخرج من المكتب وحدج السكرتيرة بنظرة شماتة ،وهبط عبر السلم متجهًا لسيارة شيرين، وصل نادر إلى حيث السيارة فتحها، فتح بسرعة تابلوه السيارة، ولكنه لم يجد شيئا يذكر، خرج من السيارة على عجل، ليجد شيرين واقفةً خلفه قائلة:

- أنت بتدور على ده؟ كانت شيرين تمسك المظروف الأصفر في يديها، نظر لها نادر متعجبًا قائلًا:

- أنت لاقيته؟؟

- آه يا نادر.. لسه مش ناوي تقولي في إيه بقا؟ مين الناس اللي بتبعتلك الظرف ده، أنا مفتحتوش، بس افتكرت علطول لما لاقيته إنك كلمتني قبل كده عن حد بيبعتلك ظرف أصفر، والحد ده وصلي يا نادر، يعني ممكن يئذيني وأنت مبتنطقش، مش كل شيء في حياتك ليه علاقة بيك أنت وبس على فكرة.

نظر لها نادر واتجه إلى يديها وأخذ الظرف، ورحل في صمت. ووقفت شيرين قائلةً له:

- نادر.. رد عليا. أنت مخبي عني إيه؟ نادر في مرة مش هتلاقيني معاك طول ما أنت كده، كان نادر لا يمتلك ما يقوله لشيرين سوى الصمت والرحيل، الرحيل لذلك الموسم الذي بدأ قريبًا في المدينة، موسم القتل اللذيذ.

(2)

لم يفت وقت طويل إلا وكان نادر محتضنًا أوراقه بين يديه يقرأ تفاصيلها بتمعن وشغف، كطفل حصل على لعبة جديدة ويود أن يعرف طريقة تشغيلها ليشرع في الاستمتاع بها في أقرب وقت.

دكتور محمد الشوادفي صاحب مستشفيات المركز الطبي المتخصص العالمي، صديق كل من كمال الشوربجي وأشرف الجمل ومحمد الألفي والدكتور الشخصي لعائلة كمال الشوربجي لفترة طويلة قبل وفاته، وأكثرهم ترددًا على منزل كمال الشوربجي بحكم عمله كدكتور شخصي للعائلة، كان دور محمد الشوادفي مقتصرًا على تمرير تقرير طبي لا يلفت الأنظار لأي شيء غريب في قضية مقتل كمال الشوربجي، لم يرد ذلك في البداية، ولكن كل شيء يتغير عندما تضع المصالح أمام نفوس البشر الضعيفة، كان العرض مغريًا جدًا، شراكة في مستشفى خاصة في وقت كانت هذه الفكرة بعيدة عن عقل محمد الشوادفي، أخذ الموضوع وقتًا طويلًا حتى اقتنع، ولكنه في النهاية رضخ لرغبتهم ولرغبة نفسه الطامعة في الحياة القادمة، لم يستطع محمد الشوادفي نسيان ما حصل لكمال الشوربجي لفترة طويلة مما جعله يسافر لإحدى الدول الأوربية لفترة قصيرة وعاد إلى القاهرة بعد ذلك وافتتح مستشفى خاص على أعلى مستوى، عاد ليجني ثمن مساهمته البسيطة في قتل صديقه وأحد مرضاه ولو حتى بالصمت والتدليس.

محمد الشوادفي يرقد الآن في غرفة 306 كمريض في مستشفاه التخصصي، مريض بسرطان الدم، لا يبرح مكانه في المستشفى، يعمل ويقود أصرحته الطبية من هذه الغرفة. الوصول له ليس أمر صعب في هذه المرة.

مرفق بالظرف صور لمحمد الشوادفي، هذه هي المرة الأخيرة يا نادر التي تخصك، القادم سيكون تسديدًا لمساعدتنا لك، أرجو أن تكون مستعدًا لذلك يا صديقي.

أغلق نادر الظرف ووضعه إلى الكرسي المجاور له في سيارته وبدأ في تأمل كلماته الأخيرة، المرة القادمة لنا يا نادر تسديدًا لمساعدتنا لك، يا ترى ما هذه المساعدة وما أبعدها وإلى أين ستأخذني، إذا كانت البداية قتل فما الذي يأتي بعد القتل؟ أي تضحيات ستطلب مني؟ هذا ما دار في عقل نادر قبل أن يدير محرك سيارته متحركًا إلى اللاوجهة، وإلي أين يتجه مع هذا الكم من الهراء المحيط به؟ وإلى أين يتجه إذا لم تكن وجهته إلى شيرين الغاضبة منه في هذه الأحيان؟ ولها كل الحق في هذا الغضب، ولكن عليها تعلم ما الذي يواجهه في هذه الأوقات العصيبة من حياته، ولكن كيف لأحد أن يشرح لشخص ما وحتى وإن كان قريبًا منه كل هذا العبث.

وصل نادر إلى حيث شقته في التجمع الخامس، هبط من سيارته متجهًا إلى شقته، كان رجل الأمن مسندًا رأسه على كتفه وغارقًا في

حالة سبات عميق كطفل، الوقت متأخر والفراغ يسيطر عليه الكآبة. لا يعلم نادر أين قضى هذه الساعات منذ ترك شيرين إلى أن وصل لمنزله، الوقت مر سريعًا ولكن بلا لون أو طعم، مر كموت بطيء، خرج نادر من باب المصعد ووصل إلى باب شقته، فتحه ليدلف إلى الداخل فسمع صوت تلفزيون في الداخل، توقع أنها شيرين قد أتت لتهدئة الأمور بينهم، ولكنه وجد ذلك القصير المنتفخ عصام العجمي.

- اتأخرت يا نادر باشا.

- وأنت مال أهلك.

- حد يدخل بيوت الناس كده.

- ما أنا ملقتكش طول النهار يا بيه، قولت أعدي عليك هنا..أكيد هتحتاجني.

- وأنت إيه عرفك إني هحتاجك؟

- قلبي دليلي يا نادر بيه.

- أنت مش قولتلي إنك مش معاهم.

- مع مين يا بيه؟ أنا مع ربنا..عدم لامؤاخذة.. آه أنا محبش يبقا حد فوقي.

دخل نادر إلى المطبخ وخرج بزجاجة بيرة في يديه, فنظر له عصام قائلًا:

- وأنا يابيه هو أنا كافر مليش يعني أشرب إزازة؟
- أنا مش هسألك دخلت إزاي.. لأني عارف إنك مبتغلبش.
- الله ينور عليك.
- بس سؤالي أنا هدخل إزاي؟

مد عصام يديه لنادر بكرنيه عليه صورته واسم مستعار مسبوق بلقب دكتور، وأردف قائلًا .

- ده كفيل يدخلك، كارت ممغنط يا نادر بيه، علشان القسم اللي قاعد فيه الدكتور مقفول عليه، اعتبره شقته ومسموح لدكاترة معينين يدخلوا علشان الكشف، الأدوية دي مواعديهم في الظرف ده، كده يا أبا أنا عداني العيب وأزح وعملت معاك السليمة، فين إزازة البيرة بقا؟
- ادخل المطبخ خدلك إزازة من الثلاجة.

جلس نادر إلى الأريكة وتلقف الظرف بين يديه وبدأ في قرائته وتبين مواعيده وتفاصيل الوصول إلى حيث محمد الشوادفي، ولكنه لم يتبين بعض المعلومات المكتوبه فرفع رأسه ونادى بعلو صوته:

- يا عصام يا عجمي.. عصام أنت يا جحش. ولكن لم يجب أحد، انتفض نادر من مكانه متجهًا إلى المطبخ حيث دخل عصام العجمي، ولكنه لم يجده! استمر في مناداته بصوت مرتفع ولكن لم يجبه، اتجه إلى الغرف الداخلية ولم يعثر عليه، اتجه إلى الحمام الذي تعثر في فتحه وكأن شيء ما يمنعه، ارتفع صوت نادر في مناداته ولكنه لم يجب، دفع نادر الباب بكتفه ولكن لم يجد أحدًا في الحمام أيضًا، إنها سجادة الأرض حالت دون فتح الباب، صاح نادر قائلًا:

- راح فين ابن الكلب ده؟ أنت يا عصام الجحش رد، أنت فين؟ ولكن لا حياة لمن تنادي، ذهب وكأنه تبخر.

(3)

الساعة تشير إلى الحادية عشر صباحًا، المستشفى على طريق الإسماعلية الدولي، الحادية عشر أنسب وقت لوصول نادر إلى المستشفى، حيث انتهى دكتور عماد الوكيل نائب رئيس مجلس الإدارة وطبيب الأورام من المرور على دكتور محمد الشوادفي، جناحه الخاص في الدور الأخير المطل على المساحات الخضراء الكبيرة في خلفية المستشفى العملاق، ذلك المستشفى الذي أصبح وجهة لكل الفنانين وأهل السلطة وذوي الثراء في السنوات الأخيرة، مصمم كالفنادق، يوجد به "ساونا" و"سبا" وحمامات سباحة وملاعب. أغلب غرفه على هيئة أجنحة فندقية، يوجد به فريق طبي ألماني الجنسية للحالات الخطرة، مستشفى لن ترى مثلها في مصر، فهي غير قابلة للمنافسة لأنها في حماية الكبار، لا يسمح بوجود غيرها على الساحة العلاجية.

وصل نادر إلى البوابة الرئيسية، توقف بسيارته أمام رجال الأمن، تحققوا من هويته وسبب الزيارة وسمحوا له بالدخول، وصل نادر إلى موقف السيارات المخصص وركن سيارته، نزل منها متجهًا إلى الباب الرئيسي للمستشفى، مبنى زجاجي ضخم وضع عليه شعار المستشفى بشكل واضح، المدخل مظلل بعوارض حديدة متشابكة في شكل هندسي بديع، يدلف نادر إلى داخل المستشفى، يوجد الاستقبال ناحية اليمين وممر طويل ناحية اليسار، كما هو موضح له في الظرف الذي أعطاه إياه عصام، يجب أن يتوجه ناحية الممر حيث توجد غرفة في

نهاية الممر على اليمين، وليست الأخيرة على اليسار، حتى لا يختلط عليه الأمر.

وصل نادر إلى الغرفة المكتوب عليها "للأطباء فقط". فتح نادر الباب ودخل إلى الغرفة، يوجد على اليسار واليمين خزانات كبيرة بلا أبواب، مثبتة في الحائط ومعلق بداخلها معاطف طبية بيضاء، ويوجد إلى الأسفل منها أكياس بيضاء يظهر أنها تلبس في الأرجل، ارتدى نادر أحداها وعلق "ID" الخاص به على المعطف، وانطلق خارجًا من الغرفة، في نفس الوقت كان الباب يفتح من الخارج.

حدجه الطبيب الذي قابله بنظرة استغراب قائلًا:

- أنت مين؟! أنت الدكتور اللي جاي قسم عظام جديد صح؟! من صدمة نادر هز رأسه مؤمنًا على كلامه قائلًا:

- صح.

نظر له الدكتور بنظرة فاحصة أكثر استغرابًا وأكمل قوله:

- بس في حاجة غريبة يا دكتور عمر.. مش اسمك عمر برضه؟ تقريبًا العيال بتوع الأي تي أو الإتش آر كتبوا القسم بتاعك غلط، علشان كاتبين عندك قسم تخدير، ومد يديه للسلام عليه قائلًا:

- ابقى خليهم يشوفوا الموضوع ده علشان محدش من الدكاترة الكبار يدقك، هنا كلهم خنقة وشايفين نفسهم.. بس هتنبسط. هز نادر رأسه وخرج من الغرفة محاولًا استعادة رباطة جأشه مرددًا في سره:

- مفيش اسم أحسن من عمر ده؟ عمر مين..؟ الله يخرب بيتك يا عصام الكلب.

مصعد العاملين يوجد إلى اليسار من الغرفة في نهاية الممر، ولكن عصام أورد في الظرف أنه من غير المستحب استخدامه، حيث أنه يقف دائمًا في أماكن خدمة الأدوار حيث تتواجد الممرضات، والممرضات إذا رأوا طبيبًا جديدًا لن يتركوه إلا وقد أفقدوه عذريته، هذا جزء من عملهم، لذا من الأفضل التوجه إلى المصعد الموجود في البهو الرئيسي، يقف نادر في المصعد محاطًا ببزات من أغلى الأنواع وفاتنات وكأنهم في طريقهم لحفل ما، الموضوع ليس غريبًا عليه ولكن الغريب أنه في مستشفى، نادر يكره المستشفيات عمومًا ولكنه بدأ في تغيير رأيه مع كل هذا الثراء الفاحش، دار في عقل نادر في هذه الأثناء أنه وبعد أن ينهي مهمته سيسأل عن البار الرئيسي ليتجه إليه لشرب بعض كئوس المارتيني، بالتأكيد في هذه المستشفى بار، هكذا قال نادر الجملة بصوت عالٍ نسبيًا، قبل أن يرن صوت صادر من المصعد كتنبيه لوصوله الدور المرغوب، فنظر نادر حوله ليتفاجأ أن الجميع قد نزلوا في أدوار سابقة ولم يشعر بهم، خرج نادر من المصعد، وتوجه

إلى الأمام حيث يوجد باب في آخر الممر، فيما وراء الباب يوجد مصعد إلى جناح محمد الشوادفي الخاص.

وصل نادر إلى جناح محمد الشوادفي المكون من صالة زجاجية كبيرة مطلة على الواجهة الخلفية للمستشفى، ويوجد غرفتان في نهاية الصالة الزجاجية، إحداهما غرفة نوم والأخرى مكتب صغير للقراءة وإدارة بعض الأمور، المكان معقم بشكل كبير، خطى نادر خارج المصعد متجهًا إلى الغرف في نهاية الصالة، ألقى نظرة إلى باب الغرفة إلى اليسار فتبين أنها غرفة نوم فارغة، ففتح باب الغرفة إلى اليمين، كان محمد الشودفي يقرأ بعض الأوراق أمامه حينما دخل نادر، رفع رأسه مسرعًا، قائل لنادر:

- أنت يا حيوان أنت ازاي تدخل من غير ما تخبط.

- اهدى كده وخاف على صحتك.
- أنا هجبلك الأمن يطلعوك من هنا يا كلب.
- متشيلش نفسك ذنوب في آخر عمرك يا دكتور شوادفي، كفاية ذنوبك.

هم دكتور الشوادفي في الوقوف ولكن ببطء نظرًا لحالته الصحية، فقال له نادر:

- اقعد يا دكتور بلاش تهور يا راجل يا كبارة، وتوجه له نادر ونكزه في كتفه فجلس في مكانه، وارتسمت على وجهه علامات الدهشة والخوف من تصرف نادر، الذي انتقل وجلس أمامه إلى المكتب.. ونظر له قائلًا:

- إيه يا دكتور؟ فكرك إيه أكثر شيء ممكن تعمله لو اتحركت من مكانك؟ هتصرخ؟ محدش هيسمعك، هتروح على جهاز طلب الممرضة اللي في أوضتك؟ وده على أساس إني هسيبك؟ أنا كنت فاكرك أعقل من كده.

- أنت مين وعايز إيه؟

- أنا مين؟ هقولك، بس عايز إيه؟ عايز روحك؟ بشكل أدق علشان الوقت، جاي أقتلك.

بدأ العرق يتساقط من جبين الشوادفي بسبب كلمات نادر.

- تقتلني؟ وازدرد لعابه، تقتلني ليه؟ أنا معملتش حاجة؟

- بالنسبه لمين بالظبط؟ أنت معملتش حاجة بالنسبة لنفسك، بص علشان منطولش على بعض، هقولك أنا مين، وأنت احكم هل موتك عدل ولا لأ، أنا نادر كمال الشوربجي.

بهتت عينا الشوادفي مع نطق نادر لاسم كمال الشوربجي، ثم أردف قائلًا:

- أنت ابن كمال، أنت مش كنت مسافر بره ومرجعتش؟ أبوك كان صاحبي طول عمره.

- لحد ما خدتوا أنتم عمره.

- مش فاهمك.

- لأ فاهمني.

- أنت فاكر إننا قتلنا أبوك؟!

- أمال مين؟

- أنا معرفش والله، أنت مش فاهم الموضوع صح، يا ابني أنت لسه صغير والعمر قدامك بلاش مشاكل قديمة تأثر عليك.

- وإيه دخل ده بإني أقتلك؟ وإيه دخل ده بموت أبويا؟ أنا كده كده بتسلى، وقتلك مش هيمنعني أكمل حياتي.

- هديلك فلوس.

- أنت من كل عقلك بتقولي كده، ما أنت عارف إن الموضوع ملوش علاقة بالفلوس.

- أنا كده كده ميت يا نادر.

- يبقى أنا بساعدك، أو ممكن تعتبرني عزرائيل اللي جاي ياخد روحك، بذمتك عجبك السجن اللي أنت فيه؟

وقف نادر في هذه الأثناء واتجه ناحيته، في تلك الأثناء انتاب دكتور الشوادفي الذعر وبدأ في الهلوسة بكلمات، مثل:"أرجوك.. سبني.. أنا ممكن أشرحلك.. أنا والله ما ليا دعوة بده كله يا نادر.. الموضوع كان أكبر مني.." الكثير من التوسل في ملامحه، والكثير من الابتسام على شفاه نادر، لم يفت وقت طويل إلا وكان الشوادفي قد فارق الحياة على كرسيه وبين أوراقه، تركه نادر مسندًا رأسه على كتفه وغادر الغرفة، خرج من جناح دكتور الشوادفي قبل أن تأتي له الممرضة في الساعة الواحدة ظهرًا لإعطائه الدواء، خرج باحثًا عن ذلك البار في هذه المستشفى، كي يحاول إخراج توسلات ذلك الكهل له بألا يقتله، لا يعرف نادر ما سر تمسك هؤلاء الشيوخ بالحياة بهذا الشكل، هو يساعدهم لكي ينهوا حياتهم بشكل مناسب، ولكنه الطمع في أيام أخرى، هذه الطبيعة الإنسانية البشعة.

(4)

جلس واضعًا أمامه ملفين فيهما أسماء اثنين من مستوردي الكيماويات المشتبه في سجلهما من حيث مخالفتهما المتكررة في إدخال المواد الكيماوية الممنوعة، وفي كل مرة يخرجان لعدم كفاية الأدلة، ولكن الحقيقة أنهما يخرجان كل مرة لإتلاف الأدلة وتبديلها, الأول حسام أبو الفضل، والثاني مجدي درويش.

يحرك فؤاد القلم بحركات نصف دائرية بحيث يرتطم في الطاولة، ويصدر صوتًا عاليًا وهو يطالع الملفين في انتظار وصول المشبوهين، يسمع صوت طرق على الباب، محمد شاكر يفتح ويدخل بصحبته المشتبه الأول حسام أبو الفضل، أشار فؤاد للمشتبه بالجلوس وذهب محمد إلى أحد الكراسي الجلدية في الزاوية يراقب من بعيد، بدأ فؤاد التحقيق، وبعد السؤال عن الاسم والسن والمسمى الوظيفي وهذه الديباجة الطويلة التي أملاها فؤاد.. قال بهدوء قاتل بعد أن أشعل سيجارته:

- تعرف إيه عن السريانين؟
- إيه ده يا فندم؟ معرفش عنه حاجة.
- أنت مش بتستورد مواد كيميائية؟

- آه بس مش مدرس كيمياء.

- أنت بتتلامض..؟ عارف لولا سنك كان يبقى لي تصرف تاني.

- أنا معرفش أنتم استدعتوني ليه أصلًا؟؟ وأفتكر إن وجودي هنا مش كويس علشان حد.

- احنا استدعيناك كتصرف روتيني لواحد سجله حافل بمخالفات تهريب مواد كيميائة ضارة ومسرطنة.

- مفيش إثبات على كلامك.. وأفتكر إني لازم أتصل بالمحامي بتاعي.

- الموضوع مش محتاج محامي.

- وأنا معنديش إجابة عن اللي بتسأل عليه.

- طب هسهلها عليك وعليا، مين ممكن يساعدني أجيب مادة زي دي؟

- كثير بيشتغلوا في الشمال، معرفش مين بالظبط السوق كبير.

حدجه فؤاد بنظرة فاحصة، وتأمل ثباته على الإجابات بشكل لم يعهده على أي شخص يدخل قسم شرطة وكأنه لا يأبه لهذا التحقيق برمته، قطع تفكير فؤاد قول حسام:

- ممكن أولع سجارة ولا بتضايقوا؟ وكأن هذه الجملة كانت سببًا مقنعًا للانقضاض على من بدأ يشعر بتوتر، وبدأ العقل في طلب بعض من النيكوتين لمعادلة هذا الشعور قبل أن يطفو على السطح، فباغته قائلًا:

- ممكن مجدي درويش يدخل مادة زي دي؟
- ممكن جدًا، مجدي قلبه ميت.. وبيعمل أي حاجة علشان القرش.
- مبتحبوش أنت؟
- يا باشا ما عدوك إلا ابن كارك، وهو سبب مشاكلي كلها.
- تقوم تلبسه قضية؟
- يا بيه أنت سألت وأنا جاوبت.
- تمام تمام، وهز فؤاد رأسه ودس سيجارته في قلب طبق فنجان القهوة أمامه، وأشار بيده قائلًا:
- خلاص استناني بره، وضغط زرًا بجانب مكتبه فدخل عسكري هزيل، أخبره بأن يتحفظ عليه ويدخل مجدي درويش، ونظر ناحية محمد شاكر، ولكن وجهه كان خاليًا من المشاعر.

دخل مجدي درويش، وسمح له بالجلوس وبعد الديباجة المكررة قال له فؤاد:

- حسام أبو الفضل بيقول إنك بتدخل سيرانين من غير موافقة.

- ابن الكلب هيفضل ابن كلب.. بس إيه السريانين ده يا بيه..؟

- وأنت متعرفش هو إيه؟

- أنا والله لو أعرف كنت قلت.

- أمال إيه كل مخالفاتك في إدخال مواد سامة بغير ترخيص دي؟

- يا بيه المواد اللي بتسمح بيها الدولة كلها تعبانة، في مواد أحسن منها بس محتاجة حرص، الموضوع مش كبير للدرجة دي بس الحكومة بتيجي علينا دائمًا.

- وأنت بقى اللي تعرف إيه اللي صح وإيه اللي غلط؟

- أنا معرفش غير رزقي وأجيبه إزاي، مش زي العر.. ولا بلاش نشتم يا بيه.

- أنتم بتكرهوا بعض كده ليه؟ أنت قصدك حسام صح؟

- بص يا بيه، أنا حسام ده شغلته عندي لما اتخرج من كلية علوم وبقا إيدي اليمين مع الأيام، وبعدين طمع وسرق زبايني مني، كنا ساعتها بنتاجر في كيماوي الزراعة، هو عيل شيطان كان عارف إزاي يخلط مواد ويجيب حاجات بأسعار كويسة ونتيجة حلوة، ولما سبني قرصت عليه السوق، فبيكرهني من يومها، بس أنا عداني العيب معاه، كويس إني مخفتوش، ده أكل عيش، والله ما نجاه من البطاس غير العيش والملح.

- قولتلي بقى خريج علوم.

- أيوه يا بيه.. بس للأمانة دماغه ألماظات.

هز فؤاد رأسه واستنشق بعض هواء الغرفة السام المليء بأول أكسيد الكربون بنسب عالية وأخبره بالانتظار في الخارج وعدم المغادرة.

ونظر ناحية محمد شاكر الذي أشعل سيجارة لتوه قائلًا:

- صاحبك الأولاني لبس يا فؤاد بيه، فأردف فؤاد قائلًا:

- بكره الكذب اللي في دم كل واحد بيجي يقعد قدامي، ما يقول علطول المعلومة علشان أقدره، لازم يعني ينزل تحت ببدلته الشيك يتجاب منه عيال علشان يقر بالكلمتين؟ يلا أهه رزق العيال اللي تحت يا عيني مشافوش لحمة نظيفة من فترة.

فرد عليه محمد قائلًا:

آه يا خوفي لتكون لحمته سم يا فؤاد.

قبل أسبوعين بعث فؤاد الهوراي للأقسام المعنية بحالات الوفاة في محيط سيطرتها بأنه يريد فتح ملفات جنائية، لأن عنده شكوك في ارتكاب جرائم قتل عن طريق مواد سمية، وأن هذه الشبهات تستدعي فتح هذه الملفات لتلك القضايا، وأنه يريد أن يكون مسئولا عنها، قوبل طلب فؤاد بالرفض معللين ذلك بأنها مجرد شكوك لا ترتقي لشبهات، وأن كل ما جاء مجرد توقعات غير مثبتة بدلائل. .اتجه فؤاد إلى المستشفيات التي استقبلت تلك الحالات، وبطرق غير رسمية وصل إلى عينات دم استخرجت أو آثار متروكة للضحايا. الموضوع لم يكن سهلًا في التقصي عن أي آثار للمتوفين قبل مدة، ولكن ما سهل الأمر أن أغلبهم نقلوا إلى مستشفيات خاصة، والغريب والملفت أنهم كلهم نقلوا إلى مستشفى المركز الطبي المتخصص العالمي، بالطبع الموضوع لم يكن هين لأخذ أي شيء من هذه المستشفى الضخمة، ولكن كل شيء يذوب أمام الجنيهات في يد تمرجي له وضعه في المستشفى، أخذت العينات ونقلت إلى أحد المعامل والأمر كان واضحا وصريحا، البحث عن هذه المادة المسربة في دماء هؤلاء، والنتائج جاءت إيجابية كما هو متوقع، أخذت هذه النتائج وأرفقت بملف كبير كان كفيلًا بفتح التحقيق مرة أخرى.

قطع محمد شاكر حبل أفكار فؤاد الهواري قائلًا:

- أنت عارف إن محمد الشوادفي مات.

- مين محمد الشوادفي؟!

- مدير المستشفى اللي صحابنا كانوا بيتنقلوا ليها علطول، واللي جبنا من عندهم العينات.

- يعني صاحبنا كان بياخد عينات وعارف اللي فيها وساكت، يقوم يموت.

- شكله كان مستني دوره.

- تقريبًا هو دور فعلًا.

- في اشتباه بقتل.

- لأ كالعادة موت طبيعي.

- اطلب يتعمل تحليل للجثة قبل ما تتدفن ومنعرفش نوصل، وأخينا اللي كان بيحتفظ بعينات لنفسه أهه مات.

- خلاص تمام يا فؤاد، وصاحبنا اللي بره، حسام، هتعمل فيه إيه..؟؟

- نزله تحت .

الفصل الثاني عشر

(1)

الساعة الآن التاسعة مساء بتوقيت القاهرة...جاء الصوت من المذياع ليكسر ذلك الصمت المحيط بفضاء سيارة نادر وهو في طريقه إلى الأسكندرية ..يشغل تفكيره كل ما مر به في الفترة السابقة دون أن يفهم لماذا هو بالذات ...لماذا جاءت هذه الظروف جميعا فوق رأسه ..وهو الذي طالما كان يحب البعد عن أي نوع من المشكلات في حياته المليئة بها ...تعود على ذلك منذ طفولته ...تعلم أن أحسن طريق للمواجهة هو الهروب ..الحياة ليست طويلة لنضيعها في حروب دائرة غير معلومة المصدر..أو حتى معلومة ....ما الفائده أصلا ...لماذا أنا ...هكذا قال نادر في صمت شديد وتركيز لا يقل عن أضواء السيارات في الجهة المقابلة ...

الطريق طويل إلى أي مكان في وقت الهروب لا تنتهي أنفاسنا عن اللهاس ،نكاد نقع من قلة الأكسجين المتدفق في رئتينا ولكننا نخاف أن ينتهي بنا الحال لمستقبل مجهول ..الطريق طويل عندما يكون الهروب قد بدأ منذ مدة دون أن نشعر هروب من تلك النفس التي تسكن جسدنا الفاني ...هروب اضطراري من أن تعذبنا تلك النفس على ما اقترفنا من أفعال ..الهروب إلى اللاوجهة فقط نسير إلى ما تشتهي أنفسنا وفي حالة نادر يهرب دون أن يعلم ما يشتهيه ..هو لم يشته شيئا طوال حياته لأنه لم يحب أي شئ فقد تعود على الفقد نوعا ما والوحدة بشكل كبير...فقط الوحدة كانت تؤنسه وتأخذ بيده ليستمر ..لم يستمر لا يعرف ومن منا يعرف لماذا يستمر في هذه الحياة غير العادلة ..

جاء صوت هاتف نادر ليقطع الصمت مرة أخرى ..نظر نادر ناحيته دون إهتمام يذكر تشير الشاشة إلى اسم شيرين ..ولكنه لم يهتم حتى بأن يمد يده ليغلق رنة الموبيل تركه حتى أنتهى ليعود الهدوء مرة أخرى ...لم تمر ثوانٍ معدودات حتى رن الهاتف مرة أخرى ،ولكن نادر لم يلتفت مرة أخرى ناحية ....كان ما يدور في عقله أنها بالتأكيد شيرين مرة أخرى ...كان الهاتف على مشارف أن ينهى وصلته مرة أخرى قبل أن يلتفت له نادر فيجد أن لا رقم موجود ...إنه هو بالتأكيد ، مد نادر يده مسرعا ليرد ولكنه لم يكن بالسرعة الكافية، الهاتف صمت كجثة هامدة ..نظر له نادر ليتدراك ما جرى كيف سيتواصل مرة أخرى مع ذلك المتصل الذي لا يعرف له طريق، هو يريد أن يعرف ما نهاية هذه القصة التي أصبحت مصدر قلق له سيخسر معاها كل شئ ..

بحركة عصبية ألقى نادر الهاتف ليسقط في أرضية الكرسي المجاور له ...قبل أن يرن مرة أخرى ..نظر نادر إلى مكان الصوت باحثاً عن الهاتف دون جدوى مد يديه لأرضية الكرسي الذي بجانبه ،ولكنه لم يصل إلى شئ فقط الصوت دون أن يعرف مكانه على وجه التحديد ...رفع نادر رأسه كي ينحى السيارة إلى جانب الطريق ليبحث عن الهاتف ،ولكنه بالفعل كان قد وصل إلى جانب الطريق وارتطمت السيارة في أحد الكتل الخرسانية ليصمت تماما كل شئ إلا صوت أنين نادر قبل أن يختفي تماما ...

(2)

حمد لله على السلامة ...

الغرفة واسعة وسقف مزين بالنقوشات الذهبية وثرية كبيرة تزين منتصف الغرف تتدلى من قبة مزين داخلها بسماء صافية أو هكذا خيل لنادر وهو يفتح عينيه مصاب ببعض التشوش في الرؤية ...صوتان جانبيان يتبدلان الحديث ..

يقول أحدهما :هو كويس دلوقتي يا دكتور ؟؟

- الخبطة مكنتش شديدة قوي ،شوية راحة وهيكون كويس ..المهم لو ظهرت أي أعراض أو صداع شديد استمر لفتره طويلة لازم يعمل أشعة لاحسن يكون فيه نزيف داخلي .
- تمام تمام ...

كانت هذه آخر الأصوات التي استمع لها نادر قبل أن يغرق في غيبوبته مرة أخرى ...

بهو كبير مليء بالأنتيكات والتحف السقف مرتفع يوجد حليات مذهبة في أعلى السقف المفروشات كلاسيكيه ،وكل شيء مرتب بحرفية عالية المكان يشبه القصور إلي حد كبير ..ذلك ما رآه نادر عندما فتح عينيه ووجد نفسه في هذا البهو الكبير مرتديا بذلة كاملة ، كما ظهر له عندما

شاهد نفسه في المرآة البعيدة ذات الإطار الذهبي المسنودة على أحد الحوائط...

يجلس نادر غير مستوعب لما يجري ما الذي جاء به إلى هذا المكان ؟ ما هذه الملابس التي يرتديها هذه الملابس ليست ملكه ، هو لا يتذكرها ولا يتذكر أي شيء سوى ذلك الوجع والصداع القادم من مقدمة رأسه ..لم يأخذه من ذلك الوجع والهواجس التي في رأسه سوى صوت حركة قادم من الخلف نظر نادر ناحية المرآة ليجد شخصا ضخما نسبيا يقترب منه ..مما جعله يهم بالنهوض مسرعا نتيجة لخوف ما تسرب إلى داخله مما هو فيه ولكن قدميه عجزتا عن النهوض بشكل كامل ..فارتطمت مؤخرته بالكرسي غير قادر على الحراك ،ولا يعلم هل ما في قدميه عجز أم مشكلة تقنيه في التحكم لسبب ما يجهله كما يجهل كل ما حوله ...أخرجه من هذه الدوامات صوت الرجل قائلا

- متقلقش رجلك سليمه يس علشان بقالك كذا يوم متحركتش فتلاقيك مش قادر تتحكم في أطرافك بشكل كويس ..الدكتور قال كده.
- هو أنا إيه إلي حصلي ؟!
- حادثة بسيطة متقلقش،
- طب أنا فين ؟!
- قوم معايا الباشا عايز يشوفك وساعتها هتعرف أنت فين.

• باشا مين؟؟

في تلك الأثناء مد الرجل الضخم يديه ناحية نادر الذي استند عليها ونهض من مكانه ،وتحرك بهدوء حيث أن قدميه لم تكونا تحملانه وكأنه مصاب بعجز ما ..

إلى اليسار من البهو الكبير هناك ممر ينقلك إلى بهو أصغر بشكل كبير، ولكن السقف أيضا مرتفع ..يوجد بابان في أول البهو الصغير وبابان في آخره وطاولة خشبية كبيرة في المنتصف مستند عليها "فازة" كبيرة بها ورد أحمر ....يستمر كل من نادر والضخم حتى يصل إلى نهاية البهو إلى الغرفة على اليمين يدخلان إليها ،ويترك الرجل نادر ويرحل دون أن يخبره بأي شيء .

الغرفة حوائطها خشبية وأضواؤها حمراء تزيد من حرارة المكان التي يسببها الخشب حتى مع وجود برودة قادمة من التكييف في مكان ما..

اتفضل اقعد ..سمعها نادر من مكان ما !!!... هو يعلم ذلك الصوت جيدا ،ولكنه بشكل تلقائي توجه إلى أحد الكراسي وجلس وكأنه ينتظر الآخر في مكان ما أن يخبره شيئا أو يبدأ حديث ..لم يتأخر ذلك هي لحظات قبل أن يأتي له الصوت مرة أخرى قائلا "حمدا لله على السلامة ..كنت هتروح فيها يا نادر..قالها وكأنه يعرفه منذ زمن ...نظر نادر حوله قائلا .."الله يسلمك بس هو أنت فين ؟؟ أو أنت مين بشكل أدق يعني ؟؟

- صدقني مش هيفرق معاك ..
- هو أنا جيت هنا إزاي ؟!
- حادثة عربية ..وإحنا لحقناك ..إحنا علطول حوليك ..أنت ناسي ولا إيه؟
- أخرت ده كله إيه ؟!
- خلاص الخطوة الأخيرة طلبنا إحنا بقى ..أفتكر ساعدناك كثيرا.

نظر نادر في هذه الأثناء إلى الزاوية المظلمة في الغرفة محاولا التأكد من خلوها من أي بشرى ..قبل أن يقطع تركيزه ذلك الصوت مرة أخرى قائلا:

- شيرين العمري ...هنا جحظت عينا نادر وتوقف تدفق الدم إلى عقله وسيطر الصمت فقط عليه ...قبل أن يتغلب على كل ذلك قائلا "مالها شيرين ؟!"
- قلق على حبيبة قلبك ..ومالوا مش عيب شيء طبيعي ..هو إن جيت للحق مش شيرين بس شيرين وأبوها ..
- أنت قصدك ؟! واستمر نادر مركزا عينه على البقعة السوداء من الغرفة حتى جاءه الرد من العدم قائلا
- أيوه أحنا طلبنا شيرين وأبوها في أقرب وقت ..

في تلك الأثناء نهض نادر بصعوبة من كرسيه متجها إلى ذلك الفراغ بسرعة تتناسب طرديا مع كم الألم الذي يشعر به في قدمه وقلبه يتجه ، وعلامات الغضب والسخط وعدم الإدراك على جبينه حتى وصل إلى

تلك البقعة فمد يده إلى الفراغ محاولا إمساكه ، ولكن لا أحد سواه في الغرفة ..هو فقط ...صرخ في تلك الأثناء نادر بقوة ، وكادت عروقة أن تنفجر...وبدأ في إلقاء كلمات ليس لها معنى ، وانتابته حالة عصبيه مفرطة ، وبدأ ينادي على ذلك الصوت القادم من مكان ما "هقتلك أنا خلاص ميت ميت بس قبل ده كله هقتلك ...اشمعنه شيرين أنت عايز مني إيه ؟!أنت خربت حياتي ..أنا مكنتش عايز أنتقم لحد ..أنا كنت مبسوط وكل اللي عايزه كان موجود أنت جتلي منين " وانطلق ناحية الباب ليفتحه فلم يستطع الباب موصد من الخارج ، فاتجه إلى الستائر المسدلة على الحائط محاولا إيجاد طريق للخروج ،ولكنه وعندما وصل إلى تلك الستائر وحركها لم يجد سوى حائط مسدود ...لم يعد عند نادر أي مخرج آخر سوى الصراخ مستدعيا ذلك الصوت بكم هائل من السباب والصراخ دون جدوى ...

حتى ظهر الصوت بعد مدة قصيرة قائلا لنادر " ها خلاص أفتكر أنت دلوقتي قادر تستوعب كلامي أكثر...شيرين وأبوها في أقرب وقت يكونا ميتين زي اللي قبلهم ..سلام يا نادر يا شوربجي " ...وقبل أن ينطق نادر أي حرف كان قد استلقى جسدة على الأرض مغشيا عليه ...

(3)

الساعه الآن الثالثة بعد منتصف الليل ،هكذا تشير ساعة الحائط المقابلة لسرير نادر في شقته ....نادر جثة هامدة على السرير لا يتحرك ولا تظهر عليه أي علامات للحياة حتى أنفاسه غير مسموعة ، وصدره لا يعلو ويهبط أثر عمليتي الشهيق والزفير...

ينطلق صوت شرقة نفس وسعال قوي من ناحية الجثة الهامدة ..جثة نادر ..الذي أفاق منذ لحظات ، ولا يتوقف عن السعال وسحب أنفاسه ، وكأنه منذ مدة لم يستنشق الهواء ..ينظر نادر حوله يمين ويسار متأملا المكان جيدا ..ثم ينطق قائلا "ده شقتي ..أنا أيه اللي جبني هنا ..أستغفر الله العظيم ده كله حلم ..أبو أم الخمرة الهباب اللي بنشربها وتعمل فينا كده " يلتفت نادر حوله باحثا عن هاتفه ،وهو في حالة عدم فهم لما يدور من حوله ..ومن أي مدة هو مستلقي على هذا السرير جسده في حالة وجع وعظامه تؤلمه ، ولكن هذا أمر مبرر لما عاناه من ذلك الحلم العابر الذي انسحق بداخله ....أوليس هذا حلم أم ماذا ؟! ...ينظر نادر فيجد الهاتف على طاولة بعيدة في الغرفة ...فيعتدل متجها إليه ،ويمد قدميه لى جانب السرير، وعندما وقف على قدميه في تلك اللحظة، ومع ذلك الألم في قدميه ..تأكد نادر أنه لم يكن يحلم ، ولكن ما الذي أتى به إلى هنا وكيف ..هو لا يتذكر أي شيء سوى ذلك الألم ..توجه نادر ناحية الهاتف بعد أن استند على بعض أثاث الغرفة ..ووصل إليه بعد عناء رفعه إليه فوجده مغلق ...

وعندما فتحه فوجئ بأن اليوم هو الثلاثاء، وأن التاريخ لم يتغير عن ذلك التاريخ الموجود ....توقف ثانية ليتذكر ذلك الرقم في ساعة سيارته ، وهو في طريقه إلى الأسكندرية قبل أن ....ماذا ...هل بالفعل ارتطمت السيارة في ذلك الحاجز الخرساني ...أم ماذا ..بدأ العرق ينساب على جبين نادر ، وبدأت وجنتاه في الأحمرار وكأنه يفقد السيطرة على نفسه ....كان يحاول مرارا وتكرارا تذكر أي أحداث تمت قبل أن يستيقظ ، ولكنه غير قادر على أن يتذكر أي شئ ...توقف ثانية واستجمع قواه ، ثم هرع بأقصى سرعه يعرج متجها إلى باب الشقة ...إنها السيارة بالتأكيد ستكون محطمة لو أن ذلك بالفعل حدث ..

عندما وصل نادر إلى أسفل المبنى ، وهرع إلى الطريق ، وهو يرتدي ملابسه الداخلية فقط وجد ما توقعه ...السيارة بالفعل بحالتها ..إذا ما الذي حدث وما هذا الألم في قدمه ..ظهر صوت من خلفه قائلا "إيه يا نادر بيه أنت نازل كده إزاي عدم لا مؤاخذه " كان المتحدث حارس العقار نظر له نادر ولم يعره انتباها ، وأعاد خطاه مرة أخرى إلى شقته ...وحينما فتح باب المصعد وجد في استقباله ذلك الظرف الأصفر الذي اعتاده في الأسابيع السابقة ....ارتطم رأس نادر في باب المصعد في عنف حتى سال خط من الدماء، وظهر الحنق على ملامحه من ذلك الذنب الذي لايتوقف والظرف الذي يلاحقه ..من يكون يا ترى ذلك الاسم المطلوب في هذه المرة ...في تلك اللحظات تذكر نادر شيرين ..وتذكر الألم في قدمه ، وتذكر كل ما دار بعد أن ارتطمت سيارته في الحاجز الخرساني ...ولكن السيارة سليمة والتاريخ لم يتغير...لم يتمالك نادر نفسه، وصرخ حتى ملأ صوته المكان ،وانفجرت الدماء من رأسه فسقط مغشيا عليه ...

(4)

يفتح باب الحجرة على رائحة العطن والرطوبه التي تملأ المكان ورائحة المخلفات الخانقه الكفيلة بقتل حاسة الشم عن الإنسان الطبيعي ..ليدلف منه فؤاد الهواري باحثا عن حسام أبو الفضل ...الذي انتفض من مكانه متجها ناحية فؤاد الهواري صارخا بالسباب والإهانة لفؤاد قائلا ..." اللي أنت بتعمله ده مش هيعدي على خير ،أنا بحذرك بس أنا أعرف ناس يشيلوا من على كتافك دبابيرك دى كلها وتبقى ولا شئ ..أنت أصلا ولا شئ من غيرها يا فؤاد يا هواري ..وقف فؤاد ثابتا لم يتحرك ناظرا إليه في عدم اكتراث قائلا..."بص أنا ممكن أنادي على جعفر من بره ويدفنك مكانك أو أضربك رصاصة في نصف رأسك وتقع قدامي ولا هيتهز فيَّ شعره ..بس عارف كل مشكلتي إيه أن القميص هيتوسخ ..بدمك ..وده شيء ممكن يضايقني فعلا ..فإيه بقى تحب أنادي على جعفر ولا أطلع السلاح وأفرغ رصاصة واحده فيك ولا تقولي أنت بعت المركب لمين ..؟!

توقف حسام صامتا ناظرا إلى الأرض بعد أن لمس جدية وحزم في صوت فؤاد ، فعاد أدراجه إلى الوراء حتى استند على الحائط، وقال في صوت خافت " أنا مبعتش لحد صدقني ....والله ما بعت لحد ..

آه طيب شكلك مش عايز الموضوع يكون سهل عليك وعليا...عارف يا حسام دائما بستغرب ليه الناس مبتحبش الطريق السهل في الوصول

للهدف ..أما أنا فبحب الطريق السهل، وانتزع من جانبه مسدسه وسحب الأجزاء إلى الخلف مهيئاً الطلقة للخروج ..ووضع الفوهة على رأس حسام الذي انهار راكعا على الأرض ...ونطق فؤاد قائلا هتوحشني ..وقبل أن ينهيها ..خرج صوت حسام قائلا أنا مبعتش بس اتسرق مني المركب...فنحى فؤاد المسدس جانباً ، وقال له طب ما كان من الأول احكيلي بقى بالراحة القصة من أولها ...

الموضوع باختصار دخل عليا المكتب من ييجي شهرين واحد طول بعرض اسمه لؤي ...تامر حاجة زي كده ..فقاطعه صوت حلقي قوي من فؤاد الهواري وصوت ارتطام مؤخرة المسدس في وجه حسام قائلاً ..مفيش حاجة اسمها زي كده اسمه إيه يا روح أمك ..فلهس حسام أنفاسه ،والدماء تتساقط من شفتيه قائلا اسمه أدهم الأنصاري يا بيه أدهم الأنصاري ..فرد فؤاد قائلا كمل ....

المهم يا بيه جالي ، وطلب مني المركب ده وأنا فعليا مشتغلتش فيه قبل كده بس هو عرض عليا مبلغ كبير ،وهو ابن ناس كبار يا فؤاد بيه ،ووعدني بشغل أكبر من مجرد مركب ..هنا قاطعه فؤاد قائلا ومقلش ليك عايزه في إيه ؟!

-لأ يا فؤاد بيه أنا مسألتش ،وهو مقلش الموضوع كان خد وهات وشكرا ..

- طب وبعدين ..

- ولا قبلين يا باشا أنا فعلا اتصرفت ،

وجبته بعد طلعان العين لأنه مركب ابن كلب صعب تلاقيه بسهولة ده شغل أسلحة كيماوية وكده ...بس الحمد لله الواحد شغال في المجال من زمان والفلوس تجبلك أي شيء وعرفت أجيبه من العراق ..بس ...ولحد هنا الموضوع كان ماشي عادي ...فؤاد بيه ممكن طلب ..

- قول.

- عايز كوباية مايه وسيجارة و أقعد على كرسي أنا تعبت ..

- طيب طيب ..

وانتقل كل من فؤاد الهواري وحسام إلى غرفة فؤاد في الدور الأول قبل أن يستأنف فؤاد الكلام قائلاً ..

- كمل بقا يا عم الحكايه ..

- أنا فعلا جبته وكلمته ،ولكن لما جالي المكتب ووريته البضاعة، وكانت متأمنة تأمين جامد لأنها مادة شديدة السمية ... قاللي إنه خلاص مش عايزها ،و حصلت بينا عاركة كبيرة قوي انتهت بأنه هددني ..وأنا بصراحة سكت لأني مبحبش وجع الدماغ ..بس حصل حاجة بقا...

- إيه ؟؟

- تاني يوم الصبح لما وصلت المكتب لقيته مش زي منا متعود عليه ..ساعتها أنا جريت على ثلاجة المختبر اللي عندي في المكتب لقيت المركب مش موجود .

- وطبعا مفتحتش بقوك لأنك خايف ..

- بصراحة آه ..

- طيب ...طيب ...ونجيب منين أدهم ده ...

- هتلاقي رقمه في موبايلي اللي عندكوا ،وعموما أدهم مدكور أبوه رجل أعمال كبير ،وأشهر من نار على علم ..

هنا وقف فؤاد واتجه ناحية الهاتف متحدثا مع أحدهم قائلا ..اعملولي مذكرة قبض على أدهم مدكور ..وأغلق الهاتف ناظرا إلى حسام ...قائلا له " تصدق أنكم ولاد كلب كلكم على بعض ..

(5)

الساحة الخضراء ذاتها ما الذي أتى بي إلى هنا مرة أخرى ...هكذا كان يخاطب نادر نفسه عندما استفاق ناظرا حوله لساحة مدرسته القديمة ....

ألم تشتق إلى المكان يا نادر ...جاء هذا الصوت من خلف نادر مما استدعاه للنظر فزعا ليجده هو ...دكتور كولين بلحيته البيضاء وغليونه الخشبي، لم تظهر عليه أي علامات للتقدم في السن ،وكأنه لم يتركه كل هذه السنوات نطق نادر قائلا "أما زلت على قيد الحياة دكتور ؟!" ابتسم الرجل العجوز قائلا "لا تهتم بهذه الأمور البسيطة وانتبه لما أحدثك فيه ...لا تجزع لما أنت فيه فأنت لم تكن دائما كغيرك أنت مميز يا نادر اترك حدثك يحركك إلى الأمام أتتذكر ،ولا ترهق نفسك بما لست تفهمه ..لا تترك الحب فهو الباقي ،ولكل منا أخطاؤه لا شيء يبرر لك أن تضحي بالجميع من أجل الماضي ....فالمستقبل دائما يترك لك الجديد ،هنا قاطعه نادر قائلا : كأنني لا أعلم ما الذي وضعني في هذا المأزق ولا أعرف هل أكمل أم أن التوقف والهروب هو الحل ؟؟" ....تنهد دكتور كولين ونظر لساعته قائلا " لا وقت أمامي لأخبرك سوى أن الهروب لا يغير أي شيء سوى أنه سيترك لك جرحا لن تنساه ...احرق القلعة كلها لتبرئ نفسك من ذلك الإثم ...أتتذكر ما آل إليه الحشاشين وما آل إليه الشيخ ...في بعض الأوقات لا يصلح شيء سوى أن تحرق القلعة بمن فيها ...لتبقى وأنت تعلم الطريق للوصول ...

ولكن هكذا نطقها نادر قبل أن يختفي دكتور كولين ، وتختفي الساحة الخضراء، ويستيقظ نادرليجد أمام باب منزله محاط ببقعة محدودة من الدماء وصداع قوي وظرف أصفر على امتداد يديه يدعو الله أن لايكون الاسم بداخله ....هو ذلك الاسم الذي لا يتمناه ...اتكأ نادر على البلاط واقفا وأخذ الظرف في يده ، ودخل مغلقا الباب واتجه إلى الداخل باحثا عن اسم شيرين في هاتفه ..رن الهاتف بعض المرات قبل أن ترد شيرين قائلة " نادر أنت فين ؟!" صمت نادر قليلاً ثم رد قائلا:

- أنا لازم أقابلك حالا...
- أجيلك أنت فين ؟؟ مع أنني مش طيقاك ...
- لأ متجيش خلينا نتقابل على النيل ...
- فين ؟؟
- في المكان اللي زمان كنت بشوفك فيه ..
- حاضر..نادر في إيه ؟؟
- لما أشوفك هقولك ...

ثم أغلق نادر الهاتف ونظر للمرآة على خط الدماء المتحجر من رأسه وللسواد تحت عينيه قائلا " أي غباء وصلني للي أنا فيه لازم ينتهي في أسرع وقت ..

(6)

أدهم مدكور هكذا قالها فؤاد الهواري وهو ينظر إلى ذلك الضخم الجالس أمامه بلا أي اكتراث ...فهز أدهم رأسه قائلا " أيوه مظبوط ممكن أفهم أنا هنا ليه بقا ،وعاوز أكلم المحامي " ...قلب فؤاد الأوراق قائلا "أنت شايف الموضوع محتاج محامي ؟؟"

- أنا مشفتش حاجة لسه أنتم مقلتوش أي حاجة تخليني أعرف أنا هنا ليه أصلا ؟!

- أنت منورنا يا أدهم بيه، ولا أنت مبتحبش الشرطة ؟!

- مش فارقة كثير...أنا هنا ليه ..

- تعرف واحد اسمه حسام ؟!

- انا أعرف ناس كثير اسمها حسام ...

- حسام أبو الفضل ..؟!

- لأ مفتكرش حد اسمه كده ..

- أنت هتستهبل يلا.

- أنت بتكلمني كده ليه يا ريت تتكلم باحترام ..ونظر إلى اللوح الخشبي على المكتبة قائلا "يا فؤاد بيه ..

وقف فؤاد متجها إلى الكرسي الواقع أمام أدهم محاولا السيطرة على أعصابه ...قائلا " بص أنا عاوزك تكون متعاون معانا وصدقني مفيش أي شيء عليك لو ساعدتنا "

في هذه الأثناء أخرج أدهم سيجارة من علبته وأشعلها ونظر ناحية فؤاد قائلا " بص يا فؤاد بيه أنا معرفش أنت بتتكلم عن أيه والشخص ده أنا معرفوش ..فمفيش داعي لتواجدي هنا من الأساس ..

- والسريانين يا أدهم؟!

- إيه ده ..؟!

- المركب اللي اشتريت من حسام ..أقصد سرقته منه ..

- معنديش أي علم باللي أنت بتقوله ده ،وياريت تسمحلي أكلم المحامي ..أو أخرج من هنا ده أحسن ليك وليا ..

- أنا هسيبك تمشي من هنا ...بس ياريت لو افتكرت أي حاجة تبلغني ..

وقف أدهم ونظر ناحية فؤاد قائلا : بالتأكيد متقلقش ..

- أنا مستنيك يا أدهم ..

خرج أدهم ورفع فؤاد سماعة الهاتف متصلا بمحمد قائلا ..ابعتوا حد ورا الواد ده ..بس حد يكون ذكي ..يا ريت يكون أنت يا محمد .

الفصل الثالث عشر

(1)

وقفت سيارة شيرين في انتظار نادر في ذلك الطريق المطل على النيل المليء بالأشجار المعمرة التي تلسدل أغصانها حتى الأرض، رأت ضوء سيارة قادم من بعيد حتى استقر خلف سيارتها ، وهبط منها نادر...في هذه الأثناء هبطت شيرين متجهة إليه ،وقبل أن ينطق كانت قد تعلقت برقبته محضتنة إياه قائلة له "وحشتني" هنا صمت نادر ولم ينطق ببلنت شفة فقط احتضنها بيديه قائلاً بعد فترة "وأنت كمان وحشتيني يا شرين بس أنا عايز في موضوع ضروري ومفيش وقت . هنا اعتدلت شيرين في وقفتها ، ونظرت إلى وجهه قائلة "مالك يا نادر شكلك مش كويس وحاسة أنك تعبان ..أنت كويس ؟؟

أمسك نادر يديها واتجه إلى سور النيل قائلا " شيرين أنت بتثقي فيا " نظرت شيرين ناحيته قائلة " أكيد يا نادر" ..

فتنهد نادر و نظر ناحية شيرين وأمسك يديه قائلاً " أنا بحبك يا شيرين"

-وأنا يا نادر؟؟ بس أنت مالك فهمني ..؟؟

-مفيش بس أنا لازم أبعد ، متزعليش مني يا شيرين ، بس مفيش داعي لوجودي حولك ..وجودي هيسبب لك مشاكل أكبر مني ومنك ..

-نادر أنا مش فاهمة أنت عايز تقول إيه ؟؟

-أنا مش عايز أقول حاجة ..أنا بس فضلت أني أقولك الكلام ده وأنا قدامك مش عاوز يكون آخر كلام بيننا على التليفون ..أرجوكي سامحيني ...أنا معنديش حلول ثانية ..لو قدرت أوصل لطريق أكيد هرجعلك .

أبعدت شيرين يديها عن يدي نادر وتأملته قليلا قبل أن تقول له "أنا مش قادرة أفهمك ولا أفهم اللي بيحصلك في الفترة اللي فاتت أنت تحولت من نادر حبيبي لشخص معرفوش ..نادر أنت بتبص على نفسك قبل ما تنزل من البيت ...ده نادر اللي كان الناس بتحلف بيه ..أنت بقيت ولا المدمنين...أنا مش قادرة أساعدك ولا قادرة أفهمك وأنت معدش عندك أي ردود عليا ...

-شيرين ياريت نخلص الموضوع ده بسرعة أنا مش قادر أكمل ولا أستحمل أكثر من كده ...أنا مضطر أمشي بس عاوز أقولك والله أنا حبيتك وبعدي ده لمصلحتك .

وتحرك نادر تجاه سيارته . ووقفت شيرين تتأمل خطواته دون أن تعلم أو تستطيع أن تخبره أى شئ فقط تتأمله فى صمت ..

*****

يرن هاتف نادر نظر إليه وكأنه ينتظره ويبتسم ويمد يده إليه ويرفع الهاتف ناحية أذنه قائلاً " أهلا ..أنا كنت مستنيك "

-أهلا بيك يا نادر..كنت بدأت أشك في اختياري ليك ،ولكنك طلعت على أحسن كمان مما كنت أتوقع ...

-أنا عاوز أشوفك ..

-تشوفني ..!! اشمعنه ..إحنا اللي بيننا خلص ..

-لأ مخلصش لسه في رقبة شخص ما بيننا ..ولا أنت مش عازها ..

-وأنت هتسيبها كثير أنت حبيت الموضوع ولا إيه ؟؟

-لأ انا محبتش بس قدمت ليك عربون محبة أنت دورك دلوقتي تقدم ليا ..

-أنا قدمت ليك كثير ..لولاي كنت هتبقا في السجن ..

-لولاك كنت هبقا أحسن ..بس اللي حصل بقا ...بكره بالليل..

-أنت ملكش إنك تطلب الطلب ده ..

-أنا ليا أطلب كل حاجة ..لو عاوزني أكمل ..

-مش بمزاجك تكمل ولا لأ ..

-حتى لو فرضنا أنه مش بمزاجي ،أنت مفيش شيء تخسره وأنا خسرت كل حاجة .. خايف ليه بقا ..

هنا انطلقت ضحكة من الطرف الآخر انتهت بقوله : أنا أخاف منك ليه ؟؟ خلاص الساعة تسعة بالليل عربية هتيجي تخدك من بيتك ؟!

-لأ خليني أنا أستضيفك في بيتي في فيلا الشوربجي أكيد أنت عارف هيا فين ..؟

-أكيد عارف ...أنت عارف أنني عارف كل حاجة ..بس ليه الفيلا ؟؟

-معلش لبي طلبي المرة دي الساعة تسعة وتعالى لوحدك عايز أسألك عن مواضيع مش قادر أفهمها ولازم أفهمها علشان أقدر أكمل لو في حياتي لسه في تكملة ..

-أنت عارف لو حد غيرك طلب مني اللي بتطلبه ده مستحيل أحققه ليه ...بس أنت مختلف يا نادر وعلشان كده هحقق ليك حلمك ..

-مستنيك..

-الساعة تسعة هكون عندك ...خلي بالك من نفسك لحد بكره..

-بتهددني ..

-أنت مجنون أنا مبهددش أنا لو عاوز أخلص عليك كنت خلصت عليك من زمان ..

-خلاص على موعدنا ....

(2)

يركض محمد مسرعا في الممر المقابل لمكتب فؤاد الهواري ،ثم يخترق الباب بشكل مباغت مسرعا فتح الباب بطريقة مفزعة جعلت فؤاد ينتفض واقفا مخاطبا إياه: في إيه يا مجنون أنت أفزعتني ...

وقف محمد يلهس أمام فؤاد لا يستطيع أن يستعيد أنفاسه بسهولة قائلاً ...شيرين ماتت ...

تنبه فؤاد لقوله وتدبره ، ثم أردف قائلا " شيرين مين ؟؟؟"

تحرك محمد إلى ثلاجة المياه يسحب منها زجاجة ماء محاولا استعادة أنفاسه قائلا "شيرين ..شيرين العمري ؟؟"

-أيوه يعني مين شيرين العمري دي ؟!

-دي صاحبة أخت أدهم مدكور ...شاهيناز مدكور ..

نظر له فؤاد قائلا ...لأ بقا اقعد وفهمني ..بسرعة في إيه في أم الهبل اللي بيحصل ده ..

-وصل للقسم بلاغ أن في واحدة ست ثلاثينية اسمها شيرين العمري لاقوها ميتة في عربيتها على كورنيش النيل ...العيال بتوع الشاي هناك لاقوا العربية مبتتحركش و شبه جثة فيها بلغوا وراحت قوة لهناك وفعلا لاقوها ميتة ....ولما عملنا تحريات اكتشفنا أنها صديقة شاهيناز مدكور اللي هيا أخت أدهم مدكور وفعليا الجثة في المشرحة دلوقتي واستديعنا أهلها للتعرف عليها ...

-وأنت كنت فين ..؟!

-إزاي يعني ؟!

-يعني أنا مش قلت ليك خليك مع الزفت اللي اسمه أدهم ده ..

-أنا فعليا معاه من ساعة ما طلع وهو مغبش عن عيني ..ومعبتش المكان ده ..أدهم من ساعة ما خرج متحركش من بيتهم ...

-أمال مين اللي قتلها يعني ...

-ومين قال إنها اتقتلت ..

-يعني هيا متقتلتش ..؟؟

-لأ الطب الشرعي لسه مبتش في الموضوع ده ..الجثه بحالتها الطبيعية ..يعني في السليم مفيش أي اعتداء ..

-يعني زي بقية الجثث يا محمد ..

-الله أعلم بس الظاهر كده ...

طب خلينا نتحرك على المشرحة بسرعة، وجيبوا أدهم ده تاني خلونا نتهبب ونعرف منه في إيه ؟؟ خلاص اعتبر ده حصل ...أنت ناوي على إيه .؟

مبقتش عارف ..وتيرت القتل بتكتر فوق ما نتخيل ومش قادر أفهم ولا أربط بين كل الناس ده ...بس خلينا نتحرك ونشوف ...

_خلاص يلا على هناك وأنا وراك.

*****

يصل فؤاد الهواري إلي حرم المشرحة متجها إلى الدور الأول عابرا الممر الملئ بالأبواب يمينا ويسارا ..يرى تجمعا بشريا في نهاية الممر ..يخاطب نفسه بأنهم بالتأكيد أقارب القتيلة ...يصل إليهم في حركة سريعة محاولا رسم الحزم على ملامحه مخاطبا إياهم " فين والد القتيلة ؟" فيتقدم له رجل مهيب أبيض البشرة شامي الملامح خاشر العزم قائلا بلهجة مصرية سليمة : أنا والد شيرين أرجوك بلاش قتيلة دي وأرجوك عاوز أشوف بنتي "

يهز فؤاد رأسه قائلا " متقلقش هتشوفها يا أفندم أنا هدخل وهأحاول أسمح ليك أنك تشوفها بس بعد متأكد من الدكاترة أن ده ممكن ..اسمح ليا أنا هسيبكوا دلوقتي وهرجع بعد لحظات .

هز والد شيرين رأسه في ضعف قائلا : اتفضل بس هي بنتي الوحيدة وأنت أدرى بإن الضنى غالي ، فربت فؤاد على كتفه قائلاً متقلقش ...متقلقش هعمل ما في وسعي ...

وتحرك ليدلف إلى داخل المشرحة ثم توقف للحظات وكأنه تذكر شيئا ما متأملا في وجوه الواقفين في المكان متجها إلى أحدهم قائلا : أنت شاهيناز مدكور ؟

فهزت رأسها قائلة أيوه أنا.. فيه حاجة ..؟؟

لأ مفيش بس مجرد سؤال ...

ليتركها في وضع لا تحسد عليه من القلق ونظرات الاستغراب من الجميع ...

دلف فؤاد إلى داخل المشرحة ليجد مكتب إلى جوار الباب يتلس عليه ممرضة ، رفعت رأسها ناحيته قائلة يا أفندم ممنوع الدخول لغير الدكاترة ..فنظر فؤاد ناحيتها قائلاً ..أنا فؤاد الهواري معاون مباحث حكومة يعني ...فهزت الممرضة رأسها بلا اكتراث متأملة إياه قائلة : طب ممكن البطاقة ... فنظر لها فؤاد مستغربا وموبخا لها قائلا : احنا هنهزر فين الدكتور المسئول هنا ، فانتفضت الممرضة قائلة خلاص متزقش بس أنت مينفعش تدخل كده لازم تتجهز علشان سلامتك يا حضرة الظابط ولا إيه ؟؟

تركها فؤاد متجها إلى الداخل في الوقت الذي لحقت بيه منادية إياه دون أي إجابة منه ...حتى وصلوا إلى باب غرفة تصدر منها رائحة الفورمالين التي تزكم الأنوف وتخنقها ،فنظر لها فؤاد ورمقها بعينيه بأن هل هي تلك الغرفة، فهزت رأسها ففتح فؤاد الباب متجها إلى الداخل ليجد ثلاثة أشخاص يرتدون بلاطي الأطباء واقفون بجانب جثة هامدة على الطاولة يتحركون حولها بحركة بطيئة يتأملونها ويقومون بأخذ العينات من هنا وهناك ....فاجأهم دخول فؤاد فتوجه أحدهم إليه قائلا " أنت مينفعش تدخل كده المشرحة المكان ليه حرمته يا أفندم أنت قريب المتوفية ...فرمقه فؤاد قائلا : فؤاد الهواري معاون مباحث وجاي أعرف تفاصيل عن الجثة بشكل ضروري وعاجل

الجثة هذه مهمة والقيادة مهتمة ..فقال له الواقف أمامه دكتور نصار الأباصيري، ولو سمحت لازم تتجهز علشان تدخل ده ضمان ليك قبل ما يكون ليا لو سمحت ، فهز فؤاد رأسه قائلا : هي ماتت إزاي ؟! ...نظر الأباصيري ناحيتها قائلا : لحد دلوقتي هبوط حاد في الدورة الدموية مفيش أي شئ ظاهر غير كده ...

مممم طيب عملتم تحليل للدم .. عملنا تحليل مبدئي وبرضوا مفيش شئ ظاهر ..شئ طبيعي موت عادي لا شئ غريب ..بس إحنا بنعمل شغلنا ..

طب اتأكد من الدم تاني يا دكتور بالذات وجود مواد سامة زي سيراتونين ..

سيراتونين ..تقريبا أنا سمعت عن المادة دي ...بس إيه هيوصلها للجثة..؟؟

معلش ده موضوع طويل اتأكد لو سمحت !!

تمام متقلقش ..

والد الضحية عايز يشوفها ..

بس يا أفندم ده شئ ...قاطعه فؤاد قائلا " معلهش علشاني " ..

خلاص يا أفندم بس خلي الممرضة تجهزه ...لو سمحت ..

خلاص متقلقش ...ولو فيه أي حاجة غريبة بلغني علطول ..

واتجه فؤاد خارجا من الغرفة تلحقة الممرضة مسرعة..

يصل فؤاد إلى خارج الممر حيث يقف والد شيرين قائلا ..

اتفضل بس الممرضة هتجهزك وأرجوك حاول تحافظ على هدوئك أنا عارف أنه صعب بس حاول ...

ونظر ناحية شاهيناز قائلا لها ممكن نتكلم لو سمحت على جنب ..

فهزت رأسها قائلة أكيد ؟! وتوجه والد شيرين إلى الداخل بعد أن رمق شاهيناز بنظرة محاولا فهم ما يخفيه هذا التساؤل من قبل فؤاد حتى اختفى فيما وراء الباب ...

تحرك فؤاد إلى آخر الطرقة في الجهة المقابلة للباب مخرجا علبة سجائره قائلا لشاهيناز: تشربي سيجارة ؟ فهزت شاهيناز رأسها قائلة: لا شكرا أنا معايا سجايري وافتكر ممنوع نشرب سجاير هنا ..

فضحك فؤاد قائلا : هو ممنوع آه بس أنا محتاج أشرب ..والحي أبقى من الميت ولا إيه ؟

مش فهماك !

شيرين عندها عداوات مع حد ؟

مفتكرش شيرين مفيش حد محبوب قدها على الرغم من أنها بتدير بيزنس كبير وبيزنس يعني في بلدنا مشاكل كتير وعلى كل هي فعلا معندهاش مشاكل .

طب لو قولنا اتقتلت مين تتوقعي يعمل كده ...

نظرت شاهيناز ناحيته قائلة : أنت جاي تسألني أنا ..؟ دي شغلتك ؟ ولا إيه ؟

آه بس إينا بندردش بالذات أن الدكتور قال لي إن وفاتها طبيعية.

يبقا ليه بتفترض شيء تاني ياأأفندم ..وليه بتسألني انا ..

لأني عرفت أك صاحبتها ..المقربة ..

مممم صاحبتها آه وهي أكثر من أختي بس أسئلتك كلها غريبة ..ثم ابتسمت ونظرت له قائلة : أنت بتشك في ؟! ولا حاجة ...بجد أنتم أغراب جدا ..دائما بتدوروا على أي حد ترموا عليه القضية علشان تريحوا نفسكم ..

أنا مش بشك فيكي أنا بشك في أدهم أخوكي ...أدهم بتدور حوليه شبهات قتل ناس كتير ..وغريبة أن شيرين متوقع أنها اتقتلت بعد كل الجرائم دي ...

أصابت شاهيناز الصدمة وعلا صوتها حتى أن من في الممر نظروا تجاههم ..قائلة: أدهم أنت بتقول إيه وأدهم مالوا بلي أنت بتقوله ده

..أنا عارفة أدهم مجنون آه بس مش قاتل وأدهم زي بالظبط شيرين زي أختنا ..أنت بتقول إيه ؟ لو سمحت تشيل المضوع ده من دماغك ..

هدي نفسك أنا بقولك شيء حقيقي وإحنا دلوقتي فعلا بعتنا أمر إحضار ليه من فيلتكوا اللي على طريق مصر أسكندرية مش هي هنا برضوا ...

انهارت شاهيناز في البكاء وتوتر الجو حول هذا النقاش الدائر بينهما ،والذي أخرج جميع من في المكان من التفكير في وفاة شيرين لماهية الحديث الدائر بينهما ، ولم يقطع هذا الحديث ..سوى صوت والد شيرين يأتي عاليا من خلف الباب ، ونظرات الجميع التي تحولت من ناحية شاهيناز وفؤاد إلى ناحية الباب وصوت ذلك الرجل المنكوب يزأر مناديا على فؤاد الهواري ...

(3)

المكان يعم بصمت وترقب كعادته صامتا عتيقا يعمه الغرابة والهدوء القاتل ..أضواؤه الخافتة الحمراء الساخنة كشموس حارقة والتي تتشابك مع لهيب تلك اللحظات الفارقة في حياة هذا المنزل القديم الشاهد الوحيد على كل شيء ...تلك الحوائط التي تعلم جيدا ما حدث في الثمانينيات ..من قتل ذلك الرجل القابع في الغرفة العلوية ..فقط ذلك المكان يشهد على ما لا يعرفه أحد ...تلك الحمائم التي تدور في أروقة المنزل غير عابئة بأي شيء فهي دائما ما تبحث عن الحرية المفقودة ...تبحث للفرار عن تلك القيود الموصدة في وجهها مما يحولها مع الوقت لحمائم جارحة ....ولماذا لا ...هل لو انقطع عن الإنسان الطيب من الطعام ..ووجد الجيفة سيتساءل عما كان حلالا أو حراما أكلها ليستمر ..فقط سيهم بالتهامها ليستمر في البحث عن مخرج له من كل القيود المحيطة به ...هي تلك الحياة بشكلها الحقيقي رغبة في البقاء على أنقاض الموت ...

الباب مفتوح على خجل في انتظار الزائر المرتقب ، ونادر الشوربجي في الانتظار جالسا بين أنقاض الذكريات وبين أنقاض الوجع الموصد في صدره ..راغبا في وضع نهاية لما بدأه في وقت ما أو بدأه غيره لا يعلم من أين ولا ممن سينتقم من الماضي أم من الحاضر أو من نفسه ..فهو أصبح جزءا من كل ذلك ...

أصوات خطوات أقدام قادمة من الباب الرئيسي للفيلا ..عابرا البهو ودخل لقلب هذا الوجع الغائر في قلب نادر..مناديا بعلو صوته ..." نادر يا شوربجي أنت فين ؟؟ نادر"

يطل من أعلى السلم الموصل للصالة نادر واقف بكامل هيئته مرتديا بذلته ، وفي الخلفية ذلك البرواز الكبير لرجل ما ..طمست ملامحه الأيام أو طمست ملامحه المحن ...هم نادر في الحركة قادما من الأعلى تجاه الرجل الستيني الواقف في قلب الصالة الرئيسية أبيض الشعر على الجنبين وأقرع الوسط كصحراء جرداء ..مخاطبا إياه : أهلا بك يا أفندم في فيلا آل الشوربجي المتواضعة بالنسبة لقصرك اللي في مكان ما من الوطن العجوز ...

ابتسم الرجل قائلاً ..." أهلا بيك يا نادر ..سعيد أني أشوفك بعد ده كله " ..

-كنت متوقع أنه أنت ...بس في شئ كان بيرجعني عن شعوري يمكن رغبتي في الاستمرار في لعبتك ..

-بلاش تقول لعبتي ..طالما أنت حطيت خطوتها من البداية ..

-؟أنا محطتش شيء خلي بالك من كلامك ...أنا في البداية مكنتش فاهم حاجة لحد ما في لحظة ما شكيت في كل التفاصيل إلى قلبت حياتي ...ولسه في حاجات مش فاهمها ...

-أنا جيت النهاردة علشان أجاوبك على كل أسئلتك ده واجبي تجاهك بعد كل اللى عانيته في الفترة اللي فاتت ..ويمكن علشان عايز أعرف أنت عملت ده كله ليه ...ليه كملت طالما فهمت وعرفت ..

ابتسم نادر متهكما مستندا على عصا هابطا السلالم ...يمكن علشان عايز أقفل الماضي كله ...أقفله بكل قرفه وريحة الموت اللي بتفوح منه ..عايز أكمل حياتي من غير إمبارح ...تاني ..وأنت جزء من امبارح والوحيد اللي عارف كل شيء أنا معرفوش ..من ساعة ما رجعت من بريطانيا وأنا مش فاهم حاجة ...عارف شعور لما تبقا بتنسى كل شيء أنت متعرفش هو إيه أصلا اللي بتنساه ...عمرك شفت لخبطة أكثر من كده ...وأنت لما فتحت ليا باب إمبارح ...أنا دخلت فيه للسؤال في البداية ولما عرفت أنت مين حبيت أكمل علشان أوصلك بأي طريقة ..

-حتى لو كانت الطريقة ده رقبة حبيبة القلب ..

وصل نادر إلى أرض الصالة متألما من قدمه وناظرا ناحية الواقف قائلا: أنا فعلا خسران كل شيء ..فمجتش على ده ..هي كانت أنظف من كل القرف اللي عايشينه واستريحت بشكل أو بآخر..وأنا استريحت من قلقي عليها ...

منطقك غريب جدا ..يدعو للاستغراب ..بس ما علينا ..أنت عرفت أنا مين إزاي ؟؟

-دائما في طريقة وفي خيط بننسى نقفله ورانا،مهما كنا شاطرين وفي إيدنا كل الخيوط في خيط بيفلت ..البار والحفلة كانوا بداية العلامات ، ولما وصلني معلومات عن اسم الشركة صاحبة البار ومع شوية بحث في الورق القديم لاقيت اسمك أنت ...الشخص اللي هرب بفلوس عائلة الشوربجي ..وكان أوطى من أوطى كلب.

-احترم نفسك ياض أنت بدل ما تندم على اللي بتقوله ..أنا مهربتش بحاجة أنت وصلك كل ورثك على داير المليم ...

-أه ده حقيقة بعد ما دخلته وخرجته من كل مشاريعك بطرق شرعية وغير شرعية ...بس علشان مصلحتك ..

-نادر يا ابني أنت راجل بتاع بيزنس وده بيزنس وأنت وعائلتك مخسرتش حاجة على ما أعتقد ..

-لأ إحنا اللي خسرناه بسببك وبسبب غيرك أكثر من مجرد فلوس ...

متحرما نادر ناحية الرجل الجالس بهدوء رافعا قدم على الأخرى رابتا على كتفيه قائلا : ولا إيه يا سيادة المحامي المرموق "

انتفض الرجل حينما اقترب نادر من كتفه ووقف مفزوعا قبل أن يستند عليه نادر بجسده قائلا ..ما هذا رايح فين ...ده طباخ السم بيدوقه ...

انتفض الرجل قائلا .."أنت مجنون يا نادر؟ أنت عايز تقتلني تقتلني أنا ..أنت أكيد مجنون ..أنت لو عملت كده هتخسر كل حاجة ....هتبقي ماضي

ضحك نادر قائلا " بس بص للجانب المشرق أنت هتبقا ماضي قبلي يا حضرة الأفكاتو..

-أنت مش عارف ليه أنا قتلت شيرين يا باشا ...علشان مخفش على شيء ..علشان مندمش على حياتي ...اللي ممكن تضيع علشان واحد وسخ زيك .

-بس أنت كده هتستفاد إيه ؟؟

-أنا ببساطة بقفل إمبارح بالضبة والمفتاح ...بقفله من كل وساختك وقرفك ووسختي وقرفي ...العالم ده مش هينضف إلا لما كلنا نسيبه ..

-نادر يا ابني أنا ..

-اخرس بلاش تقول كلام غبي في آخر لحظة في حياتك ..استمتع باللحظات الجميلة دي

-...عارف أجمل شيء كنت بعمله وأنا في المدرسة الداخلية إيه ..؟ لما كنت مبكلمش حد وكنت بقعد لوحدي ..أنت عارف ليه أصلا رجعوني من هناك ....أنا كنت بأصطاد الفران ..وأحطها في قفص على شكل

عجلة وأعلق ليها قطعة جبنة رومي وأحطها على صفيحة سخنة ويفضل الفار يجري علشان ياكل حتة الجبنة ولما يتعب أولع تحتيه فيجري أكثر والجبنة بتسيح قدامه ...كل شيء بيفقده لحد ما كان بينهلك ويموت ...دكتور كولين قالي إن الفيران دي زينا بالظبط زي البشر ..بتجري ورا أحلامها ولما بتتعب نفسها بتفضل تحفزها على الاستمرار لحد ما بنفقد القدرة على الاستمرار وبنقع نموت ...تخيل بقا أنهم اعتبروا ده سبب كافي أنهم يرجعوني من المدرسة خوفا على الأطفال ...تصدق قد إيه الناس دول غلابة ..مش بس كده حولوا دكتور كولين للتحقيق ..وتسببوا في موته وده كله علشان شوية فيران ..

-أنت أكيد مجنون ..

-حد قالك تلعب مع المجانين ..دول كام وأشار نادر بيديه برقم اثنين ...وذلك قبل أن يغيب عزت المحمدي عن الوعي ..وصاحب ذلك ابتسامة باهتة لنادر قائلا " هتوحشني ...

(4)

تتسلل الأضواء قادمة من خلف الستائر البيضاء على وجه النائمين على السرير المواجه للنافذة أي مهندس ابتدع هذا التصميم الذي لا يساعدك على البقاء نائما مع خروج الشمس خلف المباني المواجهة للغرفة باهظة الثمن في هذا الفندق الفخم ..تتفتح عينا نادر محاولة السب بالأم والأب لهذه الشمس وكل العاملين في هذا الصرح لهذه الأضواء غير المرغوب فيها ..فيتقلب في السرير يمينا ويسارا أنت تقلق تلك الفتاة النائمة بجوارك ...إنها حقا فاتنة، عندما تستيقظ صباحا كالورد البلدي، انعكاس أشعة الشمس تجعله أكثر إشراقا وبهاءا وتستفز روائحه العطرة لتنبعث منه للأنوف ..حتى تلك التي أصابها العطن منذ مدة ...

تفتحت عيناها الجميلتان مخاطبة نادر قائلة:

-وحشتني يا نادر..أنا كنت خايفة عليك قوي ..

ابتسم نادر طابعا قبلة على رأسها قائلا :

-تخافي على نادر يا شيرين ..ده لو كل الناس تخاف أنت بالذات لازم متخفيش لأنك عرفاني كويس ..عارف حبيبك ..

-أنا مكنتش عارفة أي حاجة ..كلامك آخر مرة قلقني ..كل شئ قلقني ..

- ولما أنت قلقتني عملتي ده كله ليه ..

- علشان بحبك وبثق فيك ..أنا قلقانة على بابا يا نادر متقلقيش ..كل شيء هيلنتهي قريب ..كل شيء ..

- بس أنت عملتها إزاي ده ..أنا فعلا كنت بدأت أشك أني مت ..

ابتسم نادر ونظر ناحية النافذة قائلا لها .." ساعت ما سيبتك كنت مجهز كل حاجة ..

- الناس اللي خدوني كانت إيديهم ثقيلة قوي ..

- محدش في بلدك بيعمل حاجة صح ...

- مين اللي جبتها بدالي ده اللي ماتت شيرين الثانية ..

- سهل تجيبي جثة في بلدنا سواء صاحية أو ميتة كل بحسابه ...وكله خلص متفكريش تاني فيه ..

- نادر أنت إيه اللي بيوديك فيلتكوا ..أنت مش وعدتني من زمان مترحش هناك تاني ...خلاص انساها فيلتكوا من بعد ما اتحرقت زمان

وهي آيله للوقوع في أي لحظة كفاية تروح هناك يا نادر..أهلك ماتوا خلاص وأنت مش هترجعهم تاني ...هد البيت يا نادر علشان ترتاح ...والأوضه المقفولة افتحها وانقل كل متعلقاتها في مكان آمن من فيلا منتهية الصلاحية ..

-شيرين ممكن تسكتي أنا الموضوع ده بيعصبني وأنت عارفة ..ولو أهلي ماتوا فلسه روحهم موجودة في الأوضه ده مقدرش أموتهم تاني بأيدي ..

قامت شيرين بجسدها الناعم العاري الوردي في مواضع فتنتها متجهة إلى الحمام ..بعد أن قبلت نادر على شفتيه ...وتركت نادر يتطلع إلى مؤخرتها مبتسما محاولا استعادة ذاته مرة أخرى ...قبل أن تصرخ شيرين منادية عليه فيهب من مكانه قبل أن يصل إلى حيث تقف شيرين أمام باب الغرفة ليجد ظرفا أصفرا قد تسلل إلى داخل الغرفة الظرف الأصفر مختوم بختم عليه حمامة تشبه نوعا ما الطيور الجارحة ...وكأن شيئا ما لا ينتهي أو لم ينته بعد .

"تمت"

عندما يبدأ القتل ابحث في دفاترك القديمة ...فالمستقبل دائما قد سطر في يوم ما...

صدر للكاتب

- بابا سوبر مان
- كتاب العريس
- كما انه كتب عدت مقالات في جرائد مثل جريدة الصباح وجريدة التحرير
- مصر لا مؤاخذة
- المدام

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/shadyahmed123

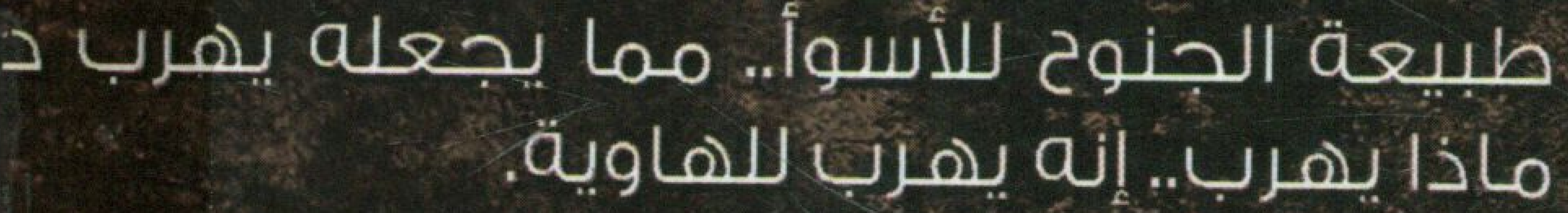


Noon_publishing@yahoo.com

ت-02-35860372 011-27772007

كالتشيو..

كان هناك اعتقادًا سائدًا عند قبائل "أونداجو"، تلك القبائل التي عاشت قبل مجيء المستعمرين إلى أمريكا، أنهم إذا حاربوا بأسحلة الأوروبيين الحديثة ستحل عليهم لعنة ما ويموتون، كان خوفهم من اللعنة أكبر من خوفهم من الأوروبيين أنفسهم، وأساطيلهم وعددهم وأسلحتهم، خوفهم أهلكهم، هم لم يفكروا انهم سيموتون عاجلًا أو آجلًا، لماذا يهابون اللعنات إذًا؟ إنه ذلك النازع البشري الذي يجعلك أسير لحظك اليوم بعد أن شاهدته صدفة في صبيحة يوم ما.. حتى وإن لم تكن تؤمن بها، الإنسان له طبيعة الجنوح للأسوأ.. مما يجعله يهرب دا[illegible] إلى ماذا يهرب.. إنه يهرب للهاوية.






ISBN 9789776436787



الغلاف: مي يسري